الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري – تيزي وزو –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

شعبة: الفلسفة

إستشراف مستقبل الإنسانية عند ادغار موران

- مساءلة نقدية -

أطروحة مقدمة لمتطلبات نيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث L M D

تخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

من إعداد الطالب : **إشراف الأستاذ**

- خالد قوجيـــــــــل **د- أحمد باجي**

إسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الإنتماء
د. جميلة بسّو	أستاذ محاضر –أ-	رئيسا	جامعة تيزي وزو
د. أحمد باجي	أستاذ محاضر –أ-	مشرفا ومقررا	جامعة تيزي وزو
د. مسعود غريمس	أستاذ محاضر –أ-	عضوا مناقشا	جامعة تيزي وزو
د. يونس حشلاف	أستاذ محاضر –أ-	عضوا مناقشا	جامعة تيزي وزو
د. جمال حاج علي	أستاذ محاضر –أ-	عضوا مناقشا	جامعة قالمة
د. شريف بن زينب	أستاذ محاضر –أ-	عضوا مناقشا	جامعة المدية

السنة الجامعية : 2024/2023

الإهداء :

إلى أمي نبع المحبة ومحيط الحنان، ذات الفضل الجليل بعد ربي
إلى أبي رقية التوفيق، وسر النجاح
إلى إخوتي وعائلتي سندي في هذا العالم
إلى كل أصدقائي.

الشكر:

لا أملك إلا أن أزجي جزيل شكري وعرفاني وبالغ تقديري وامتناني للأستاذ باجي أحمد المشرف على هذه الأطروحة ، الذي غمرني بفضله وتابع المذكرة جزءا إثر جزء، وهو في ذلك لا يضنّ بلطيف توجيهه، وحسن إرشاده ودقيق ملاحظاته، فتلقى ذلك بواسع صبره ورفيع خلقه، ضاربا المثل في تواضع الأستاذ وسعة صدره

كما أعرب عن شكري وتقديري لأساتذتي في قسم العلوم الإجتماعية في جامعة مولود معمري تيزي وزو، كما لا يجب أن أنسى فضل الأساتذة في قسم الفلسفة في جامعة باتنة وبالأخص الأستاذة برهوم لبنى والأستاذ عبد الغني بوالسكك.

مقدمة:

إن مفهوم الإستشراف إنما يلمح إلى ضرورة ملحة الغرض منها إرتسام سبيلا لمشاكل يبدو أنها قد إستعصت على البشرية، في حقبة صار الكل يساءل الحداثة ومنتجاتها في هذا الميدان المسمى الفلسفة، التي تحاك داخلها مماحكات لا متناهية يمكن أن تندرج ضمن أفق التفكير من أجل الخروج من مطبات الحياة، هذه المطبات التي أطلق عليها إدغار موران Edgar Morin لفظة "**الأزمة**" كتعبير عن الحالة التي تم الإنزياح إليها، طفق الفلاسفة في تحليل الأوضاع الإجتماعية والسياسية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ونجد المنظّر الفرنسي إدغار ناعوم ـ موران ـ يحترف نوع جديد من الفلسفة اتسمت بـ"الوحشية" إذ نذر نفسه لأجل الإنسانية التي إنكمشت في عصر بات فيه الحديث على أن الحداثة إستجابت لمتطلبات الإنسانية ضرب من العسر المعرفي، إذ إنكب المتمرسون إما في تجاوزها –ليوتار Jean François Lyotard – وإما في تقويمها – هابرماس Jurgen Habermas–، فأسس بذلك منهج التعقيد، متكئا على المكتشفات العلمية ليكون نموذجا جديدا يصوّغ لنا قراءة الواقع من خلال إخضاعه له، ومن خلال نموذج التعقيد تمكّن من الكشف عن أزمات تغلغلت في واقع الحياة فأصبحنا نستحضر في تحليلاتنا الفلسفية مفاهيم على شاكلة (أزمة الحداثة، أزمة الإقتصاد، أزمة السياسة ...)، إنتبه موران إلى إزدواجية نتائج العلم بين إيجابياته بكونه ييّسر تحدّي الحياة ومن جهة ثانية قد أرسى هذه الأزمات التي تبدو متوارية بيد أنها حاسمة في الوضع الراهن للإنسانية، من هنا إجتهد موران في فك شفرات هذه التأزمات بعد أن خاض مماحكة أولية كشف فيها عن المنهجية السليمة للإستشراف مستعينا بالتعقيد لارتسام المستقبل.

إن توجّها من هذا القبيل بات نوعا من المعاندة المنهجية والمعرفية، ونحن نعيش في عصر بات فيها اليقين ضرب مستعسر يقترب من الخيال، إن الجرأة التي تحلّى بها موران لغرض إستشراف المستقبل كانت المسلك الذي إرتأيناه مناسبا لبلورة هذه الأطروحة، ونحن نرى أن هذه المسألة قد رانت إليه مع السبعينات، ومع انبثاق كتاب من أجل الخروج من القرن العشرين (1981) وبالأخص الفصل الثالث المعنوّن ب" إلى أين يسير العالم؟" نلفى أنه قد حقّق قفزة صارمة صوب هذا الجنس؛ أي الدراسات المستقبلية بوصفها متجها تنحو إليه متونه من أجل تدبّر مصير الإنسان، وهذا العكوف الموراني للدراسات المستقبلية لم يكن وليد الصدفة إنما كانت جهودا فكرية صرفها لرصد وجهة العلم وسعي حثيث لارتسام مثالبه ووأد جبروته وإعلان حالة الطوارئ من مآلات الأداتية، إن الإنزياح الموراني من سؤال: ما مستقبل الفلسفة؟ إلى سؤال: كيف للفلسفة أن تقرأ المستقبل؟ إنما اعتبرناه علامة حاسمة في تناول أزمات العلم وإخضاعها للمناقشة وفق نموذج التعقيد.

إن غرضنا ليس الإنزياح من سؤال المنهج بكونه مشروع موران إلى سؤال المستقبل، إنما التفكير مع موران في المستقبل وفق نموذج التعقيد، وإرساء السبل الموائمة للخروج من حالة "**الأزمة**" التي سيطرت على الواقع وبهذا حاولنا تعقّب المسائل الكبرى التي أرّقت موران بدءا من المقام السياسي إلى جودة العيش، ثم إن

أصالة موران في الكثير من المفاهيم التي شكلت ركيزة فلسفته لم تمنعنا من تتبّع بعض مزالقه الكبرى وبالأخص مفهوم "**الأزمة**" الذي تناولناه بنوع من التفصيل بكونه المفهوم الأكبر الذي إشتغل عليه موران كونها النموذج الذي تغلغل في كل النظم المعرفية، إنه بدا لموران أن قراءة الواقع غير ممكنة دون الإستناد على قاعدة صحيحة في التفكير تم إرساؤها في أنموذج التعقيد، وانتبه إلى أن هذه الإشكالية التي انبثقت مع رونيه ديكارت René Descartes (1596- 1650) الذي صاغ منظومة التبسيط عبر قاعدة الفصل بين العلم والفلسفة متكئا على القاعدة الأشهر في المنهج الديكارتي ونعني هنا قاعدة الوضوح، واكتملت هذه المنظومة مع نيوتن الذي إفتتح عصر جديد من العلم إنبنى على قوانين تبسيطية، نجمت على هذه المنظومة ما يسمى "عصر الأنوار" التي تغذّت من العقلية الديكارتية وارتسمت فيها قاعدة "العقلانية" بكونها المقام الذي يتوجّه إليه الساعي إلى المضي في أطرها، ومع اكتمال عصر الحداثة ظهرت وعودها على وجهها الأتم: إن التعويل على العلم والعقل سيرسم لنا طريقا نحو السيطرة على الكون وتحقيق الرفاه الإقتصادي والوصول إلى الفضيلة الكبرى للإنسان المتمثلة في السعادة، شرع العلماء والفلاسفة بلا مواربة في السعي نحو تحقيق هذه الوعود دون التلفت لغيرها، بيد أنهم إرتطموا ب"أزمات" قد نبّه إليها المفكر الألماني أزولد أشبنغلر Oswald Spengler (1880- 1936) إنبثقت مع ظهور المجلد الأول حيث أطلق صفارة الإنذار الأولى لضمور الأخلاق، وتأكد ذلك مع بداية الحرب العالمية الأولى (1914–1918) وما آلت إليه، ثم أعقبتها الأزمة الإقتصادية "أزمة الكساد العظيم 1929" وبعدها الحرب العالمية الثانية (1939–1945) التي كانت بمثابة الإعلان النهائي بأن الغرب قد حاد عن الطريق الصواب في بحثه عن الوعود الثلاث التي إنتهت كلها إلى **أزمات** أزمة البيئة وأزمة الإقتصاد المتمثلة في النزوع نحو الإنتاج بدون قيود، ثم أزمة إعتلال الأخلاق وتمخض الفردانية وانكماش كل أشكال التضامن الإنساني، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تمّ تشكيل **أزمات** جديدة عبر إحياء الرأسمالية وإرساء أسس جديدة للإستغلال، أبان موران نباهة في قراءة هذا الواقع وتحديد مواضع العلة فيه، والتوجه نحو إرتسام السبيل لإنقاذ البشرية عبر ما أسميناه الإستعداد للغد، فقد وهب نفسه لإستبصار ما ينبغي أن يكون عليه المستقبل البشري.

أهمية الموضوع:

إن أطروحتنا المعنونة ب"إستشراف مستقبل الإنسانية عند إدغار موران –مساءلة نقدية–" إنما تأتي أهميتها في كونها حاولت رصد مشروع المفكر الفرنسي فيما يخص قضية **الأزمة** الإنسانية، حيث حاولنا مجانبة الخوض في الجانب المنهجي الموراني والغوص في منهج التعقيد إلا في شكل تنبيهات، بيد أننا إستعملنا المنهج التعقيدي في معالجة قضاياه الأساسية، حاولنا الغوص في **الأزمة** أكثر باعتباره المصطلح الذي وصف به موران الواقع وبه تبنّى فكرة الإستشراف، فنحن ننظر إلى المستقبل لأننا في أزمة "يجب أن نذهب إلى الإيرادات قبل أن تدهمنا" والحال أن الواقع الذي نعتاشه قد تعسّر، إن إستشراف المستقبل كان حلما راود الفلاسفة منذ الحقبة اليونانية حتى وقتنا الراهن من أجل بناء المدينة –الدولة– الفاضلة التي سيسود فيها الإنصاف والعدل عبر إبراز النظم المعرفية التي وقعت في إختلالات، وهذا ما انخرط فيه موران اليوم،

حيث كشف عن الأمل في الغد، حاولنا إبراز أهمية الدراسات المستقبلية باعتبارها مقام علمي جديد –قديم– يتوجب الإشارة إليه وايلاجه إلى ميدان الفلسفة التي لم تعد مواضيعها تقتصر على وصف الإدراكات المتعالية ولا تحليل النصوص وتأويلها، حاول موران إنزال الفلسفة من سماء التعالي إلى أرض الواقع وهذا ما اشتغل عليه عبر إدراج الدراسات المستقبلية كصيغة موازية لمشروعه الأساسي المتمثل في المنهج.

قسّمنا هذه الأطروحة من حيث الأهمية إلى قسمين أساسيين: القسم الأول حيث تمّ الإهتمام بارتسام **الأزمات** والكشف عن اختلالات النظم سواء في السياسة و**أزمة** الديمقراطية أو في تبيان **أزمة** التربية و**أزمة** البيئة والإقتصاد والجماليات والأخلاق التي أبانت عن مدى قدرة موران على تتبع هذه المطبات والكشف عن الترياقات المناسبة لها والحلول التي تمكّننا من مقارعتها والتي تبناها موران في مشروعه الفكري أما القسم الثاني: يكمن في توجيه نقد إلى إدغار موران في بعض المحطات الفكرية التي تم إنتقاؤها بعناية وحذر شديدين مخافة إنزلاقات غير محمودة العواقب وهذا بالإستناد إلى بعض الشرّاح الذين وافقنا توجهاتهم في معارضة توجّه موران وبالأخص في **الأزمة** التي إعتبرناها الكلمة المفتاحية في أطروحتنا، بالإضافة إلى بعض النقاط في الأخلاق والمنهج وموقفه من الدين.

إشكالية الموضوع:

إن تواشج هذه المواضيع التي تبناها فيلسوفنا إستوجب الخروج من المتاهة المعرفية التي ولجنا فيها في خضم الغوص في إشكالات إدغار موران، وهذا ما دفع بنا إلى بناء الإشكال الذي تمخضّ عن المسألة، بكون المسألة إشكالية تتطلب حلول تخرجها وتفرعاتها من الدهشة إلى المعرفة وعلى هذا الأساس كانت إشكاليتنا كما يلي:

إلى أي مدى تمكّن إدغار موران من التعبير عن أزمات الإنسانية واستشراف مستقبلها؟ إفترعت إشكاليتنا إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية التي ستيسّر الإشتغال عليها كانت على النحو التالي: كيف إمتشق موران الدراسات المستقبلية؟ وماهي **الأزمات** التي أرقت تفكيره وهل تمكّن من إرساء السبيل السديد للخروج منها؟ وإلى أي مدى نجح في بلورة مشروعه الفلسفي؟.

الخطة المتبعة:

تأسينا لمعالجة إشكاليتنا على خطة إنطوت على مقدمة وخاتمة وثلاث فصول إرتسمت خيوطها وفقا للمنظومة التالية:

مقدمة: كانت مفتتحا لبحثنا قدمنا فيها الخطوط العريضة لبحثنا وذلك من خلال مدخل إلى موضوع الدراسة وكذا إيضاح، أهمية البحث الذي نحن بصدده وتقديم الإشكالية التي سنعالجها وتفرعاتها التي إنشقت عنها،

بالإضافة إلى منهج الدراسة الذي إرتأينا أنه سيتقوّم به بحثنا، كما أشرنا إلى أهم الدراسات السابقة التي تناولنا بحثنا ولو من سياق قريب، وأهم المصادر والمرجع التي إستأنسنا بها.

الفصل الأول: حاولنا فيه الكشف عن الخيوط الهادية التي ستوجّه مسار الأطروحة، بدءا بالدراسات المستقبلية التي كانت الرهان الذي عوّلنا عليه وهذا من خلال الكشف عن المنهجية الأساسية التي قدمها موران من أجل الإستشراف، كما أننا سننحو صوب الكشف عن المرجعيات المؤثثة لفيلسوفنا باختلاف مشاربها، بحيث سنحاول أن نتبيّن النظم المعرفية الكبرى التي قرنت موران الفيلسوف الفرنسي بحقل الفيزياء تارة وبميدان العلوم البيولوجية طورا، كما لن تخفى علينا الرابطة التي لمت شمل الفيلسوف الفرنسي بتفرعات العلوم الإنسانيةالتي رسمت مساره، كما أننا سنجتهد لتبيان منهج التعقيد الذي قدّمه موران والذي راهن عليه ليتمكّن من قراءة الواقع الذي استعسر بفعل الحداثة ومآلاتها، وسنحاول الكشف عن مدى قدرة منهج التعقيد لهذه المهمة الشاقة التي تبدأ من هدم منظومة التبسيط الصارمة، فنجد أنفسنا نتقصى في مدى قدرة فيلسوفنا على هدمها، وفي الأخير حاولنا أن ننبش في المفهوم الأساسي الذي إنطلقنا منه في بناء عملنا والمتمثل في الأزمة والتي كانت المرجعية الأساسية في متون موران فسنحاول التركيز على منظور موران إليها وهو ما كان ملهما بالنسبة إلينا.

الفصل الثاني: إرتسمنا في هذا الفصل أهم الأزمات التي قدمها موران في متونه وحاول ارتسام السبيل السديد للخروج منها ولعل السياسة كانت مفتتحا مهما بالنسبة لنا لاعتلاج فكر موران وحاول البحث عن أهم التنظيرات السياسية التي قدمها وكذا تبيان أزمة السياسة الكبرى المتمثلة في الديمقراطية، فأبان عن الصعوبات التي اعترضتها بكونها نظاما سياسيا يستوجب التعويل عليه، ومن هنا حاولنا الكشف عن أهم الحلول التي قدمها موران لكل هذه المشاكل السياسية، ثم أردفنا التربية كأزمة ثانية من أجل الغوص أكثر في المطبات التي ولجت فيها الإنسانية والتي عسّرت الواقع البيداغوجي والأكاديمي وبهذا حاول أن يخط هذه الأزمة بشكل يعبر عن وعي تربوي رصين من خلال العودة إلى ماض التربية واستشراف الحلول المستقبلية للتربية، طرح إشكالية الإقتصاد والبيئة والجماليات وحاولنا أن نقدم الرابطة الفكرية بين هذا الثالوث المعرفي الذي ولج في حالة الأزمة، بيد أن التفتيش في جوهرها سيطرح لنا إشكالية مهمة مضمونها: لما إهتم موران بهذا الثلاثي معا؟ ولهذا الغرض سنحاول التفصيل في هذا التشكيل الثلاثي بكون هذا المبحث مرتكزا نعوّل عليه في هذا الفصل الثاني، وكمخرج من هذا الفصل حاولنا حاولنا تقصّي الأزمة الإنسانية والغوص في مختلف أزماتها التي إنبثقت واستحكمت، والمتأمل في هذا الشق سيستغرب من المتهم الرئيس الذي وجّه إليه موران أصبع الإتهام وكيف ارتسم المخارج التي قدّمها للخروج إلى المستقبل؟.

الفصل الثالث: الذي كان محفوفا بالمخاطر وتناولناه بنوع من المجازفة المعرفية التي لا بد منها، حيث حاولنا الإجتهاد في تبيان المقام الأخلاقي الذي إشتغل عليه موران حتى أنه راهن عليه، وهاهنا إشتغلنا على التحقّق من بعض الأفكار التي حاولنا التعويل عليها ذلك من أجل الخروج من المطبات الأخلاقية الكبرى، إلتفتنا إلى أزمة يبدو أنها شغلت الفضاء العام وكيفية تسييره، فنجد توجّه موران صوب العلمانية التي راهن عليها بيد أن ذلك لن يتقوّم حتى يتم إخراجها من ثقبها الأسود الذي نعتبره بمثابة الأزمة، ولأجل هذا الغرض توجّب علينا إستدعاء ما يمكن الإستعاضة به لتسيير الشأن العام، إستحضرنا مفهوم الأزمة وقدمنّاه لميزان النقد باعتبار الأزمة مقام يصعب التوجه به صوب المستقبل بالمنظور الذي قدّم له موران، وذلك بسبب جملة الإعتراضات التي تحول بين ذلك؛ بين الأزمة والمستقبل، ولهذا وجب علينا التوجّه صوب البديل المناسب الذي سيصب في هذا الغرض، فما هو هذا البديل الذي يمكن أن يشق طريقه صوب ذلك؟ وهل من الممكن أن يحقق المراد ويرسم المستقبل المأمول؟ وكمخرج من هذا الفصل حاولنا التوجّه نحو المنهج التعقيدي وامتحان صرامته والقدرة على مقاومة الإعتراضات التي وُجّهت وما زالت توجّه إليه وذلك باعتبار المنطلقات الأساسية الكبرى التي إنطلق منها كما أننا حاولنا أن نضع موران في مقام نعتبره الأصح لتحليل فلسفته ورصد مشروعه.

خاتمة: عرضنا فيها أهم النتائج التي خلصنا إليها وارتسمنا المنهج الذي اتبعناه في سبيل الوصول إلى ذلك وكانت مخرجا من بحثنا.

منهج الدراسة:

توسّلنا جملة من الإجراءات المنهجية التي فرضتها علينا طبيعة الموضوع نفسه من أجل الوصول إلى حل الإشكالية الأساسية التي تناولناها، وأبرز هذه الإجراءات هو المنهج التحليلي: الذي قادنا إلى تقسيم عناصر بحثنا وتفكيكها إلى جزئيات من أجل تسهيل عملية الكشف عنها وإجلاء الغموض الذي تغمّد موضوعنا، ولقد عوّلنا على تحليل متون إدغار موران وجعلنا منها متكئا لتخريج هذا البحث وحاولنا تحليل أهم الأزمات التي كشف عنها، كما تستوجب الإشارة هنا إلى تغافلنا عن البعض الآخر لسببين أولهما: إما لكون بعض الأزمات لم يتم تناولها بالشكل الكاف مثل أزمة الديموغرافيا، أو أنه يتطلب إلماما أكثر بالموضوع ولن يتسنى الإحاطة به بسهولة كموضوع المعرفة [بيد أنه تم الإشارة إليه في شكل تنبيهات]، بالإضافة إلى إعتمادنا على منهجية التحليل النقدي وذلك من أجل تتبع بعض مواطن القوة والضعف في أفكار موران وتحليل أثاره من حيث أنها تنطوي على بعض النقائص رغم أننا كما أسلفنا الذكر حاولنا أن نتقمص الحذر قدر المستطاع في هذه العملية، وحاولنا إجتناب الخوض في مواطن النقص مخافة أن لا ندرك النقص على شكله الملائم أو

أن يتعذر علينا الفهم السليم لأفكاره خاصة أن موران فيلسوف لا منتمي وفلسفته على قدر كبير من اللزوجة يستعسر الإمساك بها كما أقر بنفسه على أنه فيلسوف "وحشي".

الدراسات السابقة:

يتوجب علينا الإشارة إلى الدراسات والأطروحات السابقة التي تناولت فكر إدغار موران واشتغلت عليه لغرض التحليل ولغرض الإعتراض –إن وجد– واقتضت الضرورة المنهجية تقسيم هذه الدراسات إلى صنفين أساسيين صنف الأطروحات الأكاديمية وصنف الكتب والمقالات الرصينة التي إشتغلت على فكر الفيلسوف الفرنسي:

1– صنف الدراسات الأكاديمية: إنه من الضروري أن نلج إلى الدراسات السابقة عبر البحوث الأكاديمية وبالأخص أطروحات الدكتوراه التي نوقشت في الجامعات الجزائرية سواء بالمعنى الذي تناولناه عندنا أو في السياق القريب منا، رغم أن ما تمّ تناوله في حدود علمنا لم يتم معالجة مسألة المستقبل عند موران كأطروحة [اللهم مداخلة للأستاذ عبد الرزاق بلعقروز والمعنونة بـ: الفلسفة وسؤال المستقبل في منظور إدغار موران] في أي جامعة جزائرية في حدود الرسم الذي تم تحديده من طرفنا، نجد أطروحة دكتوراه للأستاذ داود خليفة والمعونة ب"**إبستمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التقيد والفكر المركب لدى إدغار موران**" ناقشها في كلية العلوم الإجتماعية في جامعة وهران 2 في السنة الجامعية (2015–2016) والتي غدت بعد ذلك كتاب منشور بعنوان "**إبستمولوجيا التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران**" عن منشورات الإختلاف –الجزائر– حيث إشتغل الكاتب على توضيح المنهج التعقيدي، إرتسم فيه عبر ستة فصول [ثلاثة أبواب] مسار تشكّل هذا الأنموذج المعرفي، كان هذا الكتاب معينا لنا في الكشف عن الأطر المستعسرة في نموذج التعقيد وبالأخص الفصل الأول من الباب الثاني [الفصل الثالث] المعنون ب" الأساس العلمي لإبستمولوجيا التعقيد –نظريات التعقيد– وتمثلت في نظرية الكاوس وعلم التحكم الآلي والذكاء الإصطناعي ونظرية المعلومات ونظرية النظم العامة –نظرية الأنساق العامة– بنوع من التبسيط الذي تناوله موران في كتابه 1990 الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، إرتسم الطريق المودي إلى تأسيس علم التعقيد، إهتم الدكتور داود خليفة في ايضاح منهج التعقيد وتقديم إضافة إلى المكتبة الجزائرية رغم ندرة المصادر يومئذ وعدم إكتمال مشروع موران ونقصد هنا كتابيه تعليم الحياة وعن الجماليات فضلا عن الكتب التي نشرها من 2016 إلى 2023 في إنتظار إنبثاق أخر كتبه En Cours Une Moment .

ثمة أيضا أطروحة دكتوراه نوقشت في قسم الفلسفة في كلية العلوم الإجتماعية في جامعة وهران 2 في السنة الجامعية (2020–2021) قدمها الدكتور وحيد بلخضر معنونة ب"**المعرفة والثقافة عند إدغار موران**" ناقش فيها الباحث إشكالية الثقافة عند موران وعلاقتها بالمعرفة، إشتغل في الفصل الثالث المبحث الثالث على التربية على التعقيد كرهان لتغيير المستقبل وهو ما حاولناإيضاحه في أطروحتنا هنا، نجد أيضا أطروحة دكتوراه نوقشت في جامعة الحاج لخضر باتنة 1 بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية قسم الفلسفة قدمتها

الباحثة سارة جديد معنونة ب"**الرؤية التعقيدية ومنطقها الإبستمولوجي لدى إدغار موران**" قدمت فيها صورة عامة عن المشروع الموراني منطلقة من المنطلقات المعرفية التي أسست فكر الفيلسوف وتأسس المعرفة التعقيدية وصورة عامة عن المشروع الفلسفي الموراني والمنطلقات الإبستمولوجية للتعقيد ومآلاته، ونجد كذلك أطروحة دكتوراه ناقشها الدكتور محمد بومدين في مخبر الفنومنولوجيا وتطبيقاتها بجامعة تلمسان والموسومة ب"**العقلانية والجنون في فلسفة إدغار موران**" وكذا أطروحة دكتوراه ناقشتها الباحثة بن ماضي فاطمة الزهراء في كلية العلوم الإنسانية قسم الفلسفة جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله في السنة الجامعية (2021-2022) والمعنونة ب"**المنهج في فكر التعقيد عند إدغار موران**".

2- أما من ناحية الكتب التي ألفت بصدد فكر إدغار موران فنجد كتاب روبين فورتين **Robin Fortin** الصادر عن دار النشر L'Harmatten في كندا في العام 2000 والمعنون ب"**فهم التعقيد: مدخل إلى منهج إدغار موران COMPRENDRE LA COMPLEXITE introduction à la methode d'Edgar Morin** "؛ الذي قدم فيه شرحا متوسعا لمشروع إدغار موران الأول [المنهج قبل إستكمال الموسوعة التي إستأنفها بصدور المجلد الرابع الأفكار 1991 والمجلد الخامس إنسانية الإنسانية 2001 والمجلد السادس 2004 المعنون بالأخلاق] ولنفس المؤلف نلفى الكتاب المنشور في المطبوعات الجامعية **LAVAL** في كندا سنة 2011 والمعنون ب"أن نفكر مع إدغار موران قراءة في المنهج **PENSER AVEC EDGAR MORIN lire la méthode**"؛ كإستئناف للكتاب الأول وشهدت كلتا النسختين تقديما لإدغار موران، كما تجدر الإشارة إلى أن روبين فورتين شارح متخصص في فلسفة إدغار موران وله العديد من الكتب في هذا الصدد لم يتسنى لنا الحصول عليها للأسف، ومن بينها فهم الوجود الإنساني من أجل رؤية متعددة الذكر للوجود الإنساني **Comprendre L'être Human ; pour une vision multimensionnelle de l'être human** الصادر عن دار النشر L'Harmatten قسم هذا الكتاب إلى ثلاث فصول كما يلي [الفصل الأول: معيقات التصور الحقيقي للإنسان، والفصل الثاني: من أجل تصور متعدد الذكر للوجود الإنساني، والفصل الثالث: من أجل البحث عن البراديغم المفقود] كما لم نغفل عن مؤلفه ضد الديكارتية **L'anté -Descartes** 2016، وكذا كتاب إدغار موران المتخصص في علم الأزمات: الفكر السياسي والإجتماعي لإدغار موران **Edgar Morin Crisoloque : La pensée politique et sociale d'Edgar Morin** الذي نشره في دار المطبوعات الجامعية LAVAL 2022 والذي قسمه أيضا إلى ثلاث فصول [الفصل الأول: الأزمة الشخصية والأزمة السياسية، والفصل الثاني: الأزمة الإجتماعية والأزمة الثقافية، والفصل الثالث: الأزمة الكوكبية والأزمة الحضارية]، ونجد أيضا كتاب منشور في دار الأيام للباحثة صورية لقاط زيتوني والمعنون ب"**إبستمولوجيا التركيب وفلسفة التربية عند إدغار موران**" الصادر سنة ،2020 وكتاب أخر منشور في دار الأيام للباحث عادل بويحي "**إنبثاق الفكر والمعرفة لدى إدغار موران إعادة بناء الإبستمولوجيا**" والصادر سنة 2020.

أما المقالات الجديرة بالذكر هنا نلفى نص فاهم بن عاشور المعنون ب"**الدور المعرفي للتربية المستقبلية من منظور إدغار موران**"؛ الذي نشره في مجلة الحوار الثقافي جامعة مستغانم وتم نشره بتاريخ 2019/01/01، كما نلفى مقال الباحثة إيمان قرفي في المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات الصادرة عن كلية العلوم الإجتماعية في جامعة الصديق بن يحي جيجل والمعنون "**فلسفة الجماليات كمعرفة للتعقيد الإنساني عند إدغار موران**"؛ والتي نشرت في 2022/01/01 وكذا مقال الدكتور كمال الساكري المنشور في مجلة نقد وتنوير المعنون ب" **قراءة في كتاب العقل المحكم راهنية التحديات والرهانات**" نشر في مارس 2021، كما نلفى مقال الباحثة جوماني فاطمة معنون ب" **الأخلاقيات الكوكبية عند إدغار موران**" نشرته في مجلة تطوير بتاريخ 2019/12/31، ومقال الباحث المغربي أبو بكر الفيلالي المنشور في مؤسسة مؤمنون بلا حدود والمعنون ب" **العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية أو موران ضد ديكارت**" المنشور سنة 2015.

المصادر والمراجع:

لقد إنبنى بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع رغم محاولتنا الإعتماد على كتب موران كونها الخيط الرفيع الذي سيقودنا إلى حل مشكلات بحثنا ومن بين هذه المصادر نعثر على:

-Edgar Morin , LA Méthode la nature de la nature, t1, edition du seuil, Paris, 1977, - Edgar Morin , LA Méthode la vie de la vie, t2, edition du seuil, Paris,1980- Edgar Morin , LA Méthode la conaissance de la conaissance, t3, edition du seuil, Paris,1986- Edgar Morin , LA Méthode les idees, t4, edition du seuil, Paris, 1991- Edgar Morin , LA Méthode l'humanite de l'humanite, t5, edition du seuil, Paris, 2001- Edgar Morin , LA Méthode ethique, t6, edition du seuil, Paris, 2004 - Edgar Morin, Science Avec Conscience, edition fayard et seuil, Paris, 1982, - Edgar Morin et Sabah Aboussalam, Changeons de voie, edition du Denoél, Paris, 2020 - Edgar Morin, La Fraternité porquoi ? actes sud, Paris, 2019 - Edgar Morin, le paradigme perdu : la nature humain, edition du seuil, Paris, 1973 - Edgar Morin, Le cinéma ou l'homme imaginaire essai d'antropologie, edition de minuit, Paris, 1956 - Edgar Morin et Tariq Ramadan, Au péril des idées les grandes questions de notre tempe, Edgar Morin et Jean Louis Le Moigne, L'intelligence de la complexité, L'Harmattan, Paris Canada, 1999, p1.

ومن المصادر المترجمة إلى لغة الضاد التي إعتمدناها في بحثنا هنا نجد: إدغار موران، في مفهوم الأزمة، تر: بديعة بوليلة، دار الساقي، 2018، ونجد أيضا كتاب إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرياض، 2009، وكما لن نغفل كتاب: إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟ نر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا للشرق، الدار البيضاء، 2012، وكتاب إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المعقد، تر: أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2004، كما أولينا كتاب إدغار موران، العقل المحكم، تر: المنصف الوناس، الصادر عن معهد تونس للترجمة، 2021، إهتماما خاصا فيما تعلّق بقضايا التربية على غرار كتاب إدغار موران، تعليم الحياة، تر:

الطاهر بن يحي الصادر عن منشورات ضفاف، الجزائر، 2016، ونجد أيضا كتاب إدغار موران، عن الجماليات، تر: يوسف تيبس، الصادر عن إفريقيا الشرق،الدار البيضاء، 2019، كما تستوجب الإشارة إلى كتاب السبيل الذي كان ركيزة أساسية في بحثنا والمفتاح الذي فككنا به شفرات إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزاوي، منشورات الجمل، بيروت، 2019، وكتاب إدغار موران، دروس قرن من الحياة، تر: خليد كدري، منشورات صفحة سبعة،القاهرة، 2022، وكتاب إدغار موران، مع ماركس وضد ماركس، تر: محمد نعيم، منشورات صفحة سبعة، القاهرة، 2022، وكتاب إدغار موران، روح الزمان ج1 و2، تر: أنطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 1995، وكتاب إدغار موران، تحديات القرن الواحد والعشرين، ج1 و2، تر: سفير حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001، ومن بين أهم المراجع التي قمنا بالعودة إليها نجد كتاب تشارلز تايلور، عصر علماني، تر: نوفل الحاج لطيف، دار جداول، بيروت، 2019، وكتاب جون بيبرو،العلمانية المزيفة، تر: عبد الله المتوكل، والصادر عن مركز نهوض للدراسات والنشر، بيروت، 2020، وكتاب تشارلز تيللي، الديمقراطية، تر: محمد فاضل طباخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010.

أسباب إختيار الموضوع:

إن مسارات الفلسفة المعاصرة التي تحدّت كل الأنساق المعرفية التي أنتجتها الفلسفة الحديثة وتأسيس أفق فكري جديد من أبرز الأسباب التي دفعت بنا إلى إختيار هذا الموضوع رغم إدراكنا بتشعباته، كما أن هناك أسباب موضوعية وأخرى ذاتية هي كما يلي:

أسباب موضوعية: أهمية ومركزية سؤال الإنسان في الفلسفة عموما والفلسفة المعاصرة بالأخص، وإعادة الإعتبار له بعد النكسة التي تعرّض لها بعد إصدار الفلسفة البنيوية التي انتصرت للعلم وكشفت عن موت الإنسان، كما أن التطور العلمي والتقني أودى إلى إنبثاق العقل الأعمى الذي لا يؤمن سوى بالعلم، منتجا العقلانية الأداتية ما استوجب ضرورة إعادة الإعتبار للإنسان بكونه المتضرر من هذه العقلانية –البربرية– ومحاولة رسم المستقبل الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان.

أسباب ذاتية: يمكن أن نختصرها في محاولة الدخول إلى معترك الفلسفة من أبوابها الواسعة، ونحن نرى أزمات الإنسان التي لا يكاد ينفك من أزمة إلا وكان مآلها أزمة أخرى فارتأينا أن مرام الفلسفة إنما يتمحوّر حول تفكيك هذه الأزمات وإيجاد الحلول المناسبة من أجل بناء الإنسان الذي يستشعر بالمعرفة ويلتزم بضرورة التوجه إليها، كما لا يجب أن نخفي رغبتنا في أن يكون هذا العمل باكورة أعمال مستقبلية أخرى الغرض منها تحديد المشكلات الكبرى في ثقافتنا ومحاولة إيجاد الآمال لبناء الغد وإثراء مكتبتنا بمزيد من الكتب في حقل الفلسفة.

صعوبات الدراسة:

من العسير القول بوجود صعوبات اليوم فيما يتعلق بفلسفة إدغار موران، من حيث المصادر المتوفرة سواء بلغتها الأم وهي اللغة الفرنسية أو المترجمة إلى لغة الضاد ونحن نشهد تحوّل كبير وموجة من الترجمة لأعماله من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، حتى أعماله التي صدرت لتوّها، بيد أن الصعوبات التي واجهت بحثنا هي المتعلقة في قراءة إدغار موران إذ ان الإستحضار الهائل للمعارف والعلوم وتنقله بينها نجد في بعض الأحيان بعض الإختلالات المعرفية في الفكرة المراد توصيلها، كما أن الشراح الكبار لفلسفته إنما كتبوا باللغة الإسبانية ووجه الصعوبة هنا هي عدم إيجادتنا والمامنا بهذه اللغة المهمة من أجل التعرف أكثر على القراءات المتوسّعة التي تعلقت بفلسفة موران، وفي الأخير وما النقائص التي سيتم العثور عليها في بحثنا إنما تبقى متعلقة بانفتاحية البحث العلمي الذي يستحيل الإلمام بكل تمفصلاته.

الفصل الأول

إستبصار إدغار موران للمستقبل في ضوء المنعرجات الفكرية المعاصرة

- **المبحث الأول: الرؤية الإستبصارية، أو كيف نستشرف المستقبل؟**
- **المبحث الثاني: المرجعيات الفكرية التأسيسية لفكر إدغار موران**
- **المبحث الثالث: إستحداث المنهج لقراءة الوضع الإنساني**
- **المبحث الرابع: الأزمة باعتبارها منطلقا للإستشراف:**

الفصل الأول: إستبصار إدغار موران للمستقبل في ضوء المنعرجات الفكرية المعاصرة:

تمهيد:

إن غرضنا من هذا الفصل هو الكشف عن طبيعة السياق الذي أتى به موران لطرح مساءلة المستقبل، هذه المسألة التي رانت إليه وتداولها منذ سبعينات القرن المنصرم، بيد أن المتصفح لما كتبه إنما يجد بلا مواربة ما صاغه في الفصل الثالث من كتاب 1981 من أجل الخروج من القرن العشرين الموسوم بـ "إلى أين يسير العالم" كقفزة صارمة لهذا الجنس، الدراسات المستقبلية بوصفها متجها تنحو إليه متونه، وهذا الطريق قطعه موران في تدبير مصير الإنسان، بيد أن هذا العكوف المورانى لم يكن وليد الصدفة، إنما كانت جهودا فكرية صرفها موران لرصد وجهة العلم، وسعي حثيث لإرتسام مثالبه ووأد جبروته، وإعلان حالة الطوارئ من مآلات الأداتية، إنكّب موران في إستئناف مشاريع إنسانية يستشرف فيها مستقبل البشرية التي استحالت إلى أزمات، إهتدى في مشروعه إلى بيان أهمية المستقبل والإنزياح الصريح من السؤال: ما مستقبل الفلسفة؟ إلى السؤال كيف للفلسفة أن تقرأ المستقبل؟ هذا التغيير في منحى الفلسفة أردفه سؤال جذري آخر وهو كيف نفكر في سؤال التغيير؟.

إن تساؤلات من هذا القبيل باتت أمر مفروضا على الفلاسفة، وهو ماعرج فيه تشومسكي بمتنه العالم إلى أين؟ وهانس جوناس إتيقا المستقبل في العصر النووي، وإميل سيوران المستقبل بوصفه يوتوبيا سوداء، ويورغن هابرماس مستقبل الطبيعة البشرية أو نحالة نسّالة بشرية، ولعل هذه إشارة واضحة لتحوّل المنحى الفلسفي من فلسفة اللغة والعقل إلى فلسفة أو علم إجتماع المستقبل، هذا الجنس المعرفي يبدو أنه إستلم الراية وأعلن أنه مفوّه جديد في حقل الفلسفة، وغدا من المعاندة المنهجية إستمرار التفكير في سؤال اللغة والعقل باعتبارهما عمادة الفلسفة، وإغفال هذا الجنس من حقل الفلسفة، خاصة أننا نأتي في حقبة باتت فيه الفلسفة تتكامل بمواضيع تثري فحواها، فكان المقصد هنا إنشاء خطوط موازية لفلسفة اللغة والعقل تمثل قواعد ثابتة ترتكز إليها الفلسفة، من هذه الخيوط فلسفة المستقبل التي تحاول أن تلج ميدانها فكيف يتسنى لإستشراف المستقبل أن يلج عالم الفلسفة ويؤسس قوامها؟ فكيف تقوّمت فلسفة إدغار موران وكيف إشتغل على هذا الجنس المعرفي؟.

المبحث الأول: الرؤية الإستبصارية، أو كيف نستشرف المستقبل؟

أولا: شروط إمكان إستشراف[1] المستقبل، أو ماهية الدراسات المستقبلية:

الدراسات المستقبلية دراسة تأصيلية تاريخية: كان المستقبل لوقت طويل الممكن الذي لم يأتي بعد، وهو الأمل في الغد أو الخوف والتوجّس منه، ومن ناحية البحث في السياق الثيولوجي فإن المستقبل يأخذ شكلا من الإهتمام الآخروي من حيث كونه ترغيبا أو ترهيبا ووعيد، ما مهّد لمعتنقي الديانات الإبراهيمية إستشكال المستقبل وتأسيس مقام تشرأب إليه أفكارهم سواء بغيّة أو إرتياعا، ويمكن إرتسام خطاطة نتمثل فيها محطات المستقبل، والتي يمكن أن نستنبت منها محطات ثلاث على غرار بعض مفكري الدراسات المستقبلية:

المحطة الأولى: وهي التي إستتب فيها الدين، نُظر للمستقبل على أنه وقائع أحداث مقدرة سلفا[2]، ولعل أبرز من طرح هذا الإشكال نجد القديس أوغسطين في القسم الحادي عشر من كتابه الإعترافات The confessions[3].

المحطة الثانية: التي يمكن ربطها بظهور الوضعانية العلمية التي أعقبت ظهور فيزياء وفلسفة نيوتن، حيث تم إعتبار المستقبل نتيجة حتمية لأحداث مترابطة بمبدأ السببية، فهاهنا إنسلخ من طابعه الديني والتحم بالحتمية العلمية كما أبان بيير سيمون لابلاس Pierre Simon Laplace، في متنه ميكانيكا الأجرام السماوية.

المحطة الثالثة: وهي المرتبطة بانبثاق العلوم المعاصرة التي ما فتئت تذكرنا باللايقين وتعقّد الأحداث وتشابكها ولا إمكانية الجزم بمآلات الأوضاع، هذه المحطة التي تم إستلالها من الفيزياء الكمومية المعاصرة، إن صعوبة توقّع الأحداث أسهمت في الإقرار بعدم جدوى النظرة الأحادية –الحتمية– فمنطق الإحتمالات المتعددة يفضي للإعتراف بأن المآلات المستقبلية متعددة لحدث واحد[4].

---

[1]– المراد بالإستشراف هنا هو إرتسام السبيل السديد لاستقراء الإيرادات في الحياة اليومية لمواجهة التحديات والأزمات التي تعاني منها البشرية على المدى القريب والمتوسط والبعيد وبوصفنا قارئين لفكر موران فلن نجد مشاحة في الوصل بين مفهوم الإستشراف ومفهوم التنظير للمستقبل ومحاولة الكشف عن حلول نهيأها للمستقبل المتوقع والمنظور إليه.

[2]– قصدنا هاهنا ليس إستغراق الحكم وتعميمه على الثقافتين الإسلامية والمسيحية على وجه الخصوص، بل أن هناك إنكماش واضح لنزعة Fatalism القدرية الحتمية، ونقصد بالحتمية هنا الدينية [قضاء الله وقدره] أبرزها فكر المعتزلة المبني على قاعدة فكرية مفادها "تعقّل ثم إعتقد" غداة ظهور القدرية، بيد أن المعتزلة الذين إستخدموا إسما ليس خليقا بنا تحاشيه، أهل العدل والتوحيد والتنبيه الذي قدمه علي سامي النشار حول أصل"فإن هذه الروايات تتفق في أن الإسم أطلقه أعداء المعتزلة عليهم" ينظر علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1، دار المعارف، القاهرة، ط9، ص375.

[3] – Augustine, The confessions, ICON classique, San Diego, 2005, p199.

[4]– يمكن القول أن الجهد الإستشرافي عرف سيادة ثلاث مراحل، مرحلة التكهّن المرتبطة بالسحر، ومرحلة التخيّل والإبداع وتصوّر مجتمعات مثالية، ثم مرحلة التوقع الممنهج والخاضع لتوجيه مؤسساتي إذن هذه المرحلة الأخيرة هي مرحلة تأسيس =

علينا أن نعترف أن هذا الجنس المعرفي تجذّر في التاريخ بحكم رهبة الإنسان من الزمن الآت والقادم والمسمى المستقبل، والمتصفح لأوراق الفكر يصطدم بمجموعة من المشاريع الفكرية التي قعّدت لتأسيس فكرة الدراسات المستقبلية، سنحاول أن نفتتحها بالدراسات الإغريقية على وجه التحديد، ولعل أفلاطون (427-347 ق م) يعتبر أول من بقر هذه الدراسات، ولعل هذا التدشين برز في الكتاب الرابع من الجمهورية حين فتح إمكانية إستشراف مستقبل الدولة فالسياق الذي رسمه هاهنا اشتمل على السمات والصفات التي يستوجب أن يثويها الحاكم والمسلك الذي يستوجب أن يسلكه لغرض تولي الحكم[1]، فهذا ما يسهم في بناء مدينة فاضلة، إنطلق أفلاطون في رسم مدينته في المخيال الفكري في متنه الجمهورية والفصل الرابع منه لا يعدو إلا أن يكون الشطر الذي يمثل المستقبل منه، والغرض الذي من أجله شيّد أفلاطون جمهوريته كان "تركز الجمهورية على تعريف العدالة الإجتماعية والأخلاق الفردية، ويسعى أفلاطون لتناول هذه المسألة بطرح سؤالين: كيف يكون المجتمع عادلا؟ وكيف يكون المرء مشاركا عادلا في المجتمع؟"[2] هذا التأسيس للمستقبل الذي قعّد له بوصفه أسمى الفنون فلا مشاحة في القول أن هناك تناص بين المستقبل والمدينة الحالمة التي أسس لها أفلاطون وحاولنا رصدها.

وتعتبر المسألة الزمانية التي إنشغل بها القديس أوغسطين سواء في الفصل الحادي عشر من الإعترافات أو في متنه مدينة الله بوابة لنمتشق منها مسألة المستقبل، فالتحديد الظريف للتحوّل الذي رسمه من الزمن الثلاثي "ماضي حاضر مستقبل" إلى الزمن الثلاثي "حاضر الماضي حاضر الحاضر وحاضر المستقبل"، هذا الإنزياح الذي رسمه نحو الغرض الديني المسيحي واضعا أسسا دينية للمستقبل مرتبطا بجوهر العقيدة المسيحية "الإنتظار" ولا التباس في القول أن المعنى هاهنا هو إنتظار مجيء السيد المسيح في المستقبل، ومن أجل تفكيك مفهوم المستقبل عند القديس أوغسطين الذي أسس ما يسمى بالزمانية التي إنشغل بها فيما بعد باسكال ومتتالية هوسرل هيدغر وريكور، إستوجب إستحضار كتاب "مدينة الله" والردود التي قدمها على فورفوريوس الذي إتهم المسيحية بالوهن"[3] بعد الحدث التاريخي المتمثل في نهب القوطيون لروما عام 410، هذا إستوجب على أوغسطين الفصل بين مدينة الله ومدينة الشيطان، فأرسى يوتوبيا في مدينة الله تحوي فضائل الأخلاق، بيد أن مكانها ليس في الأرض بل في السماء، أما مدينة الأرض فهي مدينة الشر والفوضى ومدينة الرذائل، فهي مدينة الشيطان، فأراد إزاحة اللوم الذي يتم إلقاءه على المسيحية بسبب مدينة الأرض التي هي في الأصل مدينة الشيطان، فاليوتوبيا التي يحلم بها هؤلاء بزعمه ليس مكانها الأرض بل

= الدراسات المستقبلية ويهتم باستشراف مستقبل الدول والحضارات ومجالات الحياة سواء كانت علوما أو أحداث هذه المراحل هي استتباع لما تم ذكره أعلاه وهو ما حاولنا إستخلاصه من محاورة الدكتور خالد الإدريسي التي شكلت منطلقا مهما في هذا السياق ينظر: خالد الإدريسي، تعاريف الدراسات المستقبلية، 2019/06/03، ummah.futures.net.

[1] - Klimon Lycos, Plato on justice and power, The Macmillan press, london, 1987, p106.

[2] – جمس أور، الجمهورية تحليل كتاب "الجمهورية" لأفلاطون، تر: هنادي مزبودي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص 48.

[3]- Mark Vezzey and others, Augusitine's city of god A critical guide, Cambridge University press, New York, 2012, P16.

يستوجب أن يكون مكانها الطبيعي السماء، إن هذا المطمح المستقبلي الذي دشّنه كان للذود الأصيل عن المسيحية وإنتظار المستقبل للعيش في المدينة الفاضلة التي عبر عنها في متنه، بهذا يمكن أن نرتسم خلاصة واضحة من قراءتنا للمتن الأوغسطيني مفادها: لا يوجد ماضي يمكن عيشه ولا حاضر يمكن تحويره للعيش داخله، بيد أن المستقبل –المرتبط بالإنتظار– هو السياق الوحيد المأمول رجاءه.

إن الخليق بنا هاهنا هو إستحضار قراءة الفلاسفة المسلمين للمستقبل، بسمتهم أسهموا في استشرافه، منذ لحظة إنبثاق ما يسمى بالفلسفة الإسلامية [الكندي والفارابي وابن سينا] بيد أن الركيزة الأساسية التي وجب الإشارة لها هو أبو نصر الفارابي (870–950م) الذي اشرأب إلى قياسين أصيلين، القياس الأول الأفلاطونية المحدثة والقياس الثاني تأثر الفارابي بالتقاليد الدينية الإسلامية، وتأخذ اليوتوبيا الشكل التام للإستشراف ولفهم الفيلسوف على وجهه الملائم، وجب التطرق إلى متنه آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها: خصّص الفارابي الفصل الثامن والعشرين من متنه لإستشراف مستقبل المدينة الفاضلة، ورسم الخصال التي إستوجب توفّرها في الحاكم أوالسلطان وبيّن أن هذه الخصال تستوجب توفّرها في شخص الرئيس "إذ رسم إثني عشر خصلة للرئيس حتى يتمكن من حكم المعمورة كلها [أن يكون تام الأعضاء وجيد الفهم وجيد الحفظ وجيد الفطنة وحسن العبارة ومحبا للتعليم وغير شره ومحبا للصدق وكبير النفس محبا للكرامة وأن يكون هينا على الدراهم وبالطبع محبا للعدل رادعا للجور وقوي العزيمة"[1] بيد أن توفر الخصال كلها في شخص أمر عسر وإذا أردنا أن نضع الأصبع على جوهر هذه الفكرة استتبعنا مقولة الفارابي في ضرورة بيان الخصال التي تستوجب توفرها في الرئيس الثاني، إن الإبانة التي صاغها لتحديد ماهية هذا الرئيس بعد الإقرار بتعسّر توفر الخصال الإثني عشر في رئيس واحد فحدّد خصال ست يمكن أن تفي بالغرض الذي رسمه وهو ترأس المدينة الفاضلة "أن يكون حكيما وأن يكون عالما حافظا للشرائع وأن يكون له جودة إستنباط وأن يكون له جودة رؤية وأن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الآولين وأن يكون له جودة ثبات ببدنه لمباشرة أعمال الحرب"[2]إن هذا الإستشراف سيساعدنا في إستضاح كيف بنى المفكرين المسلمين فكرة المستقبل، وحقيق بنا الإشارة إلى أن إبن رشد بنى فكرة مماثلة للتي صاغها الفارابي.

وشكّل القرن السادس عشر دعامة أساسية لظهور أدب اليوتوبيا[3] التي ترسم كل مجتمع خيالي تغمره حالة تامة من الأمان والسلام والسعادة والعدالة، إن إعتمادنا هاهنا على مدينة توماس مور الذي نحت المفهوم، إنه

---

[1]– أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، قدم وحقق له ألبير نصري نااور، المكتبة الشرقية، بيروت، 1986، ص127–128.

2– المرجع نفسه، ص 129–130.

3– صاغ توماس مور (1478–1535) هذا المفهوم في روايته الشهيرة يوتوبيا، وأصدرها 1516 وهي لفظة مركبة من شقين وتعني Uo لا Topia مكان، اللامكان هذه الصيغة إمتشقها مور من اللغة اليونانية ينظر: Susan Bruce and others, Three Early Moderne Utopias, utopia new atlantis the isle pines , OXFORD university press, =London, 1999, p10

ليس من الصدفة أن يعبر الشراح عن "المناهل الكثيرة التي إقتبس منها مور يوتوبياه: من جمهورية أفلاطون ومدينة الله للقديس أوغسطين ورحلات أمريكو فسبوتشي[1] وحضارة الإنكا قبل غزو الإسبان، هذه النظريات جميعا لا يستبعد كل منها الأخرى بالضرورة، ولا تخطئ العين تأثير الكتّاب اليونان والرومان في يوتوبيا مور"[2] ، وقسّم مور الكتاب إلى جزئين الكتاب الأول رسم وصفا، كيف إرتحل من إنجلترا إلى فلاندرز وكيف إلتقى روفائيل هيثلوداي "الرحالة الذي رافق أمريكو فيسبوتشي والذي شدّ الرحال رغبة في التعلم والمعرفة، وأنه فيلسوف وعالم ضليع باللغة اليونانية وأن له فلسفته الخاصة في نظام الحكم وإقامة العدالة، فهو يؤمن بالسلام والعدل وإشتراكية الحياة ويحتقر الظلم "[3] هذا الرسم الذي قدمه يوضح كيف يتذكر هيثلوداي أسفاره بحذق كبير، ورجاحة عقله التي جعلت منه يقر كيف يحقق النظام الإشتراكي العدل بين الناس وأن التملك الخاص للوسائل هو مصدر كل الشرور، ورسم الأخلاق العامة التي يقوم عليها الناس، أما الكتاب الثاني من اليوتوبيا فهو يصف المناحي العامة للأرض التي يعيش فيها، ويمكن تقسيمه إلى خمسة أقسام "يعالج الأول منها جغرافية الجزيرة وتخطيط المدن وحياة السكن، ويتناول الثاني نظام الحكم واختيار الرؤساء ونظام العمل والحياة الإجتماعي، أما الثالث فيعالج الأساس الفلسفي للحياة في الجزيرة والأخلاقيات ونظام الزواج، والرابع يتناول علاقة يوتوبيا بجيرانها والحرب، وأخيرا الأديان في يوتوبيا"[4]، إن تحديد هيثلوداي كيف يعيش السكان في أربع وعشرين جزيرة لديهم نفس التقاليد ويتحدثون نفس اللغة، وكيف يقسم السكان هذه الصياغة التي حددها مور بيّن كيف تكون المدينة الفاضلة، واستجمع الأسس التي بها تتقوّم بها يوتوبياه وكيف يبني مدينته الخيالية.

أما فرنسيس بيكون والذي صاغ مدينته الفاضلة "أطلنطا الجديدة " وبيّن الدور الحاسم الذي سيلعبه العلم والعلماء في أطلنطا ومدى متانة المنهج التجريبي، ولعل "السياق الذي رسمه بيكون واتكئ عليه كان يوتوبيا توماس مور الذي اعتبره أنموذجا"[5] أطلنطا التي خطها بيكون مدينة تنكأ كل الجروح التي يعتاشها الإنسان ، ولعل التخصيص الذي قدمته أطلنطا بيكون يكون مفتاحا للولوج إلى حكم التكنوقراطية[6] فيما بعد، رسم بيكون

= وفي نطاق هذا النحو برز في التاريخ الفكري مؤلفات في مجال اليوتوبيا كمدينة الشمس لتوماس كامبانيلا (1568–1639) وعالم جديد شجاع لألدوس هكسلي والجنس القادم للورد جورج بولور ليتون وغيرها ..

1– بحار ومستكشف إيطالي (1454–1512) أقرّ أن أمريكا قارة جديدة وليس إمتداد لسواحل الهند كما خمّن في ذلك كريستوف كولمبوس.

[2]– ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تر: عطيات أبو السعود، عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص100.

[3]– توماس مور، يوتوبيا، تر: أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ط2، ص52

[4]– المرجع نفسه، ص61.

[5] Browen Price and others, Francis Bacon’s new atlantis new interdiscplinary essays, Manchester university press, Manchester, 2012, t1, p28.

[6]– بان المصطلح في القرن العشرين (1919 دونه أول مرة ويليام إتش سميث وانجلى في كتابات إدوارد بيلامي وأعمال ثورستين فيبلين) ويعني بأولوية أهل التخصص في تولي شؤون الرأي العام، حصحص المصطلح غداة الحرب العالمية =

في عمله هذا الذي لم يكتمل "جزيرة يوجد فيها بيت سليمان، وهو دراسة مخصصة لدراسة أعمال الله ومخلوقاته وتأملها، لقد أبلغ بيكون أن غرض وجودنا هو معرفة العلل والحركات والفضائل الداخلية في الطبيعة"[1] إن الإستشراف الذي رسمه بيكون ورغم كونه يبدو ضرب من الخيال بيد أنه إرتسم طريق شقّه العلماء فيما بعد، فالإعراض الذي قدمه للجامعة الإنجليزية والتي كانت تقتصر على تدريس العلوم النظرية، ولعل التلاعب بالمصطلحات المعقدة كانت أجود ما تقدمه، بيد أن بيكون تفطّن أن المنهج التجريبي سيكون المسلك الذي يستوجب على العلم إنتهاجه، وكان الغرض الذي إبتغاه لذلك، ولا يكاد يخفى علينا مدى تأثير بيكون في هذا الغرض لتأطير العلم بالشكل الملائم، إن يوتوبيا بيكون كانت المدخل الحقيقي الذي إشتغلنا عليه لبيان أهمية المستقبل في الفلسفة الحديثة وكيف أنه رسم منهجا حقيقيا للعلم.

إن المقالة التي قدمها إيمانويل كانط 1795 المعنونة من أجل السلام الدائم، [فلعل هذا المتن يصنف كأحد أهم أشكال الفلسفة السياسية قد تمت صياغته] التي شكّلت الدعامة الأساسية لبلورة الفكر المستقبلي الذي إرتسمت خيوطه الأخيرة بهذه المقالة، فقد عمد على إخراج سؤال المستقبل من الدائرة الدينية إلى شكلها الحياتي، بعد أن كانت الدراسات منكمشة في الصياغة الدينية منذ أوغسطين، عكف كانط هنا إحتراف مساءلة مستقبل البشرية ، وانطلق من صياغة قضوية مفادها أن الدول إما أنها في حالة حرب أو في حالة سلام غير مستقر، فمرام كانط هنا كما أبان "فإن معاهدة السلام يجب أن تقضي على جميع أسباب الحرب في المستقبل"[2] فالمستقبل الذي كان الشغل الفلسفي في سياق آخروي[3] أخضعه كانط لنوع من التحليل السياسي فأبان عن الوضع الطبيعي الذي تكون فيه الدول، فأقر أن الصراع هي الحالة الطبيعية، بيد أن الصراع لا يجب أن يجعل الحرب أمرا مفروضا لا مناص منه ولا شكلا أخلاقيا[4] ، يصبو كانط إلى إضفاء الشرعية بين الدول وإقامة السلام ولو كان ذلك مصطنعا غير حقيقي، فالدول حسب كانط تتوسع بالحروب،

=الأولى بعد إقتدار العلماء في تسيير الحرب ينظر Richard G Olson, Scientism and Technoracy in the twentieth, Lexinton Books, New york and London, 2016, p83.

[1]– فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة من أوكام إلى سوريز، المجلد 3، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ط1، ص.421.

[2]– إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، تر: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1952، ط1، ص25.

[3]–تستوجب الإشارة هاهنا أن الإضطلاع االتام بالدراسات المستقبلية في الفلسفة الحديثة أمر يقترن بالإستحالة، وعلى هذا الأساس كانت قفزتنا مشروعة نحو كانط، بيد أن الإشارة إلى بليز باسكال (1623–1662) الذي إستأنف في أفكاره إعترافات القديس أوغسطين "نحن نستبق المستقبل" وعلى هذا إنكشف الرهان، وهذا ما أشار إليه ليبنتز (1646–1716) في رسالة خطّها إلى أرنولد بتاريخ أفريل 1680، حيث أشار أن الإنسان يتستبق المستقبل ويحمل إدراكات للمستقبل تخلق له هموما تجعل منه متألما على الدوام.

[4]– تجدر الإشارة أن كانط في هذه المقالة يختلف عن كانط الأخلاقي الذي عهدناه في نقد العقل العملي، فإنبرى لنوع من الواقعية التي حاولنا تتبعها هاهنا فهو يهدف إلى السلام ولا يفترضه، يسعى إلى السلام بين الدول في المستقبل ولم يرسم هذا المتن لإعادة بناء عصره الذي كان عصرا للصراعات والحروب، بمقتضى ذلك تمكنا من بناء حكمنا هذا.

وهذه الحالة الطبيعية، بيد أن الدفاع عن السيادة هاهنا أولى من كل مبدأ أخلاقي وهي الواجب، فكل الأخلاقيات التي نادى بها في مشروعه الأخلاقي غدت لا معنى لها هاهنا.

ولعل هذه المراوحة بين المشروع السياسي والمشروع الأخلاقي، هي التي صاغت معالم الفكر الكانطي المستقبلي، ولأجل إستجلاءه حدّد كانط هنا مواد ستة، إعتبرها المواد التمهيدية لتحقيق السلام الدائم وإبعاد حالة الحرب والنزاع بين الدول، فالإبانة التي حددها في القسم الأول من كتابه حددت بدقة المسعى الحثيث الذي صاغه "1-إن معاهدة من معاهدات السلام لا تعد معاهدة إذا انطوت نية عاقديها على أمر من شأنه إثارة الحرب من جديد، 2-إن أي دولة مستقلة (صغيرة أم كبيرة) لا يجوز أن تملكها دولة أخرى بطريق الميراث أو التبادل أو الشراء أو الهيبة، 3-يجب أن تلغى الجيوش الدائمة إلغاء تاما على مر العصور، 4-يجب ألا تعقد قروض (ديون) وطنية من أجل المنازعات الخارجية للدولة، 5-لا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة الحكم فيها، 6- لا يحق لأي دولة في حرب مع أخرى أن تستبيح لنفسها مع تلك الدولة القيام بأعمال عدائية من شأنها عند عودة السلم فقدان الثقة بين الدولتين"[1]، في القسم الثاني من المقالة دعا كانط إلى إتحاد بين الدول لغرض تحقيق السلام الدائم، عكف إلى تقديم البحوث الرئيسة التي من شأنها أن تبني تدريجيا السلام الدائم، وارتسم بحوثا ثلاث بشأن ذلك: الأول "يستوجب أن يكون دستور المدينة في كل دولة دستورا جمهوريا"[2] والثاني "ينبغي أن يقوم قانون الشعوب على أساس نظام إتحادي بين دول حرة"[3] والثالث "حق النزيل الأجنبي من حيث التشريع العالمي، مقصور على إكرام مثواه"[4] على هذا المعنى رفض كانط منذ البداية فكرة الدولة العالمية "اليوتوبيا" لأنها ستثير إشكالين حاسمين، الأول أنها ستزيل وتفتك بتلك الإختلافات المتأصلة في الثقافات، والثاني أنها تنكر مفهوم السيادة، ولجعل إتحاد الدول ممكنا إقترح كانط إصلاح الولايات من الداخل بجعلها تتبنى النظام الجمهوري، يصر هاهنا على أن الجمهورية هي النظام الوحيد الذي يخوّل له أن يكون قانونيا، لأنه يفترض الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، تشبث كانط هاهنا بفكرة جوهرية ألا وهي أن الناس إذا تشبثوا بالسلطة فلا يمكن أن يريدوا الحرب لأنهم يستوجب أن يتحملوا العواقب، لذا لا يمكن أن يتسدد السلام إلا بإعادة الجمهورية للدول، من هذا الإصلاح [جعل الدول جمهورية] يمكن تخيّل إتحاد بين الدول ذات السيادة والتي من شأنها أن تتعاون بسلام لأنها تعتمد على بعضها البعض، هكذا تستحوذ روح التجارة التي لا تستطيع أن تتعايش مع الحرب، وفقا لكانط فالسلام نموذج تنظيمي يستوجب السعي لتحقيقه فهو مبني ولا يمكن فرضه وهكذا تصبح الحرب موضوعا لهدم الأخلاق وممانعة إيتقية ، والسلام ضرورة وواجب سياسي وإتيقي، وهنا نستصيغ طرح

---

[1]- إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، مرجع سابق، ص ص 24-32.

[2]- المرجع نفسه، ص 41.

[3]- المرجع نفسه، ص51.

[4] - المرجع نفسه، ص60.

التساؤل، كيف نبني الحياة بالحرب؟ فإجابة كانط هاهنا واضحة يستوجب أن لا تكون هناك حربا بيني وبينك في حالة الطبيعة ولا بين الدول.

يهبنا ماركس[1] كشفا صريحا عن المستقبل وكيف قبض على مفهومه النهائي ، ورسم خيوط اليوتوبيا التي حددها في تفسيره للتاريخ ففي كراسته الصغيرة، أطروحات حول فوبرباخ[2] أرسى في الأطروحة الحادية عشر "إن الفلاسفة لم يفعلوا غير أن فسروا العالم بأشكال مختلفة ولكن المهمة تتقوّم في تغييره"[3] ما يجعلنا نفلح في إستبصار ماهية حقيقية للمستقبل، فالدارس للفكر الماركسي يستظهر الإشتغال الماركسي على التاريخ، وتحليلية ما يسمها المادية التاريخية التي يكشف فيها عن أسباب التطورات والتغيرات في المجتمع البشري، إن الإستباق الذي قدمه ماركس في ارتسام السياق الذي ستنهار الرأسمالية وتبنى المرحلة الشيوعية أسس به ماركس ست مراحل تاريخية "المجتمع المشاعي، والمرحلة العبودية والمرحلة الإقطاعية والمرحلة الرأسمالية والمرحلة الإشتراكية والمرحلة الشيوعية"[4] فالمرحلة الشيوعية التي ستعبّر عن نهاية التاريخ، وبشّر بها ماركس واعتبرها مرحلة حتمية لا مناص منها هذه المرحلة التي عبّر فيها عن التملك العام لوسائل الإنتاج، وإلغاء ما يسمى بالعملة فحاول بناء مدينة فاضلة وعالم مثالي على أرض الواقع، وهذا عبر خطة عمل ومشاريع عملية، ليصل في يوتبياه إلى مرحلة اللاطبقية بل ولا السلطوية أو ما يسمى بالأناركية[5].

ثانيا: تعريف الدراسات المستقبلية:

إنه حقيق علينا أن نتبين هنا في هذا المطلب، الصيغة النهائية للمفهوم لهذا الجنس المعرفي، لغرض التكشيف عن الماهية الحقيقية للإستشراف وغرضنا هاهنا هو إرتسام طبيعة هذا النوع فساقتنا إلى محاولة تبيان جوهرها فكان التساؤل الذي لا مناص منه الذي طرحه المتخصصين في هذا الحقل: هل الدراسات

---

[1]– لعل المقابسة التي طرحها فتحي المسكيني والموسومة ب"الفلاسفة والمستقبل" الذي أقر بأن ما عثرت عليه الباحثة الفرنسية كاترين مالابو هيغل باعتباره الفيلسوف الذي وفّر الأرضية المناسبة للتفكير في حقيقة المستقبل، بيد أنه أشار إلى جملة الإعتراضات بشأن ذلك، ربّ إعتراض قدمه هيدغر الذي أقر بأن هيغل لم يفكر بالمستقبل، ما استحضر هاهنا ألكسندر كوجيف الذي دافع عن أهمية المستقبل في فلسفة هيغل، ينظر: فتحي المسكيني، الفلاسفة والمستقبل، 2022/04/20، m.ahewar.org هذا التشتت الذي ألفيناه في مقاربة أودى بنا إلى الإعراض عن تناول الفكرة.

[2]– كتب كارل ماركس (1818–1883) هذه الكراسة في عام 1845، بيد أنه لم ينشر إلا عام 1888 في ملحق لطبعة منفردة لكتابه "لودفيغ فويرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية" وهو المتن الوحيد الذي إستطعنا الحصول على النص الأصلي للأطروحة.

[3]– فردريك أنجلز، لودفيغ فويرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، دس، دط، ص110.

[4]– ريوس، أقدم لك ماركس، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص125.

[5]– الأناركية لفظة قديمة ويمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين "أن" و"أركي" وهي تحيل من معنى قريب إلى غياب السلطة وعادة ما تعبر الكلمة عن معنى قدحي بسبب أنها تؤسس للفوضى وغياب التنظيم ينظر: دانيال غيران، الأناركية، تصدير: نعوم تشومسكي، تر: عومرية سلطاني، تتنوير للنشر والإعلام، القاهرة، 2015، ط1، ص57.

المستقبلية عبارة عن فن أم علم؟ إن تساؤلا من هذا القبيل كان لا بد منه لغرض إقتناص المعنى الكامل، ولعل الإشارة التي قدمها عالم المستقبليات الأمريكي ويندل بيل Wendell Bell حول التباين بين إستعمال الدراسات المستقبلية بين العلمية واستعماله كَفَن حيث لم يتفق رواد هذا الجنس حول طبيعتها "أكد الكثيرون من رواد الحقل من أمثال الفرنسي برتراند دي وجوفنيل[1] على أن الدراسات المستقبلية لا تؤهلها لأن تصبح علما"[2] هذه الإبانة كشفت عن رأي هؤلاء بعدم جدوى علمية الدراسات، بيد أننا لسنا بصدد إستقصاء هذا الموضع من التحديد بل كان غرضنا الإشارة إلى هذه المماحكة التي إشتغل عليها هؤلاء حتى لا نزيغ عن مرادنا ببيان تعريف لها، كما عيّن هاهنا "ترى مجموعة أخرى من المستقبليين على شاكلة Bechwith[3], Malaska[4] أن الحقل يعد علما في الأساس فعلى حد قولهم يمارس الآن العديد من المستقبليين ما ينطوي على نشاط علمي"[5] وجه الظفر هاهنا هو تحديد الموضع الأكثر خصوصية، ألا وهو الإقرار أن هذه الإبانة قد أسفرت عن وجه الإضطلاع الذي يمكن أن تشكله الدراسات المستقبلية لتغدو علما قائما، ولسنا هاهنا بصدد تحليل وجهات النظر التي صاغها هؤلاء، بيد أن بيت القصيد يمكن إستلاله من الصياغة التي حاول بيل تقديمها بوجود من يصوّغ بكون الدراسات المستقبلية خليط بين العلم والفن، ولسنا بصدد البحث عن كون هذا الجنس المعرفي علم أو فن بقدر ما حاولنا الإشارة إلى ذلك لغرض التنبيه.

إن مطيتنا للخطر حول المفهوم الذي إعتمدناه "الدراسات المستقبلية" واقترانه بمفاهيم كعلم المستقبليات وكذا المستقبليات، والبحوث المستقبلية، والدراسات البصيرة، "ففي كتاب جمعيات الدراسات المستقبلية Futures Studies Federation تساءل ويندل عن الإسم الذي يجب إطلاقه على الحقل الجديد، وناقش في فصل كامل الخيارات المتاحة، ما بين الدراسات المستقبلية وأبحاث المستقبليات وحقل المستقبليات وغيرها، ثم وقع إختياره في النهاية على مصطلح الدراسات المستقبلية مع اعترافه بالصعوبة التي تواجه الباحثين في هذا الشأن"[6] إذا هذا الحقل هو التكهّن الممنهج للمستقبل، وقد نستصيغ صياغة الجملة التالية "يجب أن نذهب إلى الإيرادات قبل أن تدهمنا" رب جملة إفترضنا أنها ستمكننا من التحديد الدقيق لمعنى الإستشراف ومعرفة القادم الممكن أو المتوقع حتى يتسنى لنا تهيئة الظروف المناسبة لاستقباله، فنحن نود معرفة الفرص أو المخاطر لنكون مهيئين لإستقبال الأحداث.

يشير الباحث ضياء الدين زاهر إلى أن الدراسات المستقبلية تخصص علمي يهتم بسقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف مجالات السلوك الإنساني "والغرض من هذا

---

[1]– جوفنيل (1903–1987) صحفي وسياسي فرنسي متخصص في المستقبليات.

[2] - Wendell Bell, Foundations of futures studies, Volume 1, Transaction Publishers, New York and London, 2009, printing 5, p 167.

[3] Burnham Putnam Beckwith (1904—1989) Ideas about the futur, a histoty of futurism, next five hundred years.

[4] Pentti Malaska (1934-2012) the futures field of research, futures research quarterly....

[5]- Wendell Bell, Founadations of futures studies, op, p168.

[6]– أمنية الجميل، ماهية الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2012، ص28.

التخصص مساعدة صناع القرار وصانعي السياسات أن يختاروا بحكمة في إطار أغراضهم وقيمهم من بين البديلة المتاحة للفعل في زمن معين"[1] فهذه الدراسات تُعنى بالنظر إلى المدى المأمول والمحتمل، ويبدو أن الدراسات المستقبلية ليست التنبؤ بالمستقبل، لأن التنبؤ هو إدعاء بإمتلاك صورة تامة وواضحة، أو هي علم يقيني بالمستقبل، وهذا ما لا يمكن الأخذ به.

أقر المهدي المنجرة أن الدراسات المستقبلية ليست تخصصا جامعيا، أو فرعا علميا، ولم يكن يستصيغه كنوع من الترف الفكري كمحاولة لإرتسام كيف يمكن أن يكون عليه المستقبل المأمول والمحتمل، بحيث يشدّد على أن هذا الجنس المعرفي "تستلزم أن يتسّم بتحليل معطيات الواقع واتجاهات الأحداث من جهة، ومن جهة ثانية الطريقة المنهجية المتبعة في ذلك، فهي إطار إبتكار وإبداع وأنساق قيم إجتماعية ثقافية وترجمة تلك الأغراض إلى مخطط عملي في شكل اختيارات بديلة وسيناريوهات ممكنة"[2] ولعل المتفحّص لهذ الحقل المعرفي يقر مع المهدي المنجرة أن هذه الدراسات باتت واقعا مستقرا بل ومفروضا، بيد أن الباحث لم يتغافل وجه الصعوبة التي تختلجها في هذا الباب، والذي غدا أهل الإختصاص فيه يتكئون عليه كنوع من "التلاعب بجهة التوظيف والتحايل وبصرف النظر عن إمتطاء ناصيتها من لدن هذه الجهة أو تلك، لتبرير الحاضر أو القفز عليه، فإن المنجرة لم يتراجع قيد أنملة عن الوصفة الجوهرية التي ترتكز عليها هذه الدراسات" [3] هذه الإشارات التي حددها المنجرة تشير إلى أهمية هذا الجنس المعرفي ووجوب النظر إليه لرسم الغد المأمول وتفادي الأخطار المحتملة.

إن المستشرفون قد تعوّدوا أن يرددوا: أن الإستشراف هو تجنّب المخاطر التي قد تدهمنا وهذا ما أشار إليه إدوارد كورنيش Edward cornish حيث أقّر "إن إستقراء المستقبل –أو الإستشراف – هو مهارة يمكن أن نتعلمها، وبإمكان مثل هذه المهارة أن توفر لنا فوائد عظيمة أكثر من أية مهارة أخرى يمكن إكتسابها"[4] وأصّر هاهنا على ضرورة تتبّع الأوضاع المتسارعة التي يمضي فيها العالم ووتيرة التغيّر في العالم، فعلى هذا الأساس يستوجب الإحاطة بهذا التغيّر لغرض إتخاذ القرارات الحكيمة حول المستقبل الذي ينتظرنا ولغرض التخطيط لحياتنا بشكل عام، وافترض كورنيش أن الإستشراف ليس التنبؤ الذي هو انحسار للمعرفة دون فهم أصيل للتبعات، ولعل التنبيه الذي قدّمه "إن هدف الإستشراف ليس التكهّن بأحداث المستقبل، ولكن العمل

---

[1]– ضياء الدين زاهر، مقدمة في الدراسات المستقبلية مفاهيم – أساليب– تطبيقات، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2004، ط1، ص51.

[2]– يحي اليحياوي، المستقبل في فكر المهدي المنجرة، مجلة إستشراف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد الأول، 2016، ص 230.

[3]– المرجع نفسه، ص232.

[4]– إدوارد كورنيش، الإستشراف مناهج إستكشاف المستقبل، تر: حسن الشريف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2007، ط1، ص25.

لجعل هذا المستقبل أفضل، ولدينا فرص عظيمة لتحسين مستقبلنا"[1]فاستقراء المستقبل غدا حاجة ملحة، يستوجب التنبيه إلى استباق الأحداث واستبصارها حتى نتقوّى على التغيرات المتسارعة في العالم، فالإستشراف إفتراع جديد غايته الأخذ بأسباب إدراك المستقبل المأمول.

والحوصلة التي يمكن أن يستجمعها مطلوبنا[2] بعد الفحص هو الزج بقولة المستقبل كحقل معرفي كان الغرض منه ارتسام السيناريوهات[3] التي نرنو إليها ونسعى إلى بلورة المجتمعات في شكل مثالي، ونرسم العدة المناسبة لمواجهة تغيرات العالم في أطره الإقتصادية والسياسية والإجتماعية.. فالمستشرف ينطلق من الماضي المعلوم والحاضر المعلوم ليبني إفتراضات يعتقد أنها ستفتح أبواب المستقبل، فالغاية الكبرى إذا من هذا الحقل المعرفي هو صنع المستقبل الأفضل للشعوب.

ثالثا: إمتشاق إدغار موران الدراسات المستقبلية بوصفها إمكانا للمعرفة

إن الأمر يتعلق الآن بمباحثة حول مسألة المستقبل لدى إدغار موران لم تتولد دفعة واحدة عند بلورة مشروعه الفكري منذ أواخر ستينات القرن المنصرم، بيد أن المسألة إنكشفت بعد طرحه كراسة الأزمة 1976، ليردفه بالجزء الأول من موسوعة المنهج الموسومة بطبيعة الطبيعة 1977، إن هاذين المؤلفين كان لهما الدور الحاسم في إنبثاق المشروع الموراني، لذلك سوف نهتم إهتماما خاصا بهما في هذه الحقبة، التي إنبرى فيها لتغوّل الآداتية وطفق يحترف نوع جديدا من الكتابة تعبّر فيه عن الأزمة الإنسانية[4] كما أشار إلى ذلك في كتابه 1981 "من أجل الخروج من القرن العشرين" ، حيث أبان "أزمة الإنسان الذي مازال عاجزا عن التحقق كإنسان"[5] فالأزمة الإنسانية[6] التي إشتغل عليها موران، كانت بوابة لنقد العقل الآداتي، الذي أرسى

---

[1]– إدوارد كورنيش، الإستشراف مناهج إستكشاف المستقبل، المرجع نفسه ، ص26.

[2]– حقيق بنا أن ننبه إلى فكرة أن الحقل العسكري كانت منطلقا بارزا للدراسات المستقبلية، فالحرب الباردة كانت أرضية للصراع الأمريكي السوفياتي ينظر: وليد عبد الحي، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمّان، 2002، ط1، ص ص14-18.

[3]– السيناريو هو التصوّر الحالي للعالم الغير الحاضر معي، ويقترن بفكرة التخطيط (سواء قريب أو متوسط أو بعيد المدى) ولعلنا يمكن القول أن السيناريو هو خطة لسلسلة الأحداث والإجراءات الممكن إستشرافها بقدر من التراتبية والسلسلة الهرمية دون خرق للقواعد الأساسية التي تنبني عليها ونفترض أنها مرتبطة بالإبداع، لأن المبدع يتقوّى ان يستجمع الأفكار ويضغها في قالب معين من الإبداع، لنترجم الخيال بلغة الإبداع. ينظر: رحيم الساعدي، المستقبل مقدمة في علم الدراسات المستقبلية، ج2، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، 2011، ص132.

[4]– المراد بالإنسانية هنا وبشكل عام في عنوان أطروحتنا هو جمع لكلمة الإنسان ونقصد بها الجموع البشرية في بقاع الأرض وتشير أيضا إلى مجموع الصفات التي تجعل منا بشرا، فنحن لا ننفك نجمع بين البشرية والإنسانية سواء بالربط بين الإنسان بكونه كائن أو بكونه حامل لتلك الصفات الإنسانية كالإحسان والإيثار وغيرها...

[5]– إدغار موران، إلى أين يسير العالم، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009، ط1، ص46.

[6]– نقصد بها تلك الإختلالات التي تقع في تشكّل الإنسانية سواء بغياب تلك الصفات الإنسانية أو الصعوبات التي تواجه الكائن البشري في كوكب الأرض.

قواعده مع مدرسة فرانكفورت[1] وفلاسفة آخرون على شاكلة زيجمونت باومان، إن الأمر غدا يتعلق بمساءلة الثقافة الغربية التي بلورت لإنسانية مشتتة إنكمشت فيها الثقافة الجماهيرية التي تعتبر المقام الكبير الذي تشبث بها موران، كما صاغ نقدا صريحا لثقافة العولمة فرغم كون العولمة أسست لبشرية مشتركة بيد أنها عجزت عن بناء وعي عالمي، حاول بناء أسس الحياة وإرساء روح التضامن بين البشر في عصرنا الراهن، إن ذلك على أهميته فإنه أفضى بنا إلى تكوين غرضنا هاهنا وهو محاولة الكشف عن طبيعة التماهي بين منهجيته ومشروعه.

عكف موران على بلورة ثقافة العيش المشترك، باعتبارها الرهان الذي يستوجب الوصول إليه والإتكاء عليه، إن النتيجة العامة التي توصّل إليها موران نستصيغ أن نعبر عنها في القضية التالية: "إن الخطر يدهمنا"، وبالنظر إلى غرض موران، نحن نجد أنه قد خلص إلى نتيجتين لافتتين للنظر في مشروعه،النتيجة الأولى هي ضرورة الإشارة للخطر الذي أولجتنا فيه التقانة، هذه المسألة التي إستشرفها ونذرها المؤرخ الألماني أزولد أشبنغلر[2] الذي صاغ نظرية فحواها التنبيه إلى الخطورة التي آلت إليه الحضارة الغربية، وجه الخطورة في هذا التنبيه أن الأمر بات يتعلق ليس بنهاية نرى ثمارها في المستقبل، بل غدت على وشك أن تدهمنا في الوقت الحاضر[3]. أما النتيجة الثانية التي أشار إليها موران وهي أن التقانة التي أضاءت الظلام لم تقدر أن تضيء الظلام الداخلي، هذه النتيجة بمثابة الصياغة الإبتدائية الحاسمة التي هيأت لإمتشاق موران للدراسات المستقبلية.

---

[1]– إن الإنتماء الموراني إلى اليسار أفضى إلى محاولته لتطبيب مشاكل البشرية الإجتماعية والسياسية وغرضه كان الحد من الخطر الشمولي الذي يفتك بالأرض وبالإنسان، حتى نتمكن من قهر العقلية الآداتية، بهذا المعنى إشترك موران مع مبادئ مدرسة فرانكفورت وسنحاول أن نرتسم هذا المسار.

[2]– كان أشبنجلر واحدا من علماء الإجتماع مع معية ثلة من الأدباء الذين رسموا بواكير الإنهيار، والتي أعطت الحربين العالميتين قطافها الكبرى، هذه الأفكار لم تأتي دون مخاض طويل وعسير، بل هو مخاض في التبلوّر منذ أربع قرون مع فرنسيس بيكون ورونيه ديكارت، ولعل أبرز من أشار إلى خطورة الوضع نفتتح بجان جاك روسو وشارل بودلير وليو تولستوي =وفيودورو ديستافسكي وألفريد نوبل وألبرت شفيتزر وجاك لندن، وأرنولد توينبي وجورج أورويل والمؤرخان الأمريكيين بروكس أدامز وهنري أدامز.

[3]– إن التنبؤ الكبير الذي طرحه أشبنجلر في متنه "تدهور الحضارة الغربية" طرح فيها ملامح وخصائص عصره المعاش بوصفه محاولة جادة لرسم الخطر المدهم والذي ولجت فيه الإنسانية وكأنه قدرها المحتوم، طفق أزولد أشبنجلر في كتابة الجزء الأول منه عام 1911 وانتهى من تأليفه 1914 والذي منحه عنوان "شكل وحقيقة" حيث بحث لغة الصور في الحضارات الكبيرة التي يعبر بها إحساس كل منها بالعالم ، بيد أن إندلاع ح ع1 حالت دون نشره، وكشف عنه غداتها 1918، أما الجزء الثاني الذي وسمه "منظورات تاريخية عالمية " يضع الحضارات الكبيرة في علاقة تاريخية مع بعضها البعض، ويستخلص من ذلك شروط ومؤهلات التتنبؤ بالمستقبل نشر هذا الجزء عام 1922، بيد أنه بعد عام قدم أشبنجلر صياغة منقحة بدرجة كبيرة للجزء الأول، بحيث صار الكتاب مكتملا للجمهور في صيغته النهائية عام 1923. ينظر روبرت زيمر، في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة، تر: عبد الله محمدأبو هشة، ج 2، دار الحكمة، لندن، 2012، ص214.

إن موران يفتتح الإشتغال بالدراسات المستقبلية باستلال الفلسفات التي تنبأت بالمستقبل ورسم مواقع الزلل التي وقعت فيها، إن وجه الإعراض الذي قدّمه إنطلق من اعتقاد المستشرفين "أن الماضي معلوم علما يقينيا وأن الحاضر معلوم بطبعه، وأن أساس مجتمعاتنا ثابت، وأن المستقبل سيبنى داخل هذه الأسس المتينة"[1]إن هذه الإبانة التي إتكئ عليها المستشرفون أولجتهم في شكل من الطوباوية بحيث لم تنجلي النتائج التي ابتغاها هؤلاء، وشيدوا مستقبلا خياليا لا وجود له، ذلك أنهم لم يضعوا اليد المناسبة على الجرح وصاغوا المستقبل إنطلاقا من الحاضر كما وسمه "المسمن بالهرمونات" أي بوصفه واقعا متغيرا لا ثابت، فقعّدوا للحاضر على أنه المستقبل، إن المتصفح للكتاب يجد الإستشهاد الذي استوحاه موران من المهندس الفرنسي روبيرت جيبر[2] الذي افترض أن الخبراء أخطأو بانتظام منذ عشرين عاما، فالعملية الإستشرافية كما يصر ليست عملية خطية كما تم ارتسامها، بيد أن التساؤل الذي لا مناص منه هاهنا والذي سنفكر فيه مع موران كيف سنفكر في المستقبل؟ أو كيف سنبني نظرتنا المستقبلية؟ إن تساؤلا من هذا القبيل سيجعلنا نتدرج في هذه المباحثة بحيث يعمد موران إلى تثبيت مفهومه للدراسات المستقبلية، حيث أقر أن هناك تداول في المعرفة بين الماضي والحاضر، فالمعرفة نوع من التقابلية بحيث نعرف الحاضر بالماضي، كما نعرف الماضي بالحاضر، فوجه العلاقة تبادلية بينهما يقول موران "والواقع أن هناك دائما عملية تفاعل تبادلي بين الماضي والحاضر، حيث أن الماضي لن يساهم في معرفة الحاضر فحسب، وهو أمر بديهي بل إن تجارب الحاضر تساهم في معرفة الماضي، ومن هنا نعمل على تغييره"[3]، فعلى هذ الأساس تصبح المعادلة المورانية تنتقل من الصياغة المعروفة سلفا والتي تقر بـ :

ماضي معلوم ⟵ حاضر معلوم ⟵ مستقبل يمكن التنبؤ به

إلى الخطاطة التالية:

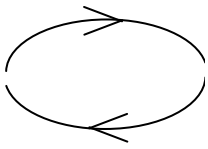

إن المتأمل في هذه الإشارة سيتساءل: كيف يمكن لنا أن نغير الماضي؟ إن تساؤلا مثل هذا وجيه إلى الحد الذي يمكن لنا فيه الإشارة إلى الرؤية المورانية التي توسعت في هذ الصدد بشكلها الملائم، عكف من أجل أن يبرز موقفه إلى العودة إلى تاريخ الثورة الفرنسية، فالمؤرخ الذي ينظر بنظرة ثاقبة للأحداث التي إن العودة

---

[1]– إدغار موران، إلى أين يسير العالم، مصدر سابق، ص9.

[2]– مهندس فرنسي (1904–1980) وهو رئيس الجمعيات الإحصائية لفرنسا.

[3]–إدغار موران، إلى أين يسير العالم، مصدر سابق، ص10.

إلى التاريخ ستكون عبر عدم قدرة المستشرف على التنبؤ بمستقبل الثورة الفرنسية، بيد أنه اليوم والمتأمل لأحداث 1787 و1788 سيدرك بضرورة وجود الثورة الفرنسية في 1789 فالذي نستطيع إدراكه هو عملية تغيير قراءة الماضي وليس تغيير الماضي بالمعنى المادي الذي تتم قراءة موران به[1]، ويشير "وهكذا يكتسي الماضي معناه إنطلاقا من النظرة البعدية التي تمنحه معنى التاريخ، وذاك هو مصدر التبرير الدائم واللاشعوري الذي يدرج الصدف تحت غطاء الضرورات، ويحوّل اللامتوقع إلى أمر قابل للوقوع ويقضي على الممكن الذي لم يتحقق لصالح حتمية حصول ما حدث"[2] إن هذه المقاربة المورانية التي تنطلق من معرفة الماضي معرفة تمكننا من بلورة الأحداث التي أعقبتها، يهيء لنا معرفة الحاضر بدقة، فوجه المفارقة الذي سقط فيه المستشرفون كان عدم الإلمام بمعرفة الحاضر، فنلفى أن معرفة الماضي معرفة جادة ترسم لنا بصورة نموذجية معرفة الحاضر بصورة أوضح، بيد أننا سنطرح مع موران تساؤلا فرض نفسه: هل ينطلق مستشرفوا المستقبل من معرفة الماضي؟ سنجد أنفسنا نجيب مع موران بالنفي، فالمنطلق الذي ينطلق منه المستشرفون كان محاولة معرفة المستقبل فقط لأن الحاضر معلوم والماضي معلوم في معادلة خطية مستمرة.

بيد أن موران تحاشى السقوط في هذه المفارقة ووجد أن اكتشاف ثغرات الماضي سيتيح لنا فحص ثغرات الحاضر التي غفلنا عنها، فهاهنا ستحيلنا إلى فك شفرة الماضي، فبيت القصيد هنا هو معرفة ثغرات الماضي وتطبيبها لغرض تجنب وقوعها في الحاضر، ثم إن معرفة الفجوات في الحاضر على شكلها الملائم ستؤدي بنا إلى معرفته، فالغرض الذي رسمه موران للتكشيف عن المستقبل أنه يتولد من الحاضر، فالرهان الموراني هاهنا هو الكشف على أن صعوبة التنبؤ بالمستقبل يتمخّض من صعوبة معرفة الحاضر، فغرضه النهوض بتقديم منهجي يضبط العلاقة بين الحاضر والمستقبل، فكانت الصياغة المورانية هي معرفة المستقبل تتبلور من معرفة الحاضر، ومعرفة الحاضر يمكن بلورته من التنبؤ الجيّد بالمستقبل وعلى الأساس تصبح الخطاطة المورانية على الشكل التالي:

[1]-عاينت الثورة الفرنسية أضرار الإنتفاضات الشعبية التي أردفت حرب السنوات السبع والبذخ في تمويل حرب الإستقلال الأمريكية، وسيطرة الملك وحاشيته والطبقة الأرستقراطية ورجال الدين، وهذا بالإضافة إلى الأموال التي كان يصرفها لويس السادس عشر وزوجته ماري أنطوانيت، ما علق فيه الشعب بفرض الضرائب عليه ما أسهم في قيام الثورات الثلاث (المحامين والفلاحين والثورة الباريزية) ينظر: فرانسوا فوريه وديني ريشيه، الثورة الفرنسية، تر: صياح الجهيم، ج1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ط2، الفصل الثالث بتصرف.

[2]- إدغار موران، إلى أين يسير العالم، مصدر سابق ، ص10.

إن الإبانة المورانية التي إستدلّ بها "لكن لا يكفي التفكير في الحاضر بشكل صحيح لكي نكون قادرين على إستشراف المستقبل، لكنها تتضمن بذورا مجهرية ستتبلوّر، لكنها الآن غير مرئية لأعيننا"[1] تكشف عن ضرب خطير من تبعية الحاضر للمستقبل، فهاهنا أيضا سنجد أنفسنا أمام سؤال لابد أن يفرض نفسه: كيف للمستقبل أن يبني الحاضر وهو لم يدرك؟ فهذه الفكرة التي كشف عنها موران في شكل تمثيلي، فالدول الغربية بعد 1950 لم تستشرف بالشكل المناسب أن الإقتصاد سيكون تابعا للبترول، هذا الأخير غدا تابعا للدول التي تراجعت تبعيتها للدول الغربية تدريجيا، فكانت النتيجة أن الدول الغربية غدت تابعة بشكل أو بآخر تابعة لتلك الدول التي أصبحت تتحكم في البترول [البترول تابعا لها]، فهذا المثال أحالنا إلى الطريقة النموذجية في تجذير التداول بين الحاضر والمستقبل، وكيف أن المستقبل غدا يرسم لنا صورا ملائمة عن الحاضر، فهذا التكشيف يحيلنا إلى أن الحاضر يرسم لنا خيوط المستقبل، كما أن المستقبل يشكّل لنا الخيوط الهادية للحاضر، فهذا هو المسعى الموراني الذي أراد من خلاله النهوض بمنهجية مناسبة لإستشراف المستقبل بصياغة أكثر ضبطية.

إن ما يهمنا هنا خاصّة هو تبيان العلاقة المتبادلة بين الماضي والحاضر؛ التي تنجلي فيه أن ثغرات الماضي يمكن أن ترسم لنا الحاضر، كما أن معرفة الحاضر تمكننا من بلورة ومعرفة الماضي بشكله الملائم لأنه يشكل الحاضر، فأي تغيير في قراءة الحاضر هو تغيير في قراءة الماضي، وعلى هذه الشاكلة تتكشف العلاقة بين الحاضر والمستقبل، فالمعرفة الملائمة للحاضر تكشف لنا الطريقة المناسبة للتنبؤ بالمستقبل، ورسم الخيوط المناسبة لذلك، كما أن إدراك المستقبل على شكله الملائم حتى وإن كان غير خاضعا لإرادتنا أو ليس حاضرا أمام أعيننا سيرسم لنا الحاضر، فهذه المنهجية التي كشف عنها موران في الفصل الثالث الموسوم بـ "إلى أين يسير العالم" من كتابه الضخم الموسوم من أجل الخروج من القرن العشرين، التي حددها موران ليصل إلى بلورة المنهجية التي يستكين فيها المستقبل للإستشراف العلمي الرصين، ولعلنا نجد أنفسنا أمام ضرورة تقبّل هذه المنهجية باعتبارها مناسبة للإعتماد في أطروحتنا والإشتغال عليها كونها الخيط الهادي لذلك.

[1]– إدغار موران، إلى أين يسير العالم، مصدر سابق، ص12.

المبحث الثاني: المرجعيات الفكرية التأسيسية لفكر إدغار موران

أولا: علم الفيزيس بما هو منطلق فلسفي:

بعد ارتسام السياق الذي تم فيه ظهور الدراسات المستقبلية ننتقل الآن إلى السياق الذي بلوّر فيه موران صياغة التوجه إلى المستقبل، كان الجزء الثاني من كتاب 1982 مدخلا إلى إستكشاف أولي جد طريف للفكر التركيبي والذي تبلوّر في مؤلفه الفكر والمستقبل 1990، وكان مدخلا رئيسا لدراسة المستقبليات الذي اشتغل عليه موران، فالغاية الكبرى التي بحث عنها يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين: الأول البحث عن السؤال الكبير الذي شغله إلى أين يمضي العالم؟ أما الغرض الثاني الذي سينذره موران منذ مؤلفاته الأولى كان فكرة الفكر الشامل الذي إشتغل عليه منذ مؤلفاته الأولى ولعلنا نعني هنا متنه الفكر الشامل الذي إشتغل عليه 1959 وكان المشروع الذي رافقه في مساره الفكري، بيد أن الكتاب العمدة الذي سنّ فيه خيوط المستقبل البشري كان كتاب السبيل من أجل مستقبل البشرية 2011 (La Voie : pour l'avenir de l'humanité) الذي شكّل الخيط الهادي للولوج إلى الفكر المستقبلي، ومن حيث أنه إستقصى في ملامح مُهمَة كبرى وهي وجهة العالم بما هي الفكرة الأساسية التي يتوجب على المفكر الإنساني تبنيها، ولا بد من الإستناد على فكرة أساسية في هذا الصدد وهي إهتمام موران بفكرة اللايقين التي استوحاها من علوم المادة الجامدة وقعّد بها لفكره ونركز هاهنا على فكرتين أساسيتين وهما الديناميكا الحرارية والكوانتا، طفق موران منذ كتابه حول الأزمة 1976، والمجلد الأول من موسوعة المنهج 1977 (طبيعة الطبيعة) بصرامة أكبر في بلورة مفاهيم الفيزياء بكونها مدخلا إلى التعقيد وطفق موران بالإستعانة بعلوم الفيزيس.

لعل الإشارة التي يتوجب علينا تقديمها هي ما قدّمه في مؤلفه حول الأزمة حيث بدا التعويل على مفاهيم العلم واضحا، ونعني مفاهيم: التحكم، التنظيم، الكبح، اللاتنظيم والفوضى... وأردفه في المجلد الأول من موسوعة المنهج تأكيده على ذلك، إن الدارس لمؤلفاته يلفى إستخدامه لمفاهيم فيزيائية محضة كمفهوم عدم اليقين وعدم القابلية للتوقّع، وهي المفاهيم الكبرى التي شكلت فيما بعد منهج التعقيد الذي جعل منه موران مقاما للإضطلاع بالتفكير وإنضاج العقل لامكانية إصلاح الخلل الذي أولجنا فيه ديكارت، إن الجديد هنا هو التنبيه الذي قدمه حول الفهم السليم والتمكّن من فهم القانون الثاني من الديناميكا الحرارية "لا يمكن للإصلاحات المتعلقة بالمعرفة وبالفكر إلا أن تعين وتستعين بالثورتين العلميتين العظيمتين التي ميزتا القرن العشرين"[1] ويعيّن موران ثلاث ركائز كبرى أخذت على عاتقها مهمة تفسير العلم وتحديد وجهته " الركيزة الأولى: وهي الإعتقاد في حتمية مطلقة تجعلنا نقول مع لابلاس بأن شيطانا وُهب فكرا متفوقا سيعرف لا أحداث الماضي فحسب بل أيضا وبخاصة أحداث المستقبل، والركيزة الثانية فهي قابلية الفصل أي الإعتقاد

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزاوي، منشورات الجمل، بيروت، 2019، ط1، ص208.

الراسخ بأنه يكفي لتعزيز المعرفة بشأن كائن ما أن نعزله عن بيئته الأصلية ووضعه في بيئة إصطناعية، في حين تتعلق الركيزة الثالثة بقيمة الحجة المطلقة التي يوفرها الإستقراء والإستنباط فضلا عن رفض التناقض"[1].

إن المقصود والغرض الكبير الذي سعى إليه موران هو الشكوى أو الإعتراض بكون هذه الركائز تنطوي على قصد تخلق المعرفة إنجلى ذلك في ما آلت إليه، إنه في سياق التكشيف عن الهشاشة التي تنضوي عليها هذه الركائز في ارتسام بنية العلم حتى حلول القرن التاسع عشر وطفق يستبصر شيئا فشيئا الطبيعة الخاصة التي تقوّم العلم وهي اللايقين، أقرّ بالإكتشافات العلمية وينوّه إلى أهميتها في الكشف عن السياق الأصيل للعلم، إن موران قد حرص على دحض هذه الركائز بالإتكاء على الثورتين العلميتين اللتين تأسستا في القرن التاسع عشر وتمثلت الثورة العلمية الأولى التي تم إفتتاحها في حق الفيزياء مع انبثاق الديناميكا الحرارية[2] التي انبثقت في سنة 1824 وكانت أولى الثورات العلمية الكبرى التي ثارت على الفيزياء النيوتونية [نسبة إلى إسحاق نيوتن] كما يتسنى لمؤرخي الفيزياء المعاصرين القول أنها مهدت لوصول هذ الحقل إلى الغايات الكبرى التي سعت إليها والمتمثل في استكمال المشروع النيوتوني، وقد أرست الديناميكا الحرارية الأسس السليمة لظهور الفيزياء المعاصرة المتمثلة في الفيزياء المجهرية [الكيمياء أوالفيزياء الكمومية[3]] والفيزياء الكونية [النسبية العامة والخاصة[4]] أسقطت الفيزياء الكمومية كل بدهيات الفيزياء

---

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص 209.

[2]– هي فرع فيزيائي الغرض منه البحث في تحوّل الطاقة الحرارية إلى طاقة ميكانيكية [شغل] وبالعكس في النظام [المكان الذي يحدث فيه تفاعل فالطاقة تدخل النظام + وتخرج منه – وينقسم هذا النظام إلى مفتوح: وهو الذي يتبادل الطاقة والمادة مع الوسط الخارجي، ومغلق: وهو نظام يتبادل الطاقة مع الوسط الخارجي دون المادة والنظام المعزول الأديباتيكي، الكظوم: وهو نظام لا يتبادل لا طاقة ولا مادة مع الوسط الخارجي، وتدرس حالة النظام بمتغيرات مثل الحجم V والحرارة T والضغط P لنصل لكمية المادة N وتدرس وفق المعادلة التالية PV = N.R.T علما أن R هو ثابت الغازات المثالية (8.314) والتحولات التي تحدث داخل النظام فهي صنفين: تلقائية تحدث دون تدخّل الوسط الخارجي وأخرى مفتعلة تستلزم تدخّل الوسط الخارجي وقد تكون عكوسة أو غير عكوسة وتحوي التحولات المفتعلة ثلاث أنواع: تحولات الحرارة الثابتة [إنروثرم] وهي تحولات تحدث في درجات حرارة ثابتة، وتحولات الضغط الثابت [إنروباري]، وتحولات الحجم الثابت [إنروكوري] كما توجد التحولات الأديابتكية فهي تحولات لا يكون فيها تبادل للحرارة مع الوسط الخارجي] والديناميكا علم عام في تطبيقاته بسبب قوانينه: الصفر الأول الثاني الثالث التي تتحكم في التحولات التي تحدث بين الطاقة الحرارية وباقي أشكال الطاقة ينظر: باسل هاشم الصدر واخرون، الدينمية الحرارية، جامعة بغداد بتصرف أما القانون الثاني الذي يعنينا سيتم تناول في المبحث الرابع من هذا الفصل المرتبط بالأزمة.

[3]– وهي المتعلقة بنظرية الكم لماكس بلانك التي عرضها في 1900 إذ عرض في ورقته البحثية أن الإشعاع ذري في تركيبه مثل المادة مع اختلاف جوهري واحد للإستزادة هنا ينظر في هذا الصدد كتاب: جيمس جينز، الفيزياء والفلسفة، تر: جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، د س، دط، ص175.

[4]– المقصود هنا هي النظرية النسبية للعالم ألبرت أينشتاين والتي إنقسمت شطرين النسبية الخاصة 1905حيث أعاد تعريف الزمان والمكان وكشف عن ارتباطهما ببعضهما البعض والنسبية العامة 1916التي أعاد فيه إعادة تعريف الجاذبية باعتبارها=

الكلاسيكية التي إنبنت على قانون الحتمية بالإبانة على قوانين مبدأ الفوضى ومبادئ عدم التحديد وكذا المساعي الحثيثة التي قام بول ديراك وهايزنبرغ للجمع بين النسبية وميكانيكا الكم[1].

إن إستحضار علم الطبيعة كخيط هادي في مشروعه الفكري إنما كانت لتتقوّم به فكرة التعقيد التي كانت جوهرية في فلسفة موران، الذي كان لا بد من أن يتخذ من العلوم الدقيقة مطية له من أجل استكمال مشروعه، فالمتأمل للمجلد الأول من الموسوعة (1977) الذي وسمه بطبيعة الطبيعة ينتبه إلى أن موران ينوه إلى أننا نحتاج إلى ما يساعدنا في التفكير في أنفسنا، ولا مناص من الإقرار أن هذا التنويه يشترك فيه مع ديكارت وهو المنهج، كما ارتسمه في حديث الطريقة كما دعى إلى ضرورة إستعمال العقل على وجهه الملائم، فالمنهج الديكارتي الذي تلملم بالعقل، بيد أن موران هاهنا إستخلص أننا بحاجة لطريق للتعرف على تعقيد الواقع وترجمته، بحيث تقر هذه الطريقة بوجود الكائنات وتقترب من لغز الأشياء، إن المغزى الذي تم إستنباطه من المجلد الأول هو تصوّر العلاقة بين الفوضى والنظام، وتعميق طبيعة التنظيم، كما أرشدنا إلى عدم إختزال الظاهرة إلى هذه العناصر المكوّنة لها ولا عزلها ولا تجريدها من بيئتها، كما نوّه إلى تنبيه في غاية الخطورة وهو الإشارة إلى عدم الفصل بين مشكلة معرفة المعرفة ومشكلة طبيعة المعرفة وهي الإشكالية التي عالجها في المجلد الأول، حيث يستوحي أن نقيم بهذه الموازنة تصوراتنا حول التكشيف عن أي كان في علاقته بذات المعرفة المتجذرة في الثقافة والمجتمع والتاريخ، نحن نعرف أن موران نحى صوب هذا التوجه، ولكن بعد الصعوبة التي يشعر بها المرء بعد القراءة المكثفة والمنفتحة للعديد من المفاهيم سيتضح له أن العالم معقد تماما، وأننا أيضا نعمل الكثير من التعقيد وأن طريقتنا في التعامل معها من خلال الرغبة في التبسيط ستصبح منخفضة، إذ سيوضح لنا موران أن جميع الظواهر تستند إلى "العلاقات بين العناصر المختلفة غير المنظمة وهذا بغض النظر عن الظاهرة المدروسة وسوف يسعى لوصف هذه العلاقات واثارها المختلفة"[2] ويشير إلى تساؤل وجيه هاهنا كيف سيكون من الحكمة التعامل مع هذه العناصر؟ سيتم إختراع المفاهيم بعد ذلك والمعلومات لتظهر لنا طابعها المراوغ، وإذا كان هناك ما نأسف عليه هاهنا فهو الأسلوب الذي يستخدم الكلمات ويسيء إستخدام معانيها، والمقصد الذي يحاول موران بلوغه هو إظهار تعقيد الظواهر وربما توفير مفاتيح حقيقية لعيش الحاضر بشكل أفضل في هذا العالم، قد يستعسر الأمر في بناء هذا التفكير الضروري من أجل فهم الحياة والعالم في هذا العالم الذي نحيا فيه بيد أنه في النهاية هناك رؤية دقيقة لعمل فكري قد تمّ ارتسامه لمساعدة الإنسان على الوجود.

=إنحناء الزمكان ينظر: جيفري بينيت، ما النسبية مقدمة بدهية لأفكار أينشتاين وسبب أهميتها، تر: محمد فتحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017، ط1.

[1]– من محاضرة فيرنر هايزنبرغ في حفل جائزة نوبل للفيزياء 1932، ينظر: فيرنر هايزنبرغ، الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث، تر: خالد قطب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ط1، ص210.

[2]- Edgar Morin, La Méthode : la nature de la nature, t1, edition du seuil, Paris, 1977, p 193.

إن الخليق بنا الإشارة إلى باشلارية [نسبة إلى الفيلسوف غاستون باشلار Gaston Bachelard (1962-1984)] الفكرة، فالفيلسوف الفرنسي الذي جسّد فلسفة العلم الفرنسية في ثلاثينات وأربعينات القرن المنصرم وحتى بداية الستينات فهو أيضا أرسى قواعد التفكير العلمي الجديد المرتكز على النتائج المعاصرة للفيزياء كونه أستاذا للفيزياء والرياضيات إذ يقول : "ولما كان غرضنا أن ندرس فلسفة العلوم الفيزيائية بوجه خاص، فإن علينا أن نستخلص تحقق العقلي في التجربة الفيزيائية"[1] لا يتردد موران في أن يقر صراحة بأن باشلار كان له السند الأكبر في فلسفة العلم كما أقر بذلك في كتابه فلاسفتي(2012).

إن ظهور الفيزياء المعاصرة قد شكّلت الفلسفة المورانية بشكل لا يحيلنا إلا إلى استحضار نماذج معرفية قد سارت على هذا النهج المعرفي في الإغتراف من حقل العلوم الطبيعية، ونحن نجد في التاريخ الفلسفي وبالأخص بعد الثورة الفيزيائية الكبرى التي إفتتحها إسحاق نيوتن Isaac Newton (1643-1727) ونتائجه التي تم إستحضارها في الفلسفة –ونحن نقصد هنا دافيد هيوم David Hume وإيمانويل كانط– الذَين حاولا الكف عن إعتبار الفلسفة علما متقوّما، فهيوم كان على دراية بمدى صدقية العلوم الطبيعية – الفيزياء– باعتبارها علوما تامة التحديد، وهو الذي إرتكز على أسس فيزيائية منذ بدء إشتغاله الفلسفي بالعودة إلى فيزياء كوبرنيكوس وانخرط في إقامة علاقات متوعرة بين هذه العلوم الطبيعية وعلوم الأخلاق "وكان هيوم على وعي بتأثره بكوبرنكوس في تلك الناحية، كما يتضح لنا ذلك من خلال نص بالغ الدلالة والمغزى يقارن بين علم الفلك قبل وبعد كوبرنيكوس وعلم الأخلاق قبله –هيوم– وبعده ورغم أن علم الفلك قبل كوبرنكوس يقدم نظرية في السماوات بالغة التعقيد إلا أنها عاجزة في تفسير الظواهر، فإن كوبرنكوس إستطاع أن يقدم تصوّر بسيط يستند إلى أقل عدد من المبادئ في تفسير النظام الكوكبي"[2] إن النجاح الكوبرنيكي في تفسير النظام الكوني من خلال مبادئ بسيطة شجّع هيوم في السير على نفس الخطى وإزالة التفسيرات الأخلاقية المعقدة التي عقدت الفلسفة أكثر وبناء فلسفة أخلاقية قائمة على أسس بسيطة، إن هيوم شكّل طموحا في هذه المسألة حيث صاغ عقلية جديدة للتفلسف تقوم على تبني أسس جديدة تتجلى فيها مكتشفات الفيزياء، إن تدبيرنا لهذه المسألة ليس من باب التأريخ الفلسفي بل الغرض كان أهم وهو التأكيد على ولوج الفيزياء في حقل الفلسفة منذ أمد بعيد ونقصد هاهنا ما ذهب إليه كوبرنيكوس، فحرصنا نحن هاهنا كان إستجلاء البدء الفلسفي الذي أعقب ظهور فيزياء نيوتن، وهو الذي يمثل الصياغة النهائية والوجه الأتم لما ارتسمه كوبرنيكوس، حيث شدّد على تقديم تفسيرات نهائية وحتمية لسبب حدوث الأشياء في عالم الطبيعة، وعلى هذا اشتغل هيوم الذي يعتبر نيوتن مثله الأعلى –إلى جانب جون لوك وفرنسيس هتشسون– فحاول أن يتصيّر المشكلة ويمتطي الفلسفة الأخلاقية وفق نفس المبادئ بحيث تغدو للفلسفة دلالتها الخاصة "أراد هيوم أن

---

[1]– غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982، ط2، ص8.

[2]– محمد عثمان الخشت، العقل وما بعد الطبيعة تأويل جديد لفلسفتي هيوم وكانط، مكتبة إبن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 1993، دط، ص19.

يكون نيوتن الفلسفة الإنسانية، وحاول أن يصيغ لعلم الإنسان ما يعتقد أن الفلسفة الطبيعية فعلته لا سيما مع نيوتن بالنسبة لسائر أجزاء الطبيعة"[1] فهذا التأسيس الهيومي ينم عن مدى التأثر الذي أرسته العلوم الطبيعية بكونها علوما تامة، فالفيلسوف غدا من الضروري بما كان أن يكون ملما بعلوم عصره لتحقيق شرط الفلسفة الأكبر، ولكن التساؤل الذي لا مناص منه هاهنا هو: متى يحق للفيلسوف أن يدرج الفلسفة الموازية لحقل الفيزياء؟ ولعلنا نستحضر قولة هيغل الشهيرة "لكن ما تصنعه الفلسفة من لون رمادي فوق لون رمادي لا يمكّن أن يجدد شباب الحياة، ولكنه يفهمها فحسب، إن بومة منيرفا لا تبدأ في الطيران إلا بعد أن يرخي الليل سدوله"[2] فبعد التقعيد السليم للعلوم تظهر بومة الفلسفة لتمارس مهمتها، الأصلية والمتعلقة بالإبستمولوجيا النقدية.

نستحضر غير بعيد عن هيوم أنموذجا إشتغل على الفلسفة الطبيعية لبناء فلسفته ونقصد هاهنا الفيلسوف إيمانويل كانط الذي أعلن صراحة في مقدمة الطبعة الأولى من متنه نقد العقل المحض "إنني أمني النفس بأن أستطيع انا شخصيا تقديم مثل هذه المنظومة للعقل المحض تحت عنوان ميتافزيقا الطبيعة "[3] إن هذا الإقرار إنما كان نتيجة حتمية للثورة النيوتونية، فنحن نبدأ التفلسف وفق قالب نيوتن لنجعل الفلسفة علما يتسم بالدقة، فالإشارة إلى النتائج المبهرة التي توصلت إليها الفيزياء يدعونا إلى تدبّر المنهج الملائم من أجل تحرير الفلسفة من قيود التخبط في دهاليز الفراغ، فكانط أراد من الفلسفة أن تستيقظ من أوهامها وأن تنتج الطريق الملائم الذي غفلت عنه منذ الحقبة اليونانية، إن معاصرة كانط لنيوتن واندهاشه بالمكتشفات التي حققتها العلوم الطبيعية التي تبلوّرت حينئذ جعلته يصر على إنهاء المجادلات التي قدمها الفلاسفة منذ أفلاطون وأرسطو لبناء منهج يتجاوز ما توارثه الفلاسفة "هذا التحليل العميق للثورة العلمية في مجال الطبيعة لم يأت من عدم بل جاء نتيجة نظرة فاحصة لكشوف غاليليو وكوبرنيكوس ونيوتن"[4] إن كانط ينطلق من الإفتراض أن الإكتشافات التي أنتجتها العلوم الطبيعية يمكن أن تتأسس على خطاها فلسفة تنتهج مسارها وعلى هذا الأساس كانت إشكالية فلسفة كانط: كيف يمكن بناء ميتافزيقا علمية؟ [وهذا المشروع إنما توالى حتى هسرل الفلسفة علما صارما وهيدغر الفلسفة علما أصيلا] فهذا المشروع الفكري إستند إلى بومة منيرفا الهيغلية التي أرست تلك الضوابط الأساسية والمحكمة التي أنتجتها العلوم الطبيعية النيوتونية، وأفضت إلى تأسيس فلسفة تهدف إلى بلوغ مبادئ كالحتمية والضرورة.

إن موران إنما نجد فيه هذا السعي وانطلق من هذا الإفتراض فنلفى أن أحد التعيينات الكبرى التي إتكأ عليها نجد الديناميكا الحرارية التي تدرس كمية الحرارة التي تعمل بها آلة بخارية بكونها نظام وتعمل على

---

[1]– محمد عثمان الخشت، العقل وما بعد الطبيعة تأويل جديد لفلسفتي هيوم وكانط،مرجع سابق، ص 28.

[2]– هيغل، أصول فلسفة الحق، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ط3، ص91.

[3]– إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2015، ط1، ص27.

[4]– محمد عثمان الخشت، العقل وما بعد الطبيعة تأويل جديد لفلسفتي هيوم وكانط، مرجع سابق، ص44.

تطويرها واشتغل الإختصاصيين في العلوم الطبيعية على تطوير هذا العلم الذي إنفجرت معه الفيزياء الحديثة مع إنبثاق الفيزياء الكمومية والنسبية بشقيها الخاصة والعامة التي أنهت حتميات نيوتن وأفضت إلى إرساء مفاهيم جديدة مثل اللا يقين واللا تحديد، وانكّب موران في اغتراف هذه المفاهيم في متونه ومقالاته "يجب أن نتعلم داخل محيط من اللايقينيات" وهو عنوان لأحد مقالاته وفصل من متنه دروس قرن من الحياة وكانت الفيزياء المعاصرة أحد المقامات التي إتكأ عليها لبناء منهج التعقيد الذي سيقوّم ويعالج قضايا الإنسان، وهنا ستتحدد نظرة أخرى إقترنت بموران وهي إهتمامه بعلوم الحياة فما نظرة موران صوبها؟.

ثانيا: البيولوجيا باعتبارها مقاما للمعرفة:

إن علينا أن نتبين طبيعة الخطوة التي قطعها موران في حقل علوم الحياة، ولعل الدارس لمتونه في هذا الحقل سيجد ضالته في أكثر من متن وبالأخص متونه الأولى وتبلور ذلك مع إنبثاق المجلد الثاني من موسوعة المنهج المعنونة بحياة الحياة (1980) كما أشار بشكل صريح إلى بيولوجية المعرفة في المجلد الثالث المعنون بمعرفة المعرفة (1986) كما لم نغفل عن الإشارات المقدمة في كتاب (1990) الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب والإشارة الصريحة في المجلد الخامس من الموسوعة إنسانية الإنسانية (2001)، يبدو أن ما أنجزه تشارلز داروين Charles Darwin (1809–1882) منذ 1859 إنما غيّر مسار المعرفة وانطوى في جوهره على إنزياح غير مسبوق، يزمع موران على تبني نظرية التطور بشكل صريح في أكثر من نص من نصوصه ولعل الإستشهاد الذي سنستحضره هاهنا [من باب التمثيل لا الحصر] ما أقره في المجلد الخامس من الموسوعة باعتبارها المقام الفكري الذي يتوجّب على فيلسوف العلم إنتهاجه[1]، موران الذي أفلح في إعتناق الريبية التي أنتجتها العلوم الطبيعية باعتبارها الجذر الأكبر للتفلسف، كما حرص على إستجلاء التطور باعتباره منطلقا علميا يستوجب إستحضاره، في سياق البحث عن التأصيل البيولوجي الذي أرساه في مفتتح الفصل الأول من إنسانية الإنسان فالإقرار الذي قدمه "صدرت الحياة حقا عن الأرض وتولدت الحيوانية عن التطوّر متعدد الأشكال متعددة الخلايا ثم أدى التطور الحديث لأحد أنواع العالم الحيواني إلى تحوّله إلى إنسان"[2] إنما يقر موران بصحة نظرية التطور بيد أن وجه السؤال هاهنا هو ماهي نظرية التطور؟.

---

[1]– نجد في هذا المقام الكثير من الفلاسفة الذين إقتبسوا نظرية التطور وأسسوا بها مشروعهم الفكري ولعل أبرزهم الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه الذي أسس لنظرية القوة وكارل ماركس صديق تشارلز داروين الذي إنتهل منه فكرته عن الصراع فضلا عن الفلسفة البرغماتية وغيرهم كثير.

[2]– إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، ج5، تر: يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2019، ط1، الفصل الأول ..إننا نجد أن السواد الأعظم من العلماء إنما يؤمنون بصحة ودقة نظرية التطور باعتبارها منشأ الإنسانية بيد أنه من الغريب أن يقر موران بصحة نظرية التطور بكل هذه الثقة، وهو الذي يقول في المجلد الثالث من الموسوعة "توالت النظريات المحققة دون أن تستطيع أي نظرية منها أن تتمتع بالعصمة" ينظر إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة أنتروبولوجيا المعرفة، ج3، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ط1، ص28.

أ:نظريـة التطـوّر: رغم الجذور التاريخية لنظرية التي وجدت في كل الثقافات وبالأخص الإسلامية عند الجاحظ وإبن خلدون[1] بيد أننا سنخص هاهنا التطور بالمعنى الذي إنبثق مع صدور كتاب أصل الأنواع لعالم الحياة تشارلز داروين Charles Darwin (1809–1882) إذ قدم في متنه مشاهدات من رحلة البيغل (1831–1836) كالتشابه الشكلي بين الحيوانات وأنماط توزعها الجغرافي وغيرها ومن ملاحظاته التي اعتقد أنها سر الأسرار وقال في هذا الصدد "ويجب أن لا يشعر أحد بالدهشة من القدر الكثير الذي لا يزال غير مفهوما بنشأة الأنواع والضروب الحية"[2] بنى داروين إفتراض على هذا الأساس فحواه أن كل الكائنات الحية إنما نشأت من أصل مشترك [وافترض أن أول كائن نشأ في بركة دافئة وتم التطور من إستفادتها من عوامل الضوء والحرارة] بعد مروره على عمليات التطور التي حدثت لها "تطورت الحياة على الأرض تدريجيا من نوع بدائي واحد –ربما جزيء ناسخ لنفسه– والذي عاش منذ أكثر من 3.5 مليار سنة مضت ثم تفرع خلال الزمن منتجا أنواعا متنوعة وجديدة كثيرة وآلية معظم التغير التطوري لكن ليس كله هي الإنتخاب الطبيعي"[3] حيث أن التغييرات رغم أنها بسيطة ولا يمكن ملاحظتها بيد أنها متراكمة وستصل إلى مرحلة ما ستتدخل الطبيعة لتنقي كل ما لا يصلح من هذه التغييرات ويكون مصيرها الزوال، فتبقي التغييرات المفيدة [الصالحة] وبهذا ستنتج عن هذه التغييرات آلاف الكائنات الجديدة، ويفترض داروين أن الطبيعة تسهم في إحداث صفات جديدة في الأنواع بحيث يكتسب الحيوان صفات جديدة نتيجة تواجده في بيئة معينة تتوافق معها، وهي تتوافق بالتالي مع نظرية جان باتيست لامارك إذ لاحظ داروين إختلاف عنق السلحفاة في جزر غالابكوس في الإكوادور بسبب فرض الطبيعة لهذا التوجه التطوري، وبهذا سيبقى هذا التطور يتعاقب جيل بعد آخر، كما افترض داروين أن هذا التطور إنما هو وليد الصدف ولا قصد للحيوانات في ذلك وحاول في كتابه إعطاء آلية تفصّل توارث الصفات المكتسبة ، ونشر بعد 1859 فرضيات تحاول تفسير نشوء الإنسان وبالأخص نصوص 1872 "إنحدار الإنسان" عبّر فيه عن كيفية تكاثر الإنسان والتي بقيت نقطة سوداء كشف عنها مندل بعد ذلك "خاصة أن داروين قد تجنّب باحتراس شديد أي مناقشة حول تطوّر الإنسان في كتاب أصل الأنواع ولم يظهر إلا بعد إثني عشر عاما"[4] باعتبار أن الإنسان هو المسألة الأكثر إستشكالا من جهة وتشويقا من جهة أخرى ولعل القضية الكبرى التي التي سنسجلها عن داروين "أنه آمن شأنه شأن أغلب منظري علم الإجتماع في القرن التاسع عشر أن التاريخ ما هو إلا سجل للتطوّر البشري من حالة التوحش إلى حالة التحضر على غرار هربرت سبنسر وكارل ماركس"[5] كما لا يتوجب علينا أن نخفي اضطلاع

---

[1]– محمد فتحي فرج، قصة التطور، شركة الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، دط، ص ص 33–35.

[2]– تشارلز داروين، أصل الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2004، ط1، ص59.

[3] -Jerry koyen, why evoulution is true, oxford university press, Ney York, 2009, p1, p3.

[4]– دوجلاس فوتويما، العلم قيد المحاكمة "قضية التطوّر"، تر: أحمد فوزي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ط1، ص165.

[5]– جون جرين، موت آدم أوسع التفاصيل عن نظرية التطور الداروينية وأثرها في الفكر العالمي الحديث وردود اللاهوتيين عليها، تر: محمد محمود مصطفى، دار البيروني، بيروت، 2017، ط1.

الفلاسفة بهذه "الثورة الداروينية"[1] وتأسيسها فلسفيا [على غرار ما قدمه سبنسر الذي يعتبر أول من نشر في حقل العلوم الإنسانية داعما النظرية ليؤسس علم النفس إنطلاقا منها ويقيم له الشرعية الفكرية كأحد فروع البيولوجيا التطورية].

إهتم موران بالبيولوجيا منذ مؤلفاته الأولى ونخص بالذكر مؤلفه "الموت والإنسان "1951 ويمكن إعتبار مهمته الكبرى التي إشتغل عليها وهي إيضاح فكرة أصيلة شرحها في الدرس الإفتتاحي من كتاب "معرفة المعرفة" (1986) وهي بيولوجية المعرفة، باعتبار المعرفة شكّلت إستشكالا أساسيا في فلسفته جاءت بعد مخاض طويل دام ثلاث سنوات (1973–1976) إنبثق من خلاله المجلد الثاني من الموسوعة والمعنونة بـ "حياة الحياة" (1980) إذ إستحضر الثورات البيولوجية الكبرى التي تم إفتتاحها باكتشاف الحمض النووي من هنا كانت الإنطلاقة المورانية صوب التفكير في الحياة باعتبارها ضرورة لا مناص منها، أضحت البشرية تتلاعب جينيا ودماغيا ونحن في حقبة كما يسمها عصر التحول للحياة وتصنيعها، إن هذه النتيجة أفضت إلى تساؤلا لا بد منه: هل مشكلة تصنيع الحياة تقضي على الحياة الإنسانية الحقيقية؟.

إن تساؤلا من هذا القبيل بات فرضا يستوجب علينا التقصي عليه للنظر في مآلاته ، هذا العلم الذي غدا خارج السيطرة ففيما يتمثل هذا التأزم؟ بات واجبا على المشتغلين بهذا العلم النظر إلى الإنزياح الشديد الذي غدا فيه بحيث لم يعد للبيولوجيين الكلمة العليا إذا ولجنا في كل أشكال الإستعباد المعمم الذي انطلق من البيئة "من الأن فصاعدا أصبح جزءا من الطبيعة تحت سيطرة ليس فقط المجتمع البشري بل أيضا المجال التكنولوجي إلى حياة الإنسان والحياة الطبيعية بالنموذج التنظيمي الخاص بالآلات الصناعية"[2] تم إيلاج الحياة إلى السوق الإقتصادية وإخضاعها لقانونها الأسمى وهو "الربح" والتناقضات التي أصبحت تقع في الطبيعة، تعرض موران إلى مشاكل استغلال الإنسان عبر إخضاعه لقوانين تكون في خدمة أجندة معينة، يقر موران أن مشكلة تصنيع الحياة كما يوضحها ستفضي إلى القضاء على الحياة الحقيقية بحيث أضحت ورشة الحياة فضاء واسعا للاستغلال والإستثمار الربحي، وبالتالي وقّع موران على الخريطة التي إرتسمها فلاسفة مدرسة فرانكفورت التي أعلنت على أن الإنسان غدا مجرد سلعة تروّج أو ما يسمى التشيؤ الذي يعني "لا يعني شيء أخر سوى تلك العلاقة القائمة بين الأشخاص والتي تتخذ طابعا شيئيا"[3] إن المشكلة الأساسية والتحدي الخطير الذي بات يفرض نفسه اليوم في الحياة هي إخضاع الكوكب لهوية الربح[4] وهذا ما يتوجب

---

[1]– مايكل ريوس، داروين، تر: فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ط1، ص329 تناول ريوس في هذا الكتاب جملة من المشاكل الفلسفية والدينية التي أعقبت ظهور النظرية وشكّل صرحا فكريا ملهما.

[2] - Edgar Morin, La méthode la vie de la vie, tome2, edition du seuil, 1980, p101.

[3]– أكسل هونيث، التشيؤ دراسة في نظرية الإعتراف، تر: كمال بومنير، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ط1، ص31.

[4]– تمثّل هذه الدعوة مصب إهتمام الفلاسفة منذ مطلع القرن 20، وافترض الفلاسفة أن وجه الخطر إنما تجلى في إنصهار الإنسان في التقنية ولعل إشبنغلر كان سباقا لذلك بالإشارة إلى هذه العلة ومارتن هيدغر التقنية الحقيقة الوجود، وأدورنو وهوكهايمر جدل التنوير وهابرماس العلم والتقنية كأيديولوجيا وماركيوز الإنسان ذو البعد الواحد وإريك فروم المجتمع السليم وكان سعيهم ترقيع آثار التقنية ورصد الدلالة الحقيقية للوجود ومد العون للإنسان.

رفع الوشاح وضرورة التحدي عبر تطبيب هذه الأزمات وهذا مشكل كبير حسب موران الذي يفترض أن الإنسان كتلة إجتماعية ومشاعرية وكائن إقتصادي ولعوب فهو كائن معقد وليس مجرد سلعة.

يقرّ موران في الفصل الأول من المجلد الثالث "توجد مشكلة المعرفة في مشكلة الحياة" [1]إن هذا التنبيه يشكّل أساسا نتقوّم عليه هاهنا فالإنخراط المورانى في مشكلة المعرفة باعتباره مشروعه الرئيس جعلته يحتكم إلى البيولوجيا باعتبارها السياق الواجب إمتطاءه لمجابهة مشاكل المعرفة، وتجدر الإشارة أيضا هاهنا إلى الإهتمام المورانى بنتائج الثورة البيولوجية، والمتأمل إلى سيرة موران سيجد هذا الإهتمام واضحا في العام الذي قضاه في معهد الدراسات الإحيائية بالولايات المتحدة الأمريكية (1969–1970) فالتميّز الذي إتسم به المعهد إرتسم المعالم الكبرى التي سيسلكها موران في هذا الحقل، ألفى موران نفسه أنه قد كشف عن علوم حياة جديدة تختلف عما كان يهتم به في كتاب الإنسان والموت، 1951، كما حرص موران في هذه الحقبة أيضا على التعرف على علوم التنظيم "التفكير المنظوماتي Systéme Thinking ومدرسة غريغوري باتيسون [زوج عالمة الأنتروبولوجية الأمريكية مرغريت ميد] حيث شكّلت عودته إلى فرنسا إنطلاقة جديدة إذ حرص على إنشاء معهد أطلق عليه الأنتروبولوجية الأصولية Foundamental Intropolgy وارتكزت أبحاث المعهد على دراسة الإنسان من زاوية نظر علم الأحياء وكذا الثقافة النفسية، وتم إقامة هذا المسعى بمعية زمرة من علماء الأحياء على شاكلة الحاصلين على جائزة نوبل للطب 1965 جاك مونو Jacques Monod (1910–1976) وفرنسوا جاكوب Jacob François (1920–2013) وكذا المتحصل على جائزة نوبل للطب 1969 سلفاتوري لوريا Salvador Luria(1912–1991) بالإضافة إلى فلاسفة أسهموا في تشكيل فكره الفلسفي على غرار كرونليوس كاستورياديس Cornelius Castoriadis (1922–1997) وكلود ليفورن Claude lefort (1924–2010)، أقام إدغار موران عام 1972 ندوة دولية حول وحدوية الإنسان بفضل جاك مونو ومن بين المدعوين كان عالم البيولوجيا والفيزياء الحيوية هنري أتلان Henri Atlan (1931–) الذي لم يكن معروفا حتى ذلك الحين، كما تمت دعوة فون فورستر Heinz Von Foerster (1911–2002) أحد المتخصصين في علوم السيبرنطيقا الذي أبهر جاك مونو، كما تمت دعوة عالم النفس سيرج موسكوفيتشي Serge Moscovici الذي درس العلاقة بين علم الأحياء والعلوم الإنسانية ومؤلف رائعة المجتمع ضد الطبيعة الذي إرتسم فيه ليس فقط علم التشريح وعلم الوظائف البشرية وعلم النشوء الجيني الذي يبدأ من الرئيسات إلى الإنسان بل إهتم فيه بنظرية نشوء وارتقاء مرتبطة بعلم الإجتماع، كتب موران في هذا الملتقى إفتتاحية طويلة كانت مقدمة كتابه البراديغم المفقود الذي إشتغل عنه غداة ذلك والذي طرحه سنة 1973، سعى موران إلى مواشجة المعارف التي إنفصلت عن بعضها كما كان يصبو ومقصود موران هنا: "مملكة الحيوان ومملكة الإنسان، بيد أننا منذ الستينات أظهرت بحوث جين غودل Jane Goodall (1934–) [بيولوجية بريطانية متخصصة في الرئيسات وبالأخص في الشامبانزي وعلوم السلوك والأنتروبولوجيا] لنا عظمة المتراكبة الإجتماعوية والنفسية المتعلقة بالقردة، ثم توالت بعد ذلك دراسات أخرى

[1]– إدغار موران، معرفة المعرفة، مصدر سابق، ص57.

تناولت متراكبة مجتمع الثدييات"[1] ، تم أيضا دعوة غاردنر الذي أحضر قردة شامبانزي المسماة واشو التي تعلمت مفردات لغوية إشارية أمريكية ليست لفظية، كان بإمكان الحاضر ملاحظة أن القردة تستخدم الإستعارات، فهذه الإستعارات أوضحت وجه التقارب بين مملكتي الإنسان والحيوان وأن الفجوة ليست واسعة كما تم توضيح ذلك في الفلسفات، قصد موران تبيان علاقة الإتصال والإنفصال بين الإنسان والحيوان بوصفها الطريقة المنتهجة لمشروعه، ونوّه أيضا إلى أنه يمكن فعل ذلك بالإعتماد المسبق على فكرة التنظيم الذاتي "لقد إستعملت متراكبة تربط بين عناصر عديدة أخلاقية وتشريحية ووظائف أعضائية ودماغية واجتماعية، وعن طريق التفاعل بين جميع تلك العناصر يتم تخلق هذه المواكبة، بعد ذلك بدأت إستخدام مفهوم الحلقة المتكررة وثم تبدى لي أيضا في ذلك الوقت التناقض المتعلق بنشوء الإنسان"[2] إن الخلاصة التي إستخلصها موران من هذا المؤتمر قد أفصحت له عن كتاب البراديغم المفقود الذي خطّه بسهولة بالغة كما وصف ذلك إنطلاقا من البيولوجيا.

إن علينا أن نتتبع المكتشفات البيولوجيا التي تلت نظرية التطوّر –وهذا بالإستحالة بما كان بالإضافة إلى أنه ليس غرضنا هنا– لاستجلاء كيف بنى موران من البيولوجيا مقوّما أساسيا في عملية تكوينه الفكري، فبعد التطرق إلى التطوّر باعتباره المفتاح لكل الثورات البيولوجية التي تلته و بكونه الركيزة الأولى التي إتكأ عليها نلفى أيضا مكتشفات بيولوجية أخرى إنبثقت بالمزامنة مع إنبثاق نظرية التطور ونقصد هاهنا علم الوراثة فكيف إنجلى هذا العلم:

ب: علم الوراثة: أقر هوغو دي فريس Hugo De Vries (1848–1935) إسهامات لقوانين غريغور مندل Gregor Mendel (1822–1884) للإستجابة لأكثر الإعتراضات الخاصة بداروين والتطور، إذ ينطلق داروين من فكرة أن أي جيل من الكائنات الحية ينطوي على بعض السمات التي تميّزه عن غيره ظاهريا وهذا ما يودي إلى توريثها للأجيال التي تليه وهي السمات التي جعلت الطبيعة تنتقيه من خلاله للبقاء فيها تطبيقا للنظرية الشهيرة "البقاء للأصلح"، بيد أن السؤال الذي أرّق داروين هاهنا هو من أين تكتسب الكائنات هذه السمات؟ ما مصدر التعدد والإختلاف بين جميع أنواع الكائنات؟ في هذه المرحلة التي أرقت داروين كان مندل يشتغل على حل شفرات الوراثة، وحتى أن هذه الإشكالية قد توارثها العلماء المنشغلين بالبيولوجيا بشكل عام وبالداروينية بشكل أخص ونلفى أليكس روزنبرغ ودانييل يقولان في هذا الصدد "هناك إنقسام حاد بين علماء الوراثة في الوقت الحاضر حول سؤال إلى أي مدى الإختلافات الوراثية القائمة بين الأنواع هي حقا نتيجة للإنتخاب الطبيعي بالمقارنة بالعوامل العشوائية المحضة؟"[3] هذا العلم الذي يضطلع بتحديد الجينات التي تعد الوحدة الأساسية المسؤولة عن الوراثة، ويعرف هذا العلم أنه "العلم الذي

[1]- Edgar Morin,This is my philosophie, Interview with Ana Sànchez , 10/10/2011 metode.org, lu 29/06/2023, https://metode.org/en/issues/entrevista-monografic-revistes/edgar-morin-3.html.
[2]- IBid.
[3]– أليكس روزنبرغ ودانييل و. ماك شي، فلسفة البيولوجيا مدخل معاصر، تر: مينا سيتي يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ط1، ص135.

يبحث في كيفية إنتقال الصفات والخصائص الوراثية من جيل إلى أخر"[1] ويدرس الجينات على جميع المستويات بما في ذلك الطرق التي تعمل خلية الإنسان وطرق إنتقال الصفات والعوامل الوراثية.

إفتتح مندل تجاربه التي إستمرت ثماني سنوات "حول البازلاء وتتبّع الصفات وانتقالها، وألفى أن هذا الإنتقال يكون وفق قوانين محددة"[2] قرر مندل دراسة سبع صفات للبازلاء (ملمس النبتة [أملس مجعد] ولون البذرة [أصفر أخضر] لون الزهرة [أبيض أحمر] وضع النبتة [في القمة في الفروع] لون قرن البازلاء [أخضر أصفر] شكل قرن البازلاء [أملس مجعد] طول النبتة [طويل قصير]) كان غرض مندل إيجاد نسل نقي فأقام سلسلة تجاربه فتوصل إلى [التزويج الذاتي للنبات أي نبات طويل يزوجه ذاته= النتيجة نباتات طويلة، التزويج الذاتي لنباتات قصيرة= النتيجة نباتات قصيرة كلها] وعلى هذا الأساس تمكّن من التوصل إلى نسل نقي، ثم أقام بتزويج نبات نقي طويل مع نبات نقي قصير = النتيجة كانت نسل الجيل الأول كلهم طويل، ثم أخذ نبتة من الجيل الأول وأقام عملية تزويج ذاتي = النتيجة كانت وجود نبتة قصيرة، إذ لاحظ إختفاء الصفة في الجيل الأول بيد أنها موجودة فيما بعد، إستخدم مندل طريقة مستحدثة في ذلك وهي عد عدد النباتات الناتجة عن زواج النبتة من الجيل الثاني لنفسها "تطبيق مبادئ الإحصاء على تهجين البازلاء وملاحظة أنه بعد الجيل الأول للهجين، الذي يبدو في الظاهر مشابها"[3] على هذا الأساس يمكن التعرف على النظام في عز الفوضى، وهنا بالضبط تم إستحداث المصطلح العلمي "**النمط**"، فكانت الخلاصة والنتيجة: أن ثلاث نباتات تكون طويلة والرابعة تنتج قصيرة أي بمعدل 4/1 ، فخلص مندل أن هذه الصفات محمولة على عناصر تنتقل من الأب والأم إلى الأجيال اللاحقة على حسب الصفة التي أخذها فتظهر صفة سائدة وصفة متنحية، وهكذا خلص إلى إستكمال مشروع داروين وإيضاح الإجابة الكافية حول تساؤلات داروين المؤرقة، هذا ما فتح الطريق أمام العالم الهولندي هوغو دي فريس ليستأنف هذه الأبحاث عام (1900) التي وأدت في مهدها (1866) ويفتتح شقا معرفيا جديدا أرسى به التنوع بين صفات الكائنات التي تنتمي لأصل أو فصيلة واحدة عبر ملاحظة التغيرات [حقيقية] المفاجئة في بعض سمات النباتات من جيل لأخر، رب ظاهرة يتسنى أن نشير إلى مصطلح "**طفرة**" "إذا كانت الصفات الوراثية التي تنتقل عن طريق الحمض النووي الذي يوجد داخل كل خلية من الخلايا كما هو معترف به على نطاق واسع حاليا، فلا بد أن تحدث الطفرات الجينية في منطقة ما في الخلية أيضا"[4] أما فيما يخص الحمض النووي فقد تم إكتشافه عن طريق العالم يوهان فردريش ميشر Friedrich Miescher (1844–1895) بالصدفة (1869) وهي جزيئات حيوية توجد في جميع

---

[1]–سعد بن حسين سعد القحطاني، علم الخلية والوراثة، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 2012، ط1، ص136 .

[2]– غازي تدمري ونسرين بيسار تدمري، الحياة وعلم الوراثة، دار أكاديميا، بيرروت 1997، ط1، ص13.

[3]– دينيس بويكان، البيولوجيا تاريخ وفلسفة، تر: لبنى الريدي ومها قابيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017، ط1، ص 91.

[4]– ديفيد إليارد، موسوعة الإكتشافات العلمية، تر: خالد العامري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، دط، ص470.

الكائنات الحية تعمل على إنشاء وتشفير وتخزين المعلومات الخاصة بكل خلية كما تعمل على نقل هذه المعلومات والتعبير عنها داخل وخارج نواة الخلية"[1].

تدرجت المندليّة من الوأد إلى الإنتشار إذ عرف إكتشاف الكروموسومات طريق نحو وثوقيتها "وجاء الدليل الأوضح على صحة نظرية مندل من مخبر توماس هانت مورجان في جامعة كولومبيا بنيويورك فشرع في 1908 في دراسة تجريبية عن التطور من خلال البحث عن حدوث طفرات إختار مورجان كائنا حيا نموذجيا لهذا الغرض وهي الدروسوفيلا: ذبابة الفاكهة التي تنتج ما يقرب من 30 جيلا في العام ولم يظطر مورجان للإنتظار طويلا حتى يسجل طفرات عديدة كان أولها 1910 وهي ذبابة متحورة بيضاء العينين، والمهم في الأمر أن هذه الطفرات كانت تتبع في المعتاد النمط المندلي للسمات المتنحية"[2] ، كانت المندليّة الإنطلاقة الحقيقية لتطوّر البيولوجيا والتي بلغت المنتهى بالتزاوج الذي كان لا بد منه مع الداروينية، حيث كان مندل السند الذي عوّلت عليه [الداروينية] في العثور على الثغرات التي إنطوت عليها النظرية، فكانت بحق البيولوجية قد تأسست على أسس تقيم بها المعرفة المنشودة "بيولوجية المعرفة".

إن ما يهمنا هنا ليس الطفرات العلمية الكبرى بل إلمام موران بهذه التطورات في علم الأحياء، إقترن الإهتمام بالإعجاب الكبير الذي خصّه لعالم الأحياء جاك مونو مؤلف كتاب المصادفة والضرورة (1970) الذي يمكن أن نعتبره منهلا إعتمد عليه موران لإرتسام مفاهيمه، فنلفى أن مونو يقر أن مشروع الأحياء قديم – جديد بيد أنه لم يتبلوّر إلا في ستينات القرن العشرين وهذا بالإتكاء على البيولوجيا الجزيئية والكشف عن التركيب الجزيئي للحمض النووي والوراثة في شخصيات الأفراد [فالبيولوجيا تهتم بإبراز علاقة الإنسان بالكون]، يقترح مونو في متنه إلى دفع الآلية البيولوجية إلى أقصى حد ممكن ونجد أنه يوجّه سهامه النقدية الفلسفية صوب الحيوية والروحانية في نفس الوقت، وينوّه إلى أن الحاجة إلى إبستمولوجية جديدة قد أعلنت عن نفسها منذ القرن التاسع عشر كما أنه يقترح تجاوز عدد معين من أنظمة التمثيلات سابقة الإنشاء التي تحمي فهم الألية الفعالة لتكوين الكائنات الحية وتتصرّف كعقبات معرفية، إنه من المعتاد أن نجد التعارض بين الصدفة الضرورة في الفلسفة حيث يمثلان قطبان متناقضان الفوضى والنظام.

إن التقدم الذي حدث في علم الأحياء التطوري يدعونا لإعادة التفكير في هذين الجانبين اللذين يفسران تنوّع الكائنات الحية من خلال عملية الإنتقاء الطبيعي بقدر ما تحدث الطفرات الجينية دون بناء صريح للكائنات الحية أو الأعضاء، إذا الكائنات الحية ليست سوى ثمرة للفوضى والصدفة، ومع ذلك التفاعلات السببية ذات صلة حتمية بدءا من الطفرات نفسها وصولا إلى البناء الجيني لها كما كانت دعوة مونو إلى ضرورة التفكير في السببية في علم الأحياء بكونها تنضوي تحت غواش هذين الجانبين (الطفرات والبناء

[1]– عايشة ديفن وجانيس إيه رويدز، علم الأحياء الجزيئي، تر: سارة طه علام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2022، ط1، ص14.

[2]– جون وولر، الوراثة، تر: ياسمين العربي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2022، ط1، ص76.

الجيني) وترفض أي غائية مسبقة من شأنها أن تقودنا إلى تخيّل أن الكائنات الحية تطوّر ملائم وفوضوي[1] إن كتاب مونو يتعامل مع التطورات في علم الوراثة والبيولوجيا الجزيئية وعواقبها الفلسفية، إنطلق من قضية مركزية نسبها لديمقريطس "كل شيء موجود في الكون هو ثمرة إلتقاء الصدفة والضرورة" فعلم الأحياء هامشي ومركزي: هامشي من جهة الواقع ومركزي من جهة المطلب هامشي لأن العالم الحي ليس سوى جزء صغير من الكون ويعتقد أن الغرض الأسمى للعلم هو توضيح علاقة الإنسان بالكون وبهذا يعطي علم الأحياء دورا مركزيا، هكذا إرتسم موران هذا الكتاب لنوضح أول شقين إتكأ عليهما في عملية بناء مشروعه الفكري المتمثل في فكر التعقيد كما سيتوضح في المبحث الثالث في هذا الفصل وبقي أن نشير إلى العلوم الإتسانية والإجتماعية كمحور ثالث أسست فكره الفلسفي.

ثالثا: حقول المعرفة الإنسانية كونها متكئ لموران:

إن المقصد هاهنا هو إستكشاف مدى إرتباط موران بشق العلوم الإنسانية والإجتماعية في تكوينه المعرفي، إن المتتبع لمؤلفاته يلفى إلمامه بهذه النظم بحكم إرتباطها؛ ما أسهم في تأسيس فيلسوف وحشي كما يسمٌ نفسه، وسنحاول نحن هاهنا أن نقسم حقل العلوم الإنسانية إلى زمرة من العلوم حتى يتسنى لنا التحكم فيها بحيث سنسعى إلى إيجاز هذه العلوم وفقا لإرتباط فيلسوفنا بها وسنتبع الخطاطة التالية لإبراز ذلك ونلفى ما يلي:

أ: الأنتروبولوجيا: إهتدى موران منذ متونه الأولى إلى الأنتروبولوجيا[2] ونقصد هاهنا الإنسان والموت (1951) وهو الكتاب الذي يصر موران على اعتباره باكورة أهم أعماله وهو الذي دشن فيه نمط معرفة عابر للمعارف حيث عالج فيه المواقف الإنسانية المتناقضة حيال الموت من منظور التاريخ والسوسيولوجيا وعلم النفس، إن موران إنما استعان بماركس في قضية الجمع بين التخصصات إذ يقول في هذا الصدد "كان بارعا في العلوم الحديثة ومتبحر في الفلسفة وبرع في الإقتصاد وعلوم التاريخ وعلم الأجناس، وبل كان سياسيا

---

[1]- Jacques Monod, Chance and Necessity, translate to English by : Austryn Wainhouse , Vintage books a division of random house, New York, 1972, p1. p99.

[2]– من المعاني الفلسفية التي تحويها كلمة الأنتروبولوجيا هي "علم وصفي للإنسان" وهي تُعنى بالإنسان من حيث قيّمه الجمالية والدينية والأخلاقية والإقتصادية، تطورت الأنتروبولوجيا كعلم حيث كانت في القرن السابع عشر تعني الكوسمولوجيا في مقابل الثيولوجيا [الإلهيات] وفي نهاية القرن التاسع عشر إهتمت الأنتروبولوجيا بدراسة الأعراق والأجناس البشرية من حيث أصلها، أما في عصرنا فغدت تعني عادة بفكرة الأجناس البشرية والإنسانية من حيث قيمتها وثقافتها راجع: مصطفى تيلوين، مدخل عام إلى الأنتروبولوجيا، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2011، ط1، ص19–20.

إقتضى الأمر جيلين من العلماء لتتأسس الأنتروبولوجيا على معناها الأتم حيث إشتغل هؤلاء العلماء [برونيسلاف مالينوفسكي في بريطانيا وفرانس بواس في أمريكا وكلود ليفي ستراوس في فرنسا] على طريقة عيش الشعوب التي كانت على وشك الإختفاء راجع أيضا: ماثيو أنجيلكه، كيف تفكّر كأنتروبولوجي، تر: عومرية سلطاني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2020، ط1، 24.

بارعا ومن خلال فكره الفلسفي ومعرفته العلمية إستطاع ماركس إستخلاص العناصر المكوّنة للسياسة بصورها العامة"[1].

إهتم موران بشكل جديد من الأنتروبولوجيا [تبلوّر عنده] وهي التي إستخلصها من ماركس وهو الفيلسوف الذي اكتشف النسبية ويقصد هنا النسبية المتبادلة بين الإنسان والطبيعة وبين التاريخ الطبيعي والتاريخ البشري والتاريخ هاهنا يعني به تحويل الطبيعة إلى الإنسان، ثم إن العلوم الطبيعية تشمل الإنسان بنفس القدر الذي ستشمل فيه علوم الإنسان علوم الطبيعة وهذا ما يمثل النسبية المتبادلة بين الفرد والمجتمع حيث أن هناك نسبية متبادلة بين ما يسميه موران الكتلة الإجتماعية والطاقة التاريخية يحاول موران ارتسام أنشتاين في فكر ماركس[2] إذ يحدد مفاهيم ماركس في مقابل أنشتاين [تنسيب الصيرورة نفسها = الزمن، تنسيب الواقع نفسه ماركس =أنشتاين غير مكتمل] ويقدم موران ستة فنون لا يمكن أن تستغني الأنتروبولوجيا عن التفكير فيها وهي "مبدأ نسبية أنشتاين، مبدأ اللاتحديد لهيزنبرغ، إكتشاف المادة المضادة من نقيض الإلكترون (1932) إلى نقيض النوترون (1956)، السيبرنطيقا ونظرية المعلومة، الكيمياء البيولوجية، مفهوم الواقع"[3] إشتغل موران على الأنتروبولوجيا فبات ضرورة أن يهتم بالإنسان فما يمس الإنسان يهم الإنسان سواء كان ذلك في أساطيره أو في دياناته أو في مختلف قيّمه.

ب: التاريخ: بعد أن عيّن موران الأنتروبولوجيا مقاما مخصوصا كمنطلق للفكر العبر منهجي، ها هو يشرع في التكشيف عن المقامات الأصلية أي العلوم الموازية المؤسسة لفكره ونقصد هنا علم التاريخ، ولعل التاريخ كان له نصيب الأسد في تأمل المفكرين[4]، إشتغل موران بهذا الشق في شذرات الإنسان والموت، وإنبثق في المجلد الخامس من الموسوعة كما نلفى مقال" شذرات من أجل الأنتروبولوجيا" 1961 ، يقر موران أن التاريخ إنما يتأسس من حروب الغزو بالتزامن مع الدولة والهيمنة "حدثت بالتأكيد حروب مستوطنة بين المجتمعات القديمة المتجاورة، لكنها كانت تخضع لطقوس دقيقة، وقعت حملات تأديبية ومذابح وصراعات"[5] فالتاريخ ينجلي وفق ما يحدث داخله فهو إزدهار للدول وإثارة للحروب.

---

[1] Edgar Morin, This is my philosophie, op cit.

[2]– إنخرط موران في الفلسفة بفضل ماركس فالفلسفة كانت تشمل علم النفس وعلم الإجتماع، إعترف بفضل ماركس في بلورة كتاب 1951 حيث إقتنع بمعنى دراسة صدى وانعكاسات الإنجازات العلمية على الإنسان، كما لا يخفى علينا إستناده على الجدل الهيغلي الذي إفتتن به حتى قبل كتاب الإنسان والموت بكون الجدل مفهوم مترابط فكريا ومتصل يتعامل مع المتناقضات ولا يتجنبها وهذا ما سنتناوله في الجزء الخامس من هذا المطلب.

[3]– إدغار موران، مع ماركس وضد ماركس، تر: محمد نعيم، صفحة سبعة، السعودية، 2022، ط1، ص58.

[4]– لم يقر موران بذلك بيد أننا نجد التقارب الكبير والإقتران بمدرسة الحوليات التاريخية [لوسيان فيفر Lucien Febre (1878–1956) ومارك بلوخ Marc Bloch (1886–1944)] من حيث الإتكاء على التفسيرات الإجتماعية والإقتصادية بدلا من التفسيرات السياسية ينظر: فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ط1، ص11.

[5]– إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية، مصدر سابق، ص227.

إن التاريخ ما يؤخذ وهو ذائب وتم تحريره على شكل فوضوي لكل الإمكانيات التقنية والإقتصادية والخيالية والإبداعية والجمالية واللعبية والشعرية لدى الإنسان العاقل الأحمق، يؤسس التاريخ إنسان عاقل وأحمق يبني ويهدم، ترتسم فيه رعب المعارك ورهبة الموت، كما يشير موران من خلال مشروعه الهادف إلى تواشج المعارف إلى ضرورة "إدخال العلوم الفيزيائية والبيولوجيا وإدماجهما في العلوم التاريخية، إنهما ليسا ظاهرتان ثانويتان بتاتا إذ يسببان السقوط والسيل وتغيرات الإتجاه في مجرى التاريخ"[1] إن ولوج العلوم الدقيقة لميدان التاريخ يوضح لنا الخيط الهادي الذي إهتدى له موران وهو مخالفة أوجيست كونت Auguste Comte (1798-1857) حيث لا يشكّل تطوّر التاريخ نمط خطيّا "إن التاريخ مركب من النظام واللانظام والتنظيم[2] يخضع للحتميات والصدف في نفس الوقت يعرف اضطرابات وتشنجات وانحرافات وسكون وركود"[3] هكذا إرتسم التاريخ بكونه مرجعية فكرية إشتغل عليها وتمخض عن إهتمامه بالعلوم دفعت بنا إلى الإهتداء إلى المنهج الموراني، حاولنا أن لا نغفل عن الأسس الكبرى التي إتكأ عليها، والمتأمل لمبحثنا الأول حول منهج الإستشراف الموراني يدرك ما يوفر التاريخ من أسس من أجل التعرف على حاضر ومستقبل الإنسان، وهذا ما اشتغل عليه موران في المجلد الخامس في إشاراته السريعة إلى أشكال التطوّر التاريخي في الحضارات القديمة والأديان وتنبيهاته حول الثورة الفرنسية، إن التدقيق في التاريخ –من وجهة نظر التعقيد سيودي بنا للإشارة إلى العلوم الأخرى:

ج: السياسة: لقد عرج موران إلى حقل السياسة منذ الثالثة عشر من عمره ولعل الحدث الأبرز الذي إشتغل عليه في هذه الفترة كان المظاهرة المناهضة للبرلمان في 1934/02/06 يقر موران "لقد رأيت زملائي في الفصل ينقسمون ويتنازعون بعنف أحيانا بين مؤيدي كروا دو–فو وأنصار الجبهة الإشتراكية الشيوعية"[4] لن يكون لطفل توجها سياسيا أو فقها بالسياسة على وجهها الأتم بيد أن ذلك رسم له الشغف السياسي اللازم االذي نرى أنه إكتمل مع الغزو الألماني لفرنسا 1940/05/10، ورؤيته سقوط جيش فرنسا بسرعة لم يتوقعها أحد ويقر موران إلى إكتشافه لأجواء الحرب واستخلاصه الدروس من قلب الأزمة وهنا تنفطر كل سلوكيات التضامن والتعاون بين هؤلاء المتضررين من الحرب وحتى أنها تنكشف الأنانية التي تميز الإنسان، وعكف موران في هذه المرحلة على قراءة أمهات الكتب والروايات التي أسست وعيه الإنساني خاصة من الثقافتين الفرنسية والروسية وبالأخص عند "ميشل دو مونتين" "روسو" و"ديدرو" و"ديستايفسكي" و"تولستوي".

---

[1]– إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية، المصدر نفسه، ص231

[2]–النظام واللانظام والتنظيم مفاهيم مورانية إمتشقها من الفيزياء المعاصرة والديناميكا الحرارية خصّص مقاما خاصا لهذه المفاهيم منذ مؤلفاتها الأولى.

[3]– إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية، مصدر سابق، ص237.

[4]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، تر: خليد كدري، صفحة سبعة، السعودية، 2022، ط1، ص83.

بعد الحرب العالمية إنبثقت أحزاب سياسية تنادي بشتى ألوان الديمقراطية حتى أنه قد إلتحق بالحزب الشيوعي بعد الحرب العالمية الثانية، إن المنعرج الذي إنعطفه موران في مرحلته الشيوعية التي دامت ستة سنوات هي إعتقاده أنه انخرط في أيديولوجيا تعبر عن نوع من الإيمان أو كما يسميها ديانة الخلاص الأرضي، إلتمس في نفسه التحوّل من مفكر مسالم إلى مقاوم لكل أيديولوجيا قمعية[1] ، أفضت هذه الفترة إلى تبلوّر كتاب نقد ذاتي 1959 إرتسم فيه نقد للستالينية، بيد أن ذلك –النقد– لم يحل بينه وبين الإرتقاء في الذود عن اليسار الفكري الذي إكتملت معالمه في مقاله "ما معنى أن أكون على اليسار 2010" ومن الحقيق أن نشير إلى تبني موران السياسة وارتباط ذلك بمتونه: مدخل إلى سياسة الإنسان 1969 وفي طبيعة الإتحاد السوفياتي URSS 1983 وسياسة الحضارة 1997، واشتغل على تحوير معنى المستقبل الإنساني وارتسامه لمشروع هووي إنساني، فالسياسة حقل معرفي إشتغل عليه موران لا يمكن تجاهله ولعلنا سنجازف في القول أن الحقل السياسي كان الركيزة الأساسية التي عوّل عليها موران في بناء مشروعه الإنساني.

د: الجمال: يهمنا مبحث الجمال الذي تناوله موران منذ مؤلفاته الأولى حيث نجد كتاب السينما أو الإنسان التخيلي 1956 مغترفا فكرة التخيل من سارتر، –بيد أنه لم يقع في فخ الوجودية ولا السارترية– إشتغل موران بالذات وجمالياتها واحتوائها على ذوق الحياة "فإن الذات بدلا من إسقاط نفسها في العالم، تمتص العالم في نفسها... يمكن أن يتوسع التماهي مع العالم إلى الكونية حيث يشعر الإنسان بأنه عالم مصغر"[2] نحى موران نحو امتشاق معنى للجمال للخروج من قارة النثرية التي طغت على الإنسان، المتأمل لحياة موران يلاحظ إستنجاده بالروايات "الحرب والسلم" لتولستوي و"الجريمة والعقاب" لديستايفسكي وكذا التعلّق بالموسيقى "السنفونية التاسعة" لبتهوفن وأشعار بودلير، جمع ملاحظات عن الجمال والفن والشعور الجمالي وتلقي شاعرية الحياة التي راهن عليها.

إنتقد موران تغلغل الرأسمالية في الفن وإخضاعه لفلسفة الربح كمعيار وحيد له، في ترجمته لكتاب عن الجماليات (2016) يقر المفكر يوسف تيبس في تقديمه للكتاب "يعتبر موران الجماليات شعور ينتج عن مشهد جميل سواء كان فنيا جمال العمل الفني أو طبيعيا جمال المنظر الطبيعي إن العاطفة الجمالية مرآة للعاطفة الإبداعية"[3]، يصر موران على الأزمة التي أنتجتها التقنية التي إستحوذت على مسالك الحياة والعلوم، مقدمة فضاء الإستهلاك والربح والإفراط في النثرية الحياتية، دون الإنشغال بتذوق الحياة واكتساب معاني الشاعرية، إنتبه موران إلى إستغلال البيئة ودق ناقوسا إستوجب دقه منذ أمد بعيد، في كتابه "الأرض الوطن" 1993 و"العام الأول من العصر الكوكبي الأرض تابعة للإنسان الذي هو تابع لها" ، 2007 أشار إلى أننا

[1]– إشتغل موران سياسيا مناهضا للرأسمالية التي أقر أنها حجبت عنه الإمبريالية السوفياتية في حق الأمم التي أخضعتها بإسم الديمقراطية ومنعه التفوّق الأمريكي من رؤية سوءات السوفيات الذي كان أسوأ الأنظمة في القرن العشرين بيد أنه لم يدرك ذلك مبكرا كما عبّر عنه.

[2] - Edgar Morin, Le cinéma ou l'homme imaginaire essai d'antropologie, edition de minuit, Paris, 1956, p1, p92.

[3]– إدغار موران، عن الجماليات، تر: يوسف تيبس، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء، 2019، ص7.

نسعى لإظهار الخطر الداهم على البيئة والتي وسمها بالأزمة وسعى لإقامة أخلاق البيئة في ثقافة فقدت ثقتها في عصرها لغرض إرساء ما وسمه ب:الأرض الوطن، واجتهد موران في فتح السبيل لتدارك هذه الأزمة البيئية المتغلغلة في العالم وغدت الخطر الأكبر الذي يهدد البشرية، بدءا بالجفاف وتلوّث المياه وتسمّم التربة بفعل الأسمدة، والتصحر وانكماش الغابات والإحتباس الحراري وانبعاث ثاني أكسيد الكربون، يستهدف موران تطبيب أزمة المحيط الحيوي التي تتواشج مع أزمة الحضارة، فالأنظمة التي تنظم الطبيعة لم تعد قادرة على القضاء على عوامل الإنحراف والدمار التي تفرضها الإنقطاعات في التوازن الحيوي، على هذا الأساس إستوجب إصلاح التفكير البيئي حتى يتسنى لنا رسم السبيل السديد لحل الأزمات الإيكولوجيا التي أضحت أزمة العصر "إبان القرن العشرين أصبح الإقتصاد والتوزع السكاني والتنمية والبيئة مشكلات تهم جميع الأمم والحضارات، أي الكوكب بأكمله"[1] إذا ارتسم موران هذه الأزمات وسعى إلى إيضاحها، ويبدو أن أزمة الجماليات لم تصل إلى قمتها إلا في عصر ما بعد الحداثة –وإن كان لم نعهد في حدود علمنا أن موران إستخدم هذا المصطلح حيث شهدنا على الإستغناء عن كل ما له قيمة جمالية وشاعرية وهذا ما أودى بنا إلى "تدهور المحيط النفسي وهذا يعني حياتنا العقلية والعاطفية والأخلاقية، وهذا كله له عواقب مترابطة تسلسليا"[2] إن إعتبارنا الفنون أحد المرتكزات التي بلورت مشروع موران الفلسفي لم يجعلنا نتغافل الركيزة الكبرى التي أسست مشروعه ونقصد هنا الفلسفة.

هـ: الفلسفة: إن علينا الآن التكشيف عن الوجه الأكثر حسما في بلورة مشروع موران باستناده على الفلاسفة، وهذا يحيلنا إلى كتاب إرتسم فيه الذين اضطلعوا في بنيانه ، ونقصد هنا كراسة فلاسفتي[3] (2012) الذي أقر فيه موران بفضل فلاسفة الجدل على وجه التخصيص وفلاسفة التربية والعلم، والمتأمل لهذه الكراسة سيندهش من حضور أسماء لم تخطر في بال القراء مثل الموسيقي "بتهوفنLudwig Beethoven " (1770–1827) كما أننا إستغربنا من غياب فلاسفة كبار على شاكلة فردريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844–1900) وكان أبرز الفلاسفة كما يلي:

هيرقليدس: الفيلسوف الجدلي أو أب الجدل[4] أقر موران باقتران فلسفته بفيلسوف الذرة، كما قدّم إعترافا صريحا أنه ليس على دراية في أي لحظة إكتشف هيرقليدس وتعرّف على فلسفته طارحا سؤالا "هل هو قبل هيغل أم بعده؟" بيد أن وجه الحق أنه قد استجاب لتطلعاته الفكرية ولبى طموحه وشغفه، وألفى فيه حلولا لكل

---

[1]– إدغار موران آن بريجيت كيرن، الأرض اوطن، تر: سلمى ديجن، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2022، دط، ص81.

[2]– إدغار موران آن بريجيت كيرن، الأرض اوطن، مصدر سابق، ص83.

[3]– للأسف لقد تعذّر علينا الحصول على الكتاب Mes Philosopes بيد أننا عوّلنا علىمقال كتبه المترجم هاشم صالح معنوّن ب"فلاسفة حياتي لإدغار موران" وهو عبارة عن قراءة في كتاب.

[4]– ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، دط، ص69.

التناقضات الكبرى التي كان يُعتقد أن لا حل لها ولا يمكن تجاوزها في الآن ذاته، هذه التناقضات أثرت رصيد موران وقوّمت مساره الفكري مسهما في بلوّرة التناقضات التي شغلته كالتناقض بين الإيمان والشك، إتجه موران إلى فكرة أن الإنسان ليس كائنا عاقلا كليا ولا مجنون كليا بل هو مزيجا بين هذا وذاك، الإنسان على عكس ما هو قد عرف عليه لا يعيش بالعقل فقط، بل بالجنون أيضا، نبّه موران إلى أنه تعلّم من هيرقليدس أننا "نحيا بالموت ونموت بالحياة" ومن بين أبرز ما استخلصه موران من هيرقليدس أنه تعلّم منه العيش بين المتناقضات يقول موران هاهنا ساخرا "عندما تركت زوجتي الأولى تركت لها كل شيء الشقة الأثاث وحتى حسابي في البنك، لم آخذ معي إلى عشرة كتب من بينها هيرقليدس "[1].

سبينوزا: يجدر بنا أن نشير إلى أن سبينوزا Baruch Spinoza قد إرتبط بموران في أكثر من سياق، ففي سبينوزا تقبع شرارة الإختلاف الأبدي والعداوة التي فصلت بين موران وليفيناس Emmanuel Levinas (1906–1995)، إحتل كتاب "مقال في اللاهوت والسياسة"مركز ثقل سياسي وديني، والذي كان شرارة إنبثقت منه أصابع التكفير صوب الفيلسوف الهولندي من حاخامات اليهود، ففي هذا المتن نلفى سبينوزا يرفض فكرة الدين، راسما الخطوط الأولى لتبعية الدين للأخلاق التي سيؤسسها كانط فيما بعد، يقول سبينوزا "إن سعادة الفرد ونعيمه الحقيقي لا يكونان إلا في تمتعه بالخير، لا في فخره بأنه وحده الذي يتمتع به مع إستعباد الآخرين[2] وعلى هذا الأساس فهو يرفض فكرة الإيمان بوجود دين سماوي يؤسس لتفوّق عرق على آخر ولا وحي خارق للطبيعة ولا حتى خالق متعال على الكون، فالدين عند سبينوزا معاملة –لا يخفى تعلّق سبينوزا بالأدبيات الصوفية الإسلامية– ففي سياق الإعتراض على الله، قدّم سبينوزا الله متمثل في الطبيعة ما جعله تحت وطأة التهديد، رفض سبينوزا فكرة شعب الله المختار وأن اليهودي لا يمتلك أي موهبة تضعه فوق الآخرين ومحى كل الفروق الفاصلة بينه وبين الآخرين، حاول دفيد بن غوريون إزالة حكم التكفير الذي طاله بيد أن ليفيناس رفض رفع التهمة عنه "ومع ذلك هناك من يعتبره أحد كبار الفلاسفة في العصر، لكن على ما يبدو ظلّ في أعماقه يهوديا متعصبا والدليل على ذلك ليس فقط أنه كفّر سبينوزا بل خوّنه يقول: لقد مارس سبينوزا تأثيرا فكريا حاسما ومعاديا لليهود وبالتالي فهو خائن لشعبه"[3].

يقر موران أن هذا الكلام المخجل لا يصدر عن فيلسوف حقيقي على هذا المعيار يصنّف موران ليفيناس في خانة الأصوليين المتزمتين، لا في خانة المفكرين الأحرار، بيد أن موران يرى في سبينوزا المرآة العاكسة فهو تعرّض لهجوم متعصبي اليهود الذين قدموه للمحاكم لكونه ساند القضية الفلسطينية وتعاطف مع محنتهم واعتبروه خائنا، يلتقي موران مع سبينوزا في كونه يهوديا خارج عن الأرثوذكسية وكما اعترف بإعجابه الشديد بحداثة المفكر الهولندي، فالطبيعة بكونها خلاقة بذاتها لا تحتاج إلى أوامر من السماء لكي تخلق وتبدع، كما لم يغفل عن الفكرة الأساسية التي قدمها سبينوزا الذي أعلن الحقد على الحقد والكره على الكره، إنبنت حياته

---

[1]– هاشم صالح، فلاسفة حياتي لإدغار موران، 2013/11/22، aljaml.com

[2]– باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2020، د ط، ص177

[3]– هاشم صالح، فلاسفة حياتي لإدغار موران مرجع سابق

على الحب، حب الآخرين مهما كانت عقيدتهم وأصولهم فالناس الطيبة لا يتمركز وجودهم في طائفة معينة، بل يتوزعون في كل الطوائف كما يتوزّع الشر فيهم،، رفض موران بالإقتران مع سبينوزا الخلط بين الدين والسياسة، كما أنهما تصدّوا لإستغلال الدين لأغراض سياسية ولا يخفى على المتتبع لأفكار موران تبنيه لهذه الأفكار التنويرية.

روسو: يتقوّم روسو رأسا في فلك فلسفة موران ولعل الركيزة الأساسية التي إتكأ عليها هاهنا أن روسو قال في عز التنوير أن العقل لا يكفي وحده، فالجرأة التي تحلى بها في اعتراضاته على توجهات فلسفة "ديدرو" و"فولتير" قد رسمت له المكانة التي حضي بها عند موران، إن العقل الذي قصده هاهنا هو العقل البارد المجرد من أي عاطفة طرح روسو تساؤلا: ما معنى حضارة بلا قلب خافق؟ ما معنى حضارة بلا أخلاق؟ واستبق به ما سيحدث لحضارة الغرب بعدما كانت الرهان الأكبر الذي سيفتح الأفق الإنساني الأكبر صوب التقدّم، لم يتفطن ديدرو وفولتير والموسوعيين للكارثة التي ينطوي عليها العلم التبسيطي الذي طغى عليهم، والذي دفع بهم صوب الإنهيار بيد أنها لم تخفى عن روسو هذا الإنزياح وسعى إلى استصلاحه، جذّر الأخلاق والعاطفة كخط موازي يزامل العقل النقدي في عملية إستظهار التطوّر المنشود، بيد أن ما أقره موران أن ديدرو وفولتير لم يكونا مخالفين لجادة الصواب "لا بد أن العقل النقدي ضروري جدا لتبديد الخرافات الدينية وتفكيك الإنغلاقات التراثية"[1] يشترك موران وروسو في هذا التوجّه بيد أن هؤلاء الذين تبرأوا من أي عاطفة لظنهم أنها تحول بين التقدم والإنسان فيتوجب هنا تقويم اعتقادهم وهو ما سعى إليه روسو إذ أنه يستوجب بناء عقل تركيبي لا تبسيطي فالإنسان كائن عاقل، صانع، مجنون، شاعري ومتدين، "لقد قدم روسو ملكة الشعور على ملكة التفكير وجعل منها مصدرا من مصادر الحكم "[2]، فالخلاصة التي أقرها موران أن التنويريين غرقوا في العقلانوية التبسيطية التي لا تعي بمحدودية العقل وهذا أفضى إلى تأسيس أسطورة جديدة: العقل مقابل أسطورة الدين القديمة يستوجب الإشارة إلى أن مشروعهم "أدى إلى خلق حضارة علمية وتقنية كبرى ولا ريب أن روسو هاجم أحيانا الحضارة بطريقة فجّة لكن من منا لا يرى أنه كان محقا في إدانة الجانب اللاإنساني من الحضارة الحديثة"[3] هنا سنرسي اضطلاع روسو برؤية الحضارة التي يستوجب أن تقدم مجتمعا أفضل في الأصعدة الدينية والتربوية والأخلاقية والسياسية، ولهذا لا يلبث روسو أن يقدم مشروعا فكريا إستقاه من نظرة فحصت البعيد وتدبّر الإنحراف الذي أنتجه التطوّر العلمي.

هيغل: يمكننا إستكمال نهج هيرقليدس بفيلسوف الجدل هيغل، إذ لا يسعنا إهمال تلفت موران نحو الجدل الهيغلي منذ كتاباته الأولى، إذ إنبنى مشروع موران في تحوير الجدل الهيغلي إلى ما يسميه "الحوارية" إنشغل موران بقضية ظلت موجودة في عالم الطبيعة وعالم الكائنات الحية وفي منظوماتنا البشرية "نعني بتلك

---

[1]- هاشم صالح، فلاسفة حياتي لإدغار موران، مرجع سابق.

[2]- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: يونس غانم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، 2009، ط1، ص30.

[3]- هاشم صالح، فلاسفة حياتي لإدغار موران، مرجع سابق.

القضية التي يطلق عليها بلغة فلسفة الظواهر قضية حدوث ضديات أصولية لكنها تكمل بعضها البعض الآخر في نفس الوقت"[1] يقصد موران أن هناك طبيعة موجودة بين الضدية والتكاملية حيث يتسنى في المنطق أن تحل قضية ما محل نقيضها، ويقر موران أن الحوارية هي وليدة الجدل الهيغلي وجدل هيرقليدس، كما يقر في الحوار الذي أجراه مع مجلة "المجلة الفلسفية" الفرنسية أنه وريث هيغل وماركس "بصفتي وريث لهيغل وماركس إعتبرت طويلا أن مهمة الفكر هي الإستنارة عند مقابلة التناقضات ومواجهتها لا تجاوزها"[2] فالجدل الهيغلي كان منبتا حقيقيا لولادة منهج موران التعقيدي كما سيتوضح لنا في المبحث الثالث، وهذا ما يحيلنا إلى ماركس الذي قوّم هيغل.

ماركس: نفترض أن ماركس كان له نصيب الأسد في تبلوّر فكر موران وهو الذي خصّص له كتاب مع ماركس وضد ماركس وهي مجوع مقالات نشرها في منابر وأزمنة مختلفة من 1958 إلى 1993 "مجلة أرغيمون Argument ودفاتر مركز الدراسات الإشتراكية ويومية Le mende ومن الخليق الإشارة إلى أن موران عوّل على ماركس باعتباره فيلسوف متعدد التخصصات كما أشرنا سلفا، فيلسوف إقتصادي ملم بالعلوم، فوجه الطرافة هنا كما يقول موران "إن ماركس لم يهجر الفلسفة بشكل كلي ولم ينخرط في العلم كليا، إن عبقرية ماركس تتمثل في أنه أراد فيما سماه البراكسيس أن يجمع ويخصّب ويقسم"[3] فماركس كان جدليا على وجه الكلمة الأتم وتبنّى موران الماركسية ودافع عن الحس الماركسي وامتلك النقد الذي جعله يبقى على اليسار كما أقر في مقال 2010 المعنون بـ: اليسار كما أراه.

فلاسفة آخرون: يستعسر تتبّع مفكري موران وهو الذي وسم نفسه كونه فيلسوف وحشي لا ينتمي إلى أي تيار فلسفي أو مدرسة فلسفية، ومن اللافت أن موران إشتغل على فلسفات كثيرة على شاكلة فلسفة كانط "عثرت على طريقي منذ الثامنة عشر من عمري، ولم يزل دأبي النظر في الأسئلة الكبرى التي صاغها كانط: ماذا يجب أن أعرف؟ ماذا يجب أن أعمل؟ وماذا يحق لي أن آمل؟"[4]، ويقر أنه وراء هذا المسعى ليجيب على السؤال الأكبر ماهو الإنساني؟ ويستأنف أيضا المفكر بليز باسكال Blaise Pascal (1623-1662) ففي خطابه للمجلة الفلسفية يقر أن باسكال يكشف النقاب دون غيره من الفلاسفة عن تمزّق الوضع البشري، ويقر بالتناقضات "بين العقل والإيمان وبين اللانهائيين الكوني والداخلي، بيد أن التمزق ليس هو الكلمة الأخيرة لأنه يدعو للرهان على وجود المخرج، كما أنه يعلم أننا محكومون بالعيش مع المتناقضات دون تفاؤل أو تشاؤم يسعى أن يكون واعيا بالطابع التراجيدي لحياتنا"[5]، كما أشار إلى مارتن هيدغر [قابله عدة مرات في فرايبورغ وفي الغابة السوداء واستعار منه مصطلح العصر الكوكبي بيد أن الإشتغال المووراني

---

[1] - Edgar Morin, This is my philosophie, Op Cit.

[2] - Edgar Morin , a 100 ans entretien anniversaire avec un éternel résistant, interview avec Martin Ligro, Philosoie Magasine, N 151 , Juillet – aout 2021.

[3] – إدغار موران، مع ماركس وضد ماركس، مصدر سابق، ص23.

[4] – إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص117.

[5] -Edgar Morin , a 100 ans entretien anniversaire avec un éternel résistant, Op Cit.

على المصطلح إختلف عن هيدغر، موران قدم له صيغة تاريخية مرتبطة بانكشاف العولمة على خلاف هيدغر الذي صاغه وفق أسس ميتافزيقية] في نفس الخطاب قائلا عنه "قابلت هيدغر بعد الحرب في ألمانيا وكنت قرأت مسبقا ترجمة الجزء الأول من الوجود والزمان في الأربعينيات وقد ترك تأثيره داخلي" ونلفى إهتمام موران أيضا بحنا أرندت بالأخص في مقالها حول أزمة التربية 1957 ونجده مهتما بماركسية روزا لوكسنبورغ واصفا إياها بالعظيمة في متونه، تبنى أيضا فلاسفة العلم وبالأخص غاستون باشلار وكارل بوبر وتوماس كوهن لم يتسنى لنا تتبع كل المسارات التي إنتهجها موران وبالأخص في علم الإجتماع واضطلاعه بفلاسفة "كاستورياديس وتالكوت بارسونز" وغيرهم من الفلاسفة الذين أسسوا منهج التعقيد، وهنا نجد أنفسنا ملزمين بالإجابة عن السؤال ماهو التعقيد؟ وهو ما سنلج إليه في المبحث الثالث من هذا العمل.

المبحث الثالث: إستحداث المنهج لقراءة الوضع الإنساني

أولا: التبسيط وتعليل المعرفة:

إن غرضنا الأن هو فحص المناقشة المورانية لفكر التبسيط ومآلاته التي أولجتنا في تعليل المعرفة، نحن نجد أن موران قد انطلق في تدبير فكر التبسيط من اعتبار واضح وهو التخبّط الإنساني الذي أولجته فيه التقنية ففكرة التبسيط كما حددها اندريه لالاند هي كما يلي: "الجزء الذي لا اصل له ولا يستطيع المرء ان يميز من الاجزاء المكونة"[1] ونلفى أن لالاند قد أضفى اقتران بين التبسيط ومونادولوجيا ليبنتز "إن المونادة[2] التي نتحدث عنها ما هي إلا جزء بسيط يدخل في المركبات، بسيط بمعنى انه دون أجزاء ومن الضروري ان توجد جواهر بسيطة لأن هناك مركبات"[3] ، في معجم جميل صليبا نجد أن "البسيط الشيء الذي لا جزء له أصلا كالوحدة، النقطه وهو لفظ مولد يقابله المركب"[4]، ونلفى ان البسيط هو الخاوي الذي لا يحوي شيئا وهذا الاعتبار بمثابه الخلاصه التي قاربناها وانتظمت في تحديد الدلاله العامه لمفهوم التبسيط الذي خصّصه موران لإيضاح مشكلاته.

أ: مبنى الاشكالية: علينا ان ننبه إلى أن السياق الذي جاءت ضمنه إشكالية التبسيط كان سعي ديكارت إلى توليد منهج نستمد منه الوصول إلى المعرفة الحقيقية، ولفهم فيلسوف يجب أن نجد جذر إشكاليته التي يفكر داخلها، وديكارت كان صارما في البوح أن غايته الكبرى هي تعقّل المعرفة أو كيفية إستعمال العقل إستعمالا صحيحا ولتوجيه ذلك إستلزم المنهج، ليس غرضنا نحن هاهنا تتبع المنهج الديكارتي إلا من الباب الذي فتحه موران، والذي وجّه له من خلاله أصبع الإتهام الذي أسّس عبر هذا المنهج لإبستمولوجيا الإختزال، أو منظومة التبسيط كما يتم تداولها، فديكارت الذي إجتهد في إعادة الإعتبار للعقل من فرط ما تم التفريط فيه في حقبات قبله، إذ شكّل براديغم مؤسس على التعويل التام على العقل مبتعدا عن كل الأسس الأخرى، قاصدا بذلك حصر المعارف ضمن حدوده، فالقارئ لنص ديكارت يستشعر الفحص الذي قرّه في بلورة المنهج إنطلاقا من الشذرة 6 من الجزء الثاني من كتاب حديث الطريقة التي أقر فيها ديكارت بضرورة

---

[1] - André Laland, Vocabulaiire Technique et Critique da la Philosophie, Presses Universitaire de France, 1997, p4, p993.

[2] – حقيق أن ننوه أن إستخدام ليبنتز للفظة المونادة الأول مرة كان 1697 في رسالة إلى غرديلا، بيد أنه كان يستخدم دلالات متباينة لإيضاح نفس المعنى على شاكلة جوهر، صور جوهرية، وحدات حقيقية، قوى أولية ذرات الجوهر، نقط ميتافزيقية، ولعل جوردانو برونو أول من انتبه إلى إستخدام لفظة موناس للدلالة على الجواهر الفراد الحية التي يتألف منها العالم، إذ كان يطلق على الله لفظة موناد، المونادات، والمونادات عند برونو هي أجسام وأرواح في آن واحد، وكلها تعبّر بشكل خاص عن مونادة المونادات أو العالم الإله، ورغم هذا السبق بيد أنه لم يحقق ما انتبه إليه إلا ليبنتز في تحليله للمونادة وكلامه عن إدراكها: ينظر إلى: غوتفريد فيلهلم ليبنتز، المونادولوجيا، تر، ألبير نصري نادر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2015، ص 44.

[3] – المرجع نفسه، ص43–44.

[4] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، دط، ص209.

تفكيك الظواهر إلى أبسط عناصرها "تمثلت الثانية في تقسيم كل من الصعوبات التي أفحصها إلى ما يمكن من أجزاء وما ينبغي لحلها على أفضل وجه"[1] رب قولة يبدو أنها غيرت معنى التفكير في ثقافة قطعت أشواطا كبيرة في هذا الشأن بيد أن هذا الإختزال سبقه علة أولى والتي صاغها ديكارت على النحو التالي:"فكانت الأولى أن لا أقبل شيء أبدا على أنه حقيقي دون أن أعرف معرفة جلية على أنه كذلك"[2] بهذا يكون ديكارت إفتتح براديغما صاغ كل معارف العصر الحديث [إن إستعمالنا للفظة معارف العصر الحديث هاهنا إنما يشمل المعارف التي أنتجت في ق 17 و18 من علوم وفلسفات تعتمد نموذج البساطة والإختزال: يختزل فيها الإنسان تارة في الطبيعة وتفصل طورا الإنسان عنها] إنبنى على إبستمولوجيا البداهة والبساطة[3]، فهذا الإقرار ليس مجرد تأريخ فكري لرأي فلسفي ولا هي قراءة جادة لفلسفة ديكارت كما فعل سبينوزا مع فكرة البداهة، بل هي حقيقة بوصفها معلما إرتسم من خلاله حقائق العلم الحديث وكذا فلسفته، واعتبرت الطريق المنهجي الذي إنتهجه التابعون للوصول إلى وعود العلم التي ستنبثق في عصر التنوير، فكيد ديكارت أنه فرض على فلاسفة وعلماء القرنين السابع والثامن عشر التوجّه قبلة الإختزال لتذليل إستعسار المفاهيم واكتملت معالمها مع نيوتن، بيد أن الفلسفة في القرن العشرين طفقت تُحتَرف نوع جديد من الكتابة الفلسفية إنبنت على نقد ديكارت، إفتتحه هسرل Edmund Husserl (1859–1938) والكوجيتو نعثر عليها في فكرة القصدية وتأسيس الفينومنولوجيا، ثم تبعه جيلبرت رايل Gilbert Ryle (1900–1976) في نقد مفهوم العقل عند ديكارت، والإعتراض الذي قدمه أن العقل ليس جوهر ماهيته التفكير –ديكارت– بل هو إستعداد للسلوك، وفي فلسفة العلم نلفى غاستون باشلار مؤسس اللاديكارتية ونقد نموذج البساطة التي خلص إليها ديكارت، هذا التوجه انتهجه موران في نقد أنموذج التبسيط الديكارتي الذي إكتمل مع نيوتن كما يقرّ موران.

يشير موران إلى أن تشريح الإختزال أفضى إلى ثلاثة عشر نتيجة قدمتها هذه الإبستمولوجيا وهي "1– مبدأ العالمية 2– القضاء على كل ما هو حافل بالأحداث وتاريخي، 3– مبدأ تقليص المعرفة بالمجموعات ومعرفة الأجزاء والوحدات البسيطة، 4– مبدأ الحد من المعرفة بتنظيمها وفق قوانين وثوابت، 5– مبدأ السببية الخطية بكونه متفوق وخارجي على الأشياء 6–السيادة التفسيرية المطلقة للحتمية العلمية، 7– مبدأ فصل وعزل الكائن عن بيئته 8– مبدأ الفصل المطلق بين الذات والموضوع 9– القضاء على إشكالية الموضوع في المعرفة العلمية، 10– القضاء على الوجود عن طريق التحديد الكمي وإضفاء الطابع الرسمي، 11– الحكم الذاتي لا يمكن تصوّره، 12– مبدأ الموثوقية المطلقة للمنطق في تأسيس الحقيقة الجوهرية أي

---

[1]– رونيه ديكارت، حديث الطريقة، تر: عمر الشارني، الممنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ط1، ص99.

[2]– المرجع نفسه، ص94–98.

[3]– في أطروحة بعنوان " **إبستمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التقيد والفكر المركب لدى إدغار موران**" نوقشت في جامعة وهران في السنة الدراسية 2015–2016، إستطاع داود خليفة أن يوفّق بين مصطلحي التبسيط والإختزال وأقام بينهما إقترانا وتماهيا ووافقنا ما نحى إليه إذ يقول "يتداخل لفظ التبسيط مع لفظ الإختزال في كونهما يعبران عن تجزئة وتفكيك المركب ورده إلى عناصر بسيطة باعتبار أن أفضل طريقة لفهم أي ظاهرة هو إختزالها إلى أجزائها المكوّنة لها" ينظر: داود خليفة، إبستمولوجيا التعقيد، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، 2016، ص46.

التناقضات تظهر كخطأ، 13-يفكر المرء من خلال أفكار واضحة"[1] إنه ليس صدفة أن يرتسم موران هذه التراكمات المعرفية التي أعقبت بلورة هكذا براديغم -إبستمولوجيا التبسيط- التي أسهمت في تعليل المعرفة إنما يقصد موران في فحصه هذا بتعليل المعرفة هو إنفصال العلوم عن الفلسفة ثم انفصال العلوم عن بعضها البعض، هذا الفصل، التذرير التجزيء، إنما أرسى تفتيت الإنسان وانفصاله عن ذاته الهووية التي ظلت سجينة مطارحات التبسيط، إن التحليل الموراني للبراديغم إنما إستأنفه في كتاب 1990 "الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب" حيث أخذ على عاتقه تبيان نتائج الإختزال، إنه ضمن هذه المناقشة إنما أتينا إلى أطروحة الدكتور داود خليفة الذي إرتسم المآلات التي أولجتنا فيه منظومة التبسيط والذي خلص إلى إيضاح ما أنتجته هذه المنظومة من أفاق إنتهجتها العلوم والفلسفة منذ عهد ديكارت.

ب: مبادئ إبستمولوجيا الإختزال: حدد داود خليفة مبادئ التبسيط في شقين يكشفان عن إنبثاق العلوم:

النظام[2] : الذي إنبثق من فكرة البداهة، ففكرة الإنتظام التي تحيل إلى السببية الخطية التي تؤدي بمعناها الأدق إلى التتابع الثابت، فارتسمت السببية في القرنين السابع والثامن عشر في فكر هيوم وجون ستوارت مل، التي إغترفت من فيزياء غاليليو غاليلي فأفضت إلى نجاح مبهر "عقب النجاح في تفسير علة كون الحدث A متبوعا بانتظام بالحدث B غالبا ما نقول إننا نعرف لما تتبع A الB ضرورة"[3] نادى المنطق الأرسطي بالسببية وأقام صيغة فلسفية مفادها لكل معلول علة، إشتغل الفلاسفة على هذا الأساس إذ نجد الفلاسفة إشتغلوا على السببية على شاكلة هيوم في إطرد الطبيعة وليبنتز في المونادولوجيا وإيمانويل كانط الذي جعل من السببية قالبا فكريا في نقد العقل المحض، فنجد الفلسفة في هذه الحقبة مقترنة بالسببية، وانطلق الفلاسفة من فكرة أن السببية تقود إلى حصول النظام، لقد إعتمد داود خليفة في تخريج أساس النظام على مفهوم خاص تشعبت به العلوم ونقصد هنا مبدأ الحتمية[4] الذي انخرط في العلم منذ لحظة نيوتن "تعتبر الفيزياء النيوتونية أصدق صياغة علمية لمبدأ الحتمية، حيث تؤدي ميكانيكا نيوتن إلى القول بحتمية وقوع

---

[1] - Edgar Morin, Science avec conscience, Fayard, Paris, 1982,p1, p306.

[2]- وهو جملة العناصر التي تؤسس بتلملمها كلا واحدا، حيث يرتبط كل عنصر بالآخر، ولعل أول من اعتمد هذا العنصر في العلوم نيكولا ليونارد سادي كارنو (1796-1824) في حقل الديناميكا الحرارية وهو ما اغترفه موران هاهنا،ا بيد أننا نجد المفهوم في الفلسفة عند كانط بمعنى Système وأقرنه موران بمصطلح اللانظام بكونهما متواشجان ومرتبطان ببعضهما البعض.

[3]- أرثر باب، مقدمة في فلسفة العلم، تر: نجيب الحصادي، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، 2006، ط1، ص331.

[4]- إلتزمنا عدم الخوض في التفريق بين مفهومي السببية والحتمية وإبراز الرابطة التي تجمعهما رغم تعمدنا العودة إلى مصادر شراح العلم الذي قدموا هذا التمييز. أنظر: باتريك هيلي، صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، تر: نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ط1 وينظر: فيليب فرنك، فلسفة العلم الصلة بين العلم والفلسفة، تر: علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ط1 وكتاب: أفراح لطفي عبد الله، تحولات السببية دراسة في فلسفة العلم، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2013، ط1.

الظواهر الطبيعية والتنبؤ بمستقبلها"[1]، إن اللافت للنظر هو أن فيزياء نيوتن إنخرطت في فكرة التنبؤ بالمستقبل ولعل لابلاس الذي أشرنا إليه أبرز تمثيل يمكن الإشارة إليه، إنتبه موران إلى مبدأ الحتمية الذي طغى على العلوم في عهد نيوتن واسما اياها بالمطلقية ولا تشوبها شائبة، ففي كتابه المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية 1687 برهن نيون "كيف يمكن أن ندرك إلى حد بعيد بدءا من عدد صغير من المبادئ الفيزيائية الأساسية كيف سيكون سلوك الأشياء وبدقة مذهلة في أكثر الأحيان يمكن أن نشير إلى أن نيوتن مدين بعلمه كما أقر بذلك إلى مفكرين أبرزهم ديكارت"[2] ونحن نلاحظ أن داود خليفة أردف الأساسين بأساس ثالث وهو التعميم الذي شكّل الخيط الهادي المؤسس للعلم الحديث، إنه ما فتئ موران ينبه إلى خطورة التعميم الذي إشترك مع كارل بوبر Karl Popper (1902–1994) لدرئه من مجال العلم، ما يستوجب إيضاح أن التعميم كان الأمارة الحاسمة في إكتمال مفهوم النظام، التعميم الذي أرساه العلم الحديث إنطلاقا من الإستقراء –الناقص– كإشكال حقيقي على هذا الأساس نستحضر تساؤلا نقرّه مع أرثر باب "ولكن ما الرابط الشرطي الذي يقره التعميم شبه القانوني؟ أي ما التعميم الذي يعد صدقه قانونا طبيعيا؟"[3] نخلص مع موران أن التعميم تعتيم على المعرفة االحقة تجعلها تهوى في مشكلة من التضاربات يشككنا في مصداقيتها التي نتوصّل إليها عبر الإستقراء كما نبّه إلى ذلك كارل بوبر.

أما الشق الثاني الذي حدده داود خليفة فهو القابلية للإنفصال، إن التطورات التي شهدتها مرحلة ما بعد ديكارت الذي فصل بين الروح والجسم وانفصال العلوم عن الفلسفة وتبني المنهج التجريبي "بالفعل فمنذ ذلك الوقت تطرح ثنائية الذات والموضوع إنطلاقا من مفاهيم الفصل والدفع والإلغاء المتبادل والإلتقاء بين الذات والموضوع يلغى دائما أحد هذين اللفظين"[4] إنكمشت العلوم في كيانات صغيرة ومعادلات مبسطة وغدا الإنسان منصهر في الطبيعة باعتباره أرقام رياضية "هكذا يتضح أن إبستمولوجيا التبسيط قامت بتنظيم الكون عن طريق إختزاله في كيانات مغلقة ثابتة واضحة خالدة لا تعرف الإختلال والتناقض"[5] هكذا ولجنا في عصر تذرير المعرفة وتجزئتها هذا ما أشار إليه موران في كتاب 1990 "الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب" الذي ارتسم فيه المآلات الضيقة التي وصلت إليها المعرفة، حيث أشار في الفصل الأول إلى مصطلح العقل الأعمى فما الذي يقصده به:

العقل الأعمى: إن وصف موران العقل على أنه أعمى له دلالة عميقة، فهو في السياق الذي إنبثقت العلوم محققة طفرات بوصفها ستحقق وعود التنوير غفلت عن الإفراط في استعمال العقل، فأنتجت دربا متوعرا تخبط فيه الإنسان مع إنكشاف القرن العشرين بحروب عالمية، لم يغفل الفلاسفة هذا التخبط فنحتت أقلامهم

---

[1]– أرثر باب، مقدمة في فلسفة العلم مرجع سابق، ص406.

[2]– عادل بويحي، إنبثاق الفكر والمعرفة لدى إدغار موران، دار الأيام، عمّان، 2020، ط1، ص 40.

[3]– أرثر باب، مقدمة في فلسفة العلم مرجع سابق، ص379.

[4]– داود خليفة، إبستمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص103.

[5]– المرجع نفسه، ص43.

التفسيرات اللازمة، ولعل موران أبرز هؤلاء، لا ريب أنه انبهر بحسنات الإمبريقية وما أنجزه العلم الإمبريقي وما رسّخه في العالم، بيد أن هذا المنجز لم ينصرف عن إقامة موازنة مع تقدم أخر يهدد كيانه ومساره، ونقصد هنا بتقدم العماه والشواش كما أقر بذلك "إكتسبنا معارف هائلة حول العالم الفيزيائي والبيولوجي، أعطى العلم الغلبة شيئا فشيئا، ويبدو أن أنوار العقل تكبت في الأعماق الدنيا للروح عدة أساطير ومع ذلك يتقدّم الخطأ والجهل والعمى في كل مكان في نفس الوقت الذي تتقدم فيه معارفنا"[1] يفترض موران أن العلم غدا يهدد البشرية، بل أنه وفي مرحلة انتعاشه إستكمل الإنزياح من كونه سيحقق تطورا في خدمة الإنسان إلى المحاولة للوصول لمرحلة الكمال الإمبريقي، تم إنتاج الأسلحة النووية والحرارية، وتم القبض على البيئة وإضفاء الإختلالات التي تخل بها، وصول زعماء إلى سدة الحكم إتسموا بالديكتاتورية تمكّنوا من مطية دول العلم والثقافة [أدولف هتلر Adolf Hitler (1889-1945) على سبيل المثال لا الحصر] أرسوا كل أشكال الخطر والإضمحلال والقضاء على البشرية والبيئة، جرّد موران المعرفة من فحواها وقدّم لها أصابع الإتهام وصادر الصيغة التي تشتغل لها، لكن أي معرفة نقصد هنا؟ لا شك أننا نقصد المعرفة المشوّهة المريضة التي أنتجها ديكارت التي فرضت علينا أن نحيا تحت إمرة مبادئ الفصل والإختزال التي تشكل منظومة التبسيط، وهي التي جعلت من الأفكار الواضحة مبدأ للحقيقة، هذه المنظومة رافقت مغامرة الفكر الأوروبي وسمحت بتحقيق تقدم علمي وفلسفي لا يشق له، بيد أن مخلفاتها الضارة التي اتضحت في القرن العشرين قد أبانت العقل على حقيقته، هذه المنظومة فصلت المعرفة عن بعضها البعض، فلم تعد تلك المركبة بل إشتغلت على التقليص لأقصى الحدود بين المعرفتين العلمية والفلسفية "سيحرم مثل هكذا العلم في النهاية من كل إمكانية لمعرفة نفسه والتفكير فيها، بل حتى من أن يتصوّر نفسه بطريقة علمية أكثر من ذلك، مبدأ فصل الحقول الثلاثة الكبرى للمعرفة الفيزياء والبيولوجيا وعلم الإنسان بشكل جذري عن بعضها البعض"[2]، إنتبه موران إلى تبسيط آخر لحق هذا التبسيط وعمل على تكريسه ونستشهد هنا بقوله: "وكانت الطريقة الوحيدة لتدارك هذا الفصل هي اللجوء إلى تبسيط آخر إختزال المركب في البسيط واختزال البيولوجي في الفيزيائي والإنساني في البيولوجي"[3].

إن مولد المعرفة ناتج عن رفع أسهم التبسيط والإحتكام إلى مبادئ الفصل والإختزال، إنتصرت هذه المنظومة على الإنسان لصالح الآلة التي ما لبثت تستحكم على كل ما هو إنساني وربطه بما هو تقني، ولم تعد لعلوم الإنسان قيمة ، نبّه موران لخطورة هذا الموقف واشتغل على تحرير الإنسان وعلومه من جبروت التقنية التي أنتجها العقل الأعمى، الذي بدوره تأسس على الصرامة والحساب، بحيث غد الواقع مجرد صيّغ ومعادلات، فالفكر التبسيطي إستطال عليه الوصل بين الواحد والمتعدد، وبمفهوم موران الوحدة المتعددة "فإما

---

[1]- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصوار ومنير الحجاجي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2004، ط1، ص13.

[2]- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، المصدر نفسه، ص15.

[3]- المصدر نفسه، ص15.

أنه يوجد بشكل مجرّد من خلال إلغاء التنوّع أو على العكس من ذلك يخضع العناصر المتنوعة جنبا لجنب من دون تمثّل الوحدة"[1]هكذا تغلّغل العقل الأعمى في المنظومات المعرفية وحصر الوحدة والكليات، واستحالت مهمة العقل في تمثّل الرابط بين الذات والموضوع "فالوقائع الأساسية متفرقة إنها تمر بين الشقوق التي تفصل بين المباحث"[2] فالواقع جلل إستشعره موران وأشار لجوهر المشكلة، منظومة التبسيط أودت لمباحث العلوم الإنسانية التخلي عن مقولة الإنسان إلا بكونه وهميا فالمعرفة التي تم تشويهها لم يعد الغرض منها التفكير فيها وتقويمها، بل غدا تخزينها في بنوك المعلومات والتلاعب بها من طرف قوى مجهولة، صرفت المعرفة النظر عن الإنسان وتم استبعاده لصالح تعاظم شأن الرياضة والحساب التي قصّت علينا قصة مآسي الإنسان بوصفها قصة تراجيدية، إنطفئ الإنسان في فلسفات جديدة –البنيوية– تفسر الواقع في حدود تقنية علمية وأعلنت في نهاية المطاف عن نهاية وموت الإنسان، لم يغفل موران عن ذلك فكان تحليله لهذا الواقع ركيزة أساسية عوّلنا عليها هنا.

ثانيا: إنبثاق العلم أفقا لبراديغم جديد:

قد يبدو مهماً إظهار تعلّق موران بمنجزات القرن العشرين التي تعمدنا إغفالها في المبحث المنصرم حرصا على تقديمها هاهنا بصفتها المقام المؤسس لبراديغم موران المسمى بالفكر المركب، إمتشق هذه العلوم بوصفها النواة المؤسسة لبراديغم التعقيد الذي إنتهجه وهذه العلوم هي الأنساق العامة والسيبرنطيقا ونظرية الفوضى ونظرية المعلومات:

أ: الأنساق العامة: تُأخذ هذه النظرية في العلوم الإجتماعية بوصفها تفسر السلوك البشري ومن ثمة فهي ركيزة أساسية والموجه الإنساني للممارسة في الخدمات الإجتماعية، إرتبطت نظرية الأنساق بعالم الأحياء النمساوي لودفيغ فون برتالانفي Ludwig Von Bertalanffy (1901–1972) الذي شكّل منظورا إرتأى فيه أن الكائنات الحية عبارة عن أنساق داخلها عدد من الأجزاء المترابطة التي تكوّن الكل، غدت نظرية الأنساق تطبّق على مدى واسع النطاق من مجالات وتخصصات كالفلك والفيزياء والتكنولوجيا، إن الإستخدام لهذه النظرية إرتبط إرتباطا واضحا بفهم الطبيعة المترابطة والإعتمادية المتبادلة للنسق، تتضمّن نظرية النظم "الأنساق" نظرة شمولية كلية حيث أن كل تغيّر في أحد مكوّنات النسق يغذي المكونات الأخرى.

ترتكز هذه النظرية على جملة مفاهيم إشتغل عليها موران في فلسفته منذ كتاباته الأولى، منها النظام الذي إغترفه من الأبحاث التطبيقية لعلم الإجتماع أين استخدم هذا المفهوم تالكوت بارسونز Talcott Parsons (1902–1979) الذي تصوّر المجتمع على أنه تشابك للنظم الثقافية والنظم الإجتماعية، وفقا لموران إن فهم بنية العالم يستوجب تواشج المبادئ المتناقضة للنظام والفوضى من خلال إرساء مبادئ التنظيم التي

[1]– الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، المصدر نفسه ، ص16.

[2]– المصدر نفسه ، ص16.

ستسطر الأسس لذلك، "يمكن القول أن نظرية الأنساق تقدم صورة ملتبسة للملاحظة وللذي يتعمق فيها"[1] تبنّي موران هذه النظرية متأت من كونها رسمت له مجالا خصبا ينطوي على مبدأ التعقيد الذي اشتغل عليه، كما حدّد الفضيلة النسقية في ثلاث ثوابت قدمها كما يلي"1- إنها لم تضع في مركز النظرية بواسطة مقولة النسق وحدة أولية، بل وحدة مركبة أي أنها لا تختزل النسق في مجموع أجزائه 2-أنها تمثلت مقولة النسق ليس مقولة واقعية ولا شكلية لكن كمقولة غامضة أو شبح 3- أنها تموقعت في مستوى عابر للتخصصات المعرفية يسمح في أن يتمثل وحدة العلم، ويميز العلوم بعضها عن بعض ليس حسب الطبيعة المادية لموضوعها لكن أيضا حسب أنماط وتعقيبات ظواهر التجميع والتنظيم بهذا المعنى تحمل نظرية النظم شساعة تشمل كل ما يمكن معرفته"[2] إن تعلق موران بنظرية النظم مرتبط بارتسامها له الطريق الذي سنّه ونعني بذلك المنهج التعقيدي، حيث يوحي للقارئ الذي يحدّق فيما كتبه موران أنه استبصر شيء غير يسير من اشكاليته التي اشتغل عليها.

إن القارئ لكتاب نيكلاس لومان "**مدخل إلى نظرية الأنساق**" يتبين وجه الإقتران بين الأنساق والعلوم الإجتماعية وهو يخص تالكوت بارسونز بالبحث في الفصلين الأول والثاني، من هنا إقتبس موران فكرة النظام التي تشبث بها في متونه اللاحقة، أورد أنواع النظم التي تشتغل عليها نظرية الأنساق والتي قرنها بظهور الديناميكا الحرارية حيث أن الأنساق تصنف في أكثر من مقام؛ فقد تصنف على حسب وجودها كالأنساق الطبيعية التي لا يتدخل فيها الإنسان مثل الإنسان ذاته والحيوان والمجرات، وأنساق صناعية التي اشتغل عليها الإنسان حيث قد تكون مادية كالسيارة الطائرة، أو معنوية عادات تقاليد لغة، كما يمكن أن تصنف على حسب حيويتها: فنلفى أنساق حية وهي أنساق تعقل وتتفاعل وتتغير وتستجيب للمتغيّرات كالإنسان النبات الحشرات، وأنساق جامدة لا تعقل ولا تنفعل مثل الحديد الخشب السوائل، كما يمكن تصنيفها على حسب درجة الإنفتاح مفتوحة ومغلقة وهذا ما تناولناه يبدو أن موران إكتفى بالإنشغال في هذا الصنف دون غيره كما أورد في كتابه الفكر والمستقبل، ولعل هذا يعود إلى ترابطه بالديناميكا الحرارية:

الأنساق المفتوحة: وهي الأنساق التي تتاثر وتستقبل المثيرات الخارجية وتتفاعل مع مكوّنات البيئة بكل عناصرها، إن جهد موران لضبط هذا النسق إنما ارتبط بعقده علاقة إقتران بين النسق المفتوح والديناميكا الحرارية ووجب أن يرتبط هذا التلاقح بالكائن الحي "انه تمّ التوصّل بين علم الدينامية الحرارية وعلم الكائن الحي وأن فكرة جديدة خرجت للوجود وهي تعارض المقولات الفيزيائية التوازن واللا توازن كما أنها فكرة تعلو على كلا الطرفين حيث تجمعهما في معنى واحد"[3].

---

[1]- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص23.

[2]- المصدر نفسه، ص 23-24.

[3]- المصدر نفسه، ص34.

الأنساق المغلقة: وهي الأنساق غير المرنة التي لا تسمح بالنفاذ إليها والخروج منها، وهي تكتفي بما تمتلك دون أن تستعين بطاقات أو مصادر خارجية، بيد أن موران في خضم حديثه عن الأنساق المغلقة أقر بإمكانية حفاظه على طاقته التي ستحميه من التفكك "يجب على النسق أن ينغلق أمام العالم الخارجي من أجل الحفاظ على بنيانه الداخلي وإلا سيتفكك كليا"[1] ومن المفاهيم التي إغترفها موران من نظرية الأنساق إنما نجد الأنتروبية أو الإعتلاج "تمثل قياسا لمقدار الطاقة في النظام الفيزيائي التي لا يمكن إستخدامها لإنتاج عمل، وهذا يؤول بكلام آخر إلى أنها مقياس لمدى العشوائية أو انعدام النظام الفيزيائي ويمكن على هذا الأساس القول أن الإعتلاج أيضا هو مقياس المدى قابلية قلب ترموديناميكية ما: في الترموديناميك والميكانيك الإحصائي تشكّل الأنتروبية متغيّرا فيزيائيا أساسيا لوصف نظام ترموديناميا حيث تمثل الأنتروبية قياسا لمقدار الطاقة الحرارية التي لا يمكن تحويلها إلى عمل"[2] إنسجم موران مع الأنساق وأقر أنها تستجيب وإشكاليات وأزمات الراهن وتلج العلوم الإنسانية، تنسجم هذه الفكرة في متونه منذ كتاب في مفهوم الأزمة 1976 والمجلد الأول طبيعة الطبيعة 1977 إلى متونه المتأخرة ووجد فيها ملاذا حقيقيا لانسداد النظم التي إنكمشت بسبب التأزمات التي قد إعتلت، والمتأني في تصفّح متون موران سيلفى أنه إنما اقترح حلولا للأزمات الإنسانية إنطلاقا من هذه العلوم –نقصد نظرية الأنساق– ومكتشفاتها.

ب: السيبرنطيقا: ما يهمنا في هذا الوضع ليس تقديم دراسة تحليلية لهذه العلوم على وجهها الأتم، بقدر رغبتنا في تقديم التلميحات التي قد ربطت موران بها، حيث أنها من العلوم التي إفترع منها التعقيد المووراني، ففي الحوار الذي أجراه مع "مارتن ليغرو" في "المجلة الفلسفية" أقر موران باندهاشه بهانز فون فورستر Heinz Von Foerster (1911–2002) وقال "علمني فورستر التنظيم الذاتي والذي هو في الحقيقة تنظيم ذاتي بيئي، حيث أن كل نشاط منظم مستقل يبذّر الطاقة ويحتاج للحصول على الطاقة في محيطه من هنا مفهوم الإستقلالية التابعة المتناقض على ما يبدو وقد علمني أيضا مفهوم المعرفة التكرارية، كل عملية إنتاجية تحتاج إلى منتجاتها من أجل إعادة إنتاج نفسها كما هو الحال بين النوع والأفراد، مثلا علمني أن النظام الذي يقترن باختلالات حتى يكون هناك تنظيم"[3] إنبثقت السيبرنطيقا في خضم الحرب العالمية الثانية حيث لقت قوات الولايات المتحدة الأمريكية صعوبات في إسقاط طائرات القوات الألمانية فتصدى فريق من العلماء في اختصاصات متعددة لمواجهة هذه المشكلة وكان نوربرت واينر Norbert Wiener (1894–1964) أحد أعضاء الفريق حيث تمكّن من إنشاء "جهاز مكوّن من مدفعية أرضية وآلة حاسبة، زوّد الحاسبة بمعلومات مستمرة حول موقع الطائرة ومن ثم تحديد موقعها اللاحق، إهتم بمكانيزمات التوجيه والوسائل

[1] – إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص34.

[2] – نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، بغداد، 2010، ط1، ص59.

[3] - Edgar Morin , a 100 ans entretien anniversaire avec un éternel résistant, op cit.

المستخدمة في إرشاد مضادات الطائرات والقذائف الموجهة"[1] وهذا يعني أن السبرنطيقا تنشغل بالتحكم الآلي بالآلات.

إهتم موران بالعلوم المنبثقة في منتصف القرن العشرين خاصة أنها تتوافق مع إبستمولوجيا التعقيد، في أكثر من موضع والسيبرنطيقا أرست الطريق لظهور علم الذكاء الإصطناعي الذي ظهر مع الرياضي الإنجليزي آلان تورينغ Alan Turing (1912–1954)، إن ما علينا إبرازه هاهنا أنه يتم الخلط عادة بين السيبرنطيقا بكونها علم التحكم الآلي والذكاء الإصطناعي على أنهما شيء واحد غير أن السيبرنطيقا كما أوضح داود خليفة تختص بالخصائص الرياضية لأنظمة التغذية الراجعة أما الذكاء الإصطناعي فيهتم بالعمليات المعرفية التي يستخدمها الإنسان في تأدية الأعمال التي تعدها ذكية، فالذكاء الإصطناعي هو نتيجة للسيبرنطيقا، في نفس الوقت الذي تعتبر فيه السيبرنطيقا فرعا من الذكاء الإصطناعي، هذا وقد يتداخل الذكاء مع الآلات التي تحاول محاكاة ذكاء الإنسان، حاول موران إستنطاق هذه العلوم والربط بينها ليصل إلى فهم العالم عبر الغوص فيها والقبض على معانيها وأشار هنا إلى إشتراك السيبرنطيقا مع نظرية الأنساق العامة "تتقاطع السيبرنطيقا مع نظرية الأنساق في منطقة ملتبسة مشتركة"[2] وهكذا بدأت ترتسم الخيوط الكبرى التي قعّد بها للفكر المركب، بقي أن ننحو صوب نظرية الشواش التي تغافلنا عنها في مطلب الفيزيس.

ج: نظرية الشواش: إن علينا أن نقدم لهذه النظرية بوصفها المنعرج الحاسم الذي سدّد منحى العلم، يبدو أن موران لم يغفل عنها طيلة متونه بوصفها المخرج الذي سيحقق له الظفر بجمع التناقضات التي تعترضه ونقصد هنا الوحدة المتعددة، التعدد الموحد، ولعل عالم الرياضيات الفرنسي هنري بوانكاريه Henri Poincaré (1854–1912) أول من قدّم لهذه النظرية في دراسته فأضاف عناصر لمعادلات نيوتن التي كانت تبين الطرق التي تشتغل بها المدارات في النظام الشمسي، بيد أنه لما حدث تغيير لنقطة البداية الأولية لبعض المدارات ألفى نتائج مغايرة تماما، وحتى التغيرات البسيطة عن المعادلات الأولية أودت إلى أنه من المستحيل التنبؤ بكيفية عمل المدارات، بهذا الإكتشاف غدا بوانكاريه يسمى بأب نظرية الشواش، بيد أن الظهور النهائي لهذه النظرية كان مع عالم الفيزياء Edward Lorenz (1917–2008) عام 1970 في خضم أبحاثه المتعلقة بالطقس إذ كان لورنس يستخدم برنامج كومبيوتر للتنبؤ بالطقس ويدخل بيانات: درجة الحرارة، الرطوبة، قوة الرياح، سرعة الرياح، سرعة دوران الأرض وكان يعيد محاكاة التنبؤ بالطقس بنفس البيانات للتأكد من الأرقام التي إستخلصها في التجربة الأولى، بيد أنه في التجربة الثانية كانت النتائج مختلفة كليا عن التجربة الأولى، وفي عملية مراجعة البيانات توضّح الإختلاف في رقم بسيط 0.0001 وهذا الرقم أحدث تغييرات ضخمة في النتيجة.

[1]– داود خليفة، إبستمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص132.

[2]– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب،مصدر سابق، ص36.

قدّم على الأساس ورقة علمية 1972 حول تأثير الفراشة الذي يدعم نظرية الفوضى، "ذلك ما حاول لورنز تصويره في دمية الطقس الإلكترونية التي إخترعها على كومبيوتر رويال مالابي ومَهر بالتلاعب بالمناخ الذي رسمه على الكومبيوتر فاختار أن يحرك تبدلاته وفق 12 قانون ويشكل كل قانون من معادلات رياضية"[1] تشير هذه النظرية إلى غرائب فكرية تم إثباتها رياضيا، فالحدث البسيط قد يصرف الناس نظرهم عنه قد يحولنا إلى سلسلة أحداث لا متناهية فيتحوّل من حدث بسيط إلى أحداث يستعسر السيطرة عليها، ولعل التمثيل الذي يقدمه علماء الفيزياء لإيضاح نظرية الشواش على التاريخ هو أحداث الحرب العالمية الأولى فلحظة إغتيال الطالب غافريلو برينسيب Gavrilo Princip (1894–1918) للملك النمساوي فرانتس فرديناند Franz Ferdinand (1863–1914) فالمتأمل للحادثة سيلفى أنها مجرد حادثة تحدث في بقاع العالم ، بيد أن تأثيرها إمتد لحرب عظمى مسّت العالم، إذ كانت نتائجه موت أكثر من 16 مليون قتيل، ولم تقبع تبعات هذا الحدث هاهنا فقط بل كانت ممهدة لحرب عالمية ثانية (1939–1945) التي ستسفر عن 55 مليون قتيل وغيرها من الأحداث التي أعقبت هذا الإغتيال[2] بقي أن نشير إلى أن موران إستعان وتفحّص هذه العلوم وارتكز عليها لأجل غرضه الأكبر وهو بناء منهج التعقيد.

د: نظريـة المعلومـة: إن موران يعترف بأن نظرية المعلومة شكلت إنزياحا مهما في عملية التواصل التي إنبثقت مع هارتلي ثم مع شانون وويفر، إن إقترانها بالسيبرنطيقا هو ما خصّص لها هذا الإنزياح صوب تحقيق طفرة كبرى، إذ أرست المكتشفات في علوم المعلومة تغلغل في سياقات ونظم معرفية على شاكلة الفيزياء والبيولوجيا وتعميمها عليه بعد أن كانت منطلقا إنطلقت منها، عبّر موران عن اندهاشه بما توصّل إليه هؤلاء في خضم تحديد كيفية تنقل الرسالة من المرسّل إلى المتلقي، رغم ما يعترضها من ضجيج وتشويش، حيث تشتغل على توليد ذاتها، إنشغل شانون منذ 1948 في بحثه الموسوم النظرية الرياضية للإتصال الذي قدمه لمختبر American Télégraph على الإقتران بين علم الإتصال والطاقة مع الأخذ أن المفهوم غير مادي أي أنه لا يختزل إلى الكتلة أو الطاقة "جاءت نظرية المعلومات كحاجة حل مسألة عملية هامة تتعلق بكيفية نقل المعلومات[3] بفعالية عن طريق حل مشكلة تشفير المعلومات، فهي إذن أداة

---

[1]– جايمس غليك، نظرية الفوضى علم اللامتوقع، تر: أحمد مغربي، دار الساقي، بيروت، 2008، ط1، ص26.

[2]– لم يكن موران الوحيد من تبنى موقفا من نظرية الشواش، إذ نلفى الفيلسوف سلافوي جيجيك Slavoj Zizek إرتسم الطريق ذاته في قراءته للأحداث السياسية التي أعقبت سنة 2018 إلى 2022 واضعا كتاب ينظر إليه: سلافوي جيجيك، فلسفة الفوضى هل ينقذ الدمار البشرية، تر: عماد شيحة، دار الساقي، 2022، ط1، كما ينظر كتاب مهم في هذا الصدد: ب ج براندر، رؤية الفوضى الإستطلاعات عن إنحسار الحضارة الغربية، تر: هاشم أحمد محمد، المركز الفومي للترجمة، القاهرة، 2016، ط1.

[3]– المعلومات تترجم إلى أبجدية زوجية تعرف بأنها أرقام ثنائية binaire1.0.1.0 أو ما يسمى ب bit كمية المعلومات، وكل رقم يعتبر bit الذي يعتبر أصغر وحدة للبيانات إذا تجاوزت الوحدة 8 بيانات تسمى حينئذ byte وهي اللغة التي تستخدمه البرمجيات اللغوية.

لتحليل المعلومات الرسائل داخل أي نظام إتصال إلى الوحدات الأساسية للمعلومات"[1] يمكن القول أن هناك إرتباطاً بين نظرية المعلومات ونظرية الفوضى ونلفى موران يركّز على الإقتران بين هذا النظام المعرفي مع الفيزياء والبيولوجيا والتي لن تكتمل إلا بها "بناء عملية تظهر في مفهوم المعلومة ثغرات ولا يقينيات كبيرة، وهذا هو السبب الذي يدفعنا لا إلى رفضه، بل إلى تعميقه فهو يتميز بثراء كامل وكائن يريد أن يتشكل ويتجسد"[2] إن موران كان غرضه الأسمى تتبّع مشكلات العلوم في القرن العشرين والإنبثاقات الكثيرة التي تنشق عن نظرية السيبرنطيقا والفوضى التي ترسم لها الطريق الصواب لتشكّل فكر التعقيد، ومن هنا ليس غرضنا نحن شرح هذه النظريات كما فهمها موران –على الأقل– بل إكتفينا بالإشارة إليها بكونها المكوّن الأساسي لنظرية التعقيد التي تمخّضت عن كل ذلك.

ثالثا: إنبثاق فكر التعقيد:

لا بد أن نسجّل لحظة إنبثاق الفكر المركب، وبخاصة علينا أن نستبصر صعوبة لم شمل هذه المعارف التي اشتغل عليها موران، رب صعوبة ارتسمت بعد تأزم المعرفة الذي أعقب ظهور مبرهنة عدم الإكتمال عند كورت غودل Kurt Godel (1906–1978) سنة (1931)[يفترض أن أية صياغة لنظرية الأعداد منبثقة من عدد من المسلمات غير المتناقضة لا بد أن تكون غير كاملة] ضاربا تفاؤل علماء الرياضيات بكونها علما كاملا عرض الحائط، ومنطق ألفريد تارسكي Alfred Tarski (1901–1983) [لاشيء يستطيع إثبات نفسه] بهذا إحتكم موران إلى ضرورة "القواعد والمبادئ والبيانات والدليل المفهرس والمنطق والبراديغمات التي تتحكم بمعرفتنا تستطيع أن تصبح موضوع إختبار لمعرفة ثانوية [أي المعرفة المتعلقة بأدوات المعرفة] تملك مفاهيم تتعلق بالمفاهيم ومقولات تتعلق بالمقولات"[3]، إن دعوة موران كانت إصلاح المعرفة وبناء منطق جديد تحت إشراف منهجه التعقيدي، يبدو أنه يتوجب علينا أن نكف عن الدفاع عن معرفة يُعتقد أنها أصلية لأنها لم تعد تروي ظمأنا، وهذا ما أشار إليه لويس لوموانى أحد شراح موران في قوله "ومع ذلك منذ البداية علينا أن ندرك أننا عالقون في واحدة من تلك العبادات المعرفية التي يمقتها علماء المنطق الكلاسيكيون الذين كما نعلم يثقفون أنفسهم عن طيب خاطر مثل كلاب الرعي ينبحون بقوة على الباحثين الذي يحاولون للحظة لإنحراف عن المسارات الأساسية للعلم"[4] ولعل الفكرة الكبرى للمعقد أنه يُبنى بطرح البسيط كما طرح ذلك وشرع في ذلك باشلار، أسّس موران من هذا المنطلق صياغة تهدف إلى نقض أسس العلم الكلاسيكي محاولا إرتسام التعقيد الذي إقترن بالذكاء فنجد الصياغات المورانية تجعل من التعقيد مهما بيد أن السؤال الذي لا مناص منه هاهنا: ماهو هذا التعقيد الذي شكّل حجر الأساس في فكره؟

---

[1]– داود خليفة، إبستمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص143.

[2]– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص40.

[3]– إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة، ج3، مصدر سابق، ص31.

[4]- Edgar Morin et Jean Louis Le Moigne, L’intelligence de la complexité, L’Harmattan, Paris Canada, 1999, p1, p346..

إن موران قد صاغ معرفة متمردة ويفتح بابا للبحث عن طريقة جديدة لمعرفة المعرفة خاصة أن المعرفة باتت مواضيعها مشتتة بين التخصصات، إستشعر موران الحاجة إلى معرفة تدرك الأبعاد المتعددة للأشياء وهي معرفة تبحث في كل مكان عن الروابط والعلاقات التي تجمعها لكن ما الغرض من كل ذلك؟ إعتبر موران أن الغرض من المعرفة التي يسعى إلى تأسيسها إعادة صياغة العلوم الطبيعية مع العلوم الإنسانية، ونصطدم بشارح موراني آخر وهو روبين فورتين Robin Fortin المتخصص في فلسفة موران، الذي جازه موران –حتى في نقده له– الذي عوّلنا على كتابه فهم التعقيد لبلورة فكرة التعقيد وقد عبّر عنها بكونها منطقة رمادية "جزء من نفس روح التكامل، يدعو هذا العمل التأملي في العديد من الأماكن إلى الحاجة إلى توليف يربط بين الإنسان والطبيعة فيما أطلق عليه موران في ذلك الوقت: الأنتروبولوجيا الكونية"[1]، إكتملت نظرة موران للتعقيد بصفته هو ما يميز الواقع واستند على الفكر المركب بكونه الخيط الهادي لمجابهته، فالفكر المركب ليس غرضه تجنّب التحدي أو إزالة التعقيد بل يجهد إلى رفع التعقيد عن الواقع المأزوم، إن علينا أن نقرأ كيف سرد موران هذا المفهوم الذي اعتبره: "يظهر أول وهلة كثقب وكإشكالية غامضة وصعبة"[2] فالتعقيد ليس مجرد فكرة نغترفها تفسر لنا الواقع بل هو نمط معيش يطرح مفارقة الواحد والمتعدد فهو نسيج من المكوّنات اللامتجانسة المترابطة بشكل يتعذر معه الفصل بينها، يعرّف موران التركيب "نسيج الأحداث والأفعال والتفاعلات والإرتدادات والتحديدات والصدف التي تكوّن عالمنا الظاهراتي، غير أنه يتبدى عندئذ على نحو مقلق عاملا سمات الخليط المبهم الفوضى اللايقين.."[3] فالتركيب هو في مقابل البساطة فعناصر التركيب متداخلة غير قابلة للفصل، الفكر المركب هو الفكر الذي يقارب الواقع وفق نموذج إرشادي كما أشار إدغار موران في المجلد الرابع من موسوعة المنهج [الأفكار: مقامها حياتها عاداتها تنظيمها] (1991) الذي كان بمثابة الجزء الأول كما أقر في مفتتح الكتاب يمكن اعتباره كمدخل لفهم المنهج الإرشادي التعقيدي الذي أقره إدغار موران[4]، إن أطروحة موران هي الترويج لمفاهيم التنظيم والإختلال والنظام من أجل إثارة الثقافة الجماهيرية من خلال تعليمهم التفكير في التعقيد، إهتم بتوفير ثقافة تسمح بالتمييز والعولمة ورفع التحدي ومعالجة المشاكل –الأزمات– الإنسانية وإعداد العقول للإستجابة للتحديات التي تطرحها المعرفة البشرية بسبب تعقيد الواقع من جهة ومن جهة ثانية مواجهة حالات عدم اليقين والتثقيف من أجل إرساء التفاهم بين المواطنين والثقافات.

---

[1]- Robin fortin, Comprendre la complexité introduction à la méthode d'Edgar Morin, presses de l'université Laval, Canada, 2000, p1, p2.

[2]– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص69.

[3]– إدغار موران، الفكر المعقّد / المركب والفكر الشامل، تر: خديجة زتيلي، 2021/05/01، https://couua.com.

[4]– إعترف موران في موضعين من كتاب معرفة المعرفة أن المجلد الثالث (ص41 و ص46) هو الجزء الأخير من مشروع المنهج، بيد أنه تبع هذا الأخير بثلاث مجلدات: الأفكار 1991، الذي أقر في مقدمته أنه يستطيع قارئ موران إعتبار هذا المجلد هو الجزء الأول من المنهج، هذا التحوّل في مشروع موران كان تحوّلا في طريقة التفكير بعد إبثاق مقالات الثمانينات والتي إرتسم فيها طريقا إنتهج فيها سبيلا في مسألة إستشراف مستقبل الإنسانية الذي يعتبر لب مشروعنا حيث لن يتقوّم مشروعنا إلا بتجاوز المجلدات الثلاث الأولى لصالح ما كتبه بعد 1990.

يتبنى موران مصطلح إتصال –بالعودة إلى علوم المعلومة– للإشارة للحاجة لربط ما تم فصله وتجزئته أو تصنيفه إلى تخصصات مما يستدعي النظر للأشياء بكونها مزيج من المواجهة والتكامل بين التعقيد غير المنظم الذي إستوحى أسسه من القانون الثاني من الديناميكا الحرارية وعواقبها الأنتروبية المتزايدة، طرح موران مجموعة من القواعد الإرشادية لفكرة الترابط يعترض به على الفكر التبسيطي، الذي يقر بضرورة أن الكل أكبر من الجزء إلا أن فكر التركيب رفع الوشاح عن هذه القضية وهيئ لنا فكرة يبدو أنها تتناقض معها، تدعو إلى أن الفكر العلمي قابل للتغيير وفق مبادئ طرحها لتمثّل هذا الفكر الجديد والتي يمكن تحديدها وفقا لما يلي:

المبدأ الحواري: أعلن موران أن هذا المبدأ وليد الجدل الهيغلي، ذلك أن الحوارية تقيم علاقة تواشج بين المتناقضات، إنطلق موران من استنطاق العلم المعاصر الذي أرسى بذور التعقيد على أكثر من صعيد فالحوارية المورانية "ترى أنه بالإمكان أحيانا تجاوز التناقض ولكن هناك تناقضات أساسية والتي لا يمكن تجاوزها ويجب حينها التعامل مع التناقض وأن نفكر معه وضده وكأن التناقض يستدعينا للفكر المركب"[1]، إرتكز موران على مكتشف لويس دي بروي Louis de Broglie (1892–1987) [الحائز على جائزة نوبل للفيزياء 1929] الذي افترض بازدواجية طبيعة الإلكترون الموجية والجسيمية في آن واحد، الحوارية لا تلغي أي من النقيضين كما حدّد ذلك موران، بل تصدّر من ذاتها ما يمكن أن ينطوي على إشتمال حل للنقيضين والعدوين، ينبه موران إلى فكرة أساسية مفادها لا مادة ستذهب سدى ولا فكرة ستطرد فكرة بل كل الأفكار وكل مادة ستكون قادرة على استخلاص مبادئ التفاهم والتأقلم مع من تقره عدو لها، يقول في هذا الصدد "بالإمكان تمثّل ما قلته حول الإستقرار والإختلال بلغة حوارية، إن الإستقرار والإختلال عدوان لبعضهما وكل طرف يلغي الآخر لكنهما في الوقت ذاته في بعض الحالات يتعاونان معا وينتجان التنظيم والتعقيد، يمكّننا المبدأ الحواري من الحفاظ على التعارض داخل الوحدة إنه يجمع بين حدين متكاملين ومتعارضين في الوقت ذاته"[2]، إشتغل موران على ضرورة الإبقاء على كل الأفكار رغم التناقض –حسب المنطق الأرسطي ووفقا لمبدأ البداهة الديكارتي والحتمية النيوتونية– وبلورتها في سياق التحاور، إن إنبثاق هذا المبدأ كان مشتقا من انبهار موران الذي رافق الطفرات الكبرى في الفيزياء الكمومية ونقصد بذلك من نيلز بور Niels Bohr (1885–1962) إلى هايزنبرغ وهو ما أسهم في بلورة الحوارية.

مبدأ الإرتداد التنظيمي: إنه هنا فحسب يحق لنا التساؤل مع موران ما علاقة السبب بالمسبب؟ إن مثل هذا التساؤل وجيه للبحث عن حلول لا بد منها ويمكن لنا أن نعرض تعارض آخر تمكّن موران من إرتسام مخرج له، إذ أنه إعتمد هنا على البيولوجيا ليقدم لنا مخرجا من هذا المأزق، فالإنسان وليد خلية DNA التي هي موجودة فيه أصلا، الإنسان ينتج المجتمع الذي ينتمي إليه، ولنقل الفرد ينظم المجتمع الذي ينظم الفرد، سواء

[1]– صورية لقاط زيتوني، إبستمولوجيا التركيب وفلسفة التربية عند إدغار موران، دار الأيام، عمّان، 2020، ط1، ص36.

[2]– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص74.

إرتبط ذلك باللغة أو المعرفة، إن المشكّل الأساسي الذي شغل موران هنا هو أن المنتج يُنتج ويُنتَج بشكل ارتدادي، بهذا يمكن أن نعتبرها حلا لمعضلة السببية يقر موران "تشكّل الفكرة الارتدادية قطيعة مع الفكرة الخطية القائمة على ثنائية العلة النتيجة والمنتوج المنتج، بما أن كل ما يتم إنتاجه يعود على ما ينتجه داخل حلقة هي ذاتها تتشكّل وتنتظم ذاتيا وتنتج ذاتها ذاتيا"[1] هذا المبدأ هو تبادل مستمر للأدوار مبتعدا عن الخطية الحتمية التي فرضتها النيوتونية، حاول موران إرتسام سببية مفتوحة يكون فيها المسبب سببا أو المنتوج منتجا ومنتوجا في آن واحد.

مبدأ الهولوغرام: إن المتأمل في هذا المبدأ يدرك مدى تحكّم موران في علوم عصره، يعتمد الكثير من الشراح تمثيل هذا المبدأ في شقيه الفيزيائي والبيولوجي، كما أشار إلى ذلك موران، منطلقين من قاعدة أساسية مفادها "الجزء يوجد داخل الكل كما أن الكل يوجد داخل الجزء" معارضا المنطق الكلاسيكي الذي ينطلق من قاعدة أن الجزء يفترع من الكل وأن الكل يمثّل مجموع أجزائه، إن القول بإمكانية وجود الكل في الجزء يمثل تعارض أجاب عليه موران باقتدار "ويحضر المبدأ الهولوغرامي أيضا في العلوم البيولوجيا وفي العالم السوسيولوجي ففي العالم البيولوجي تضم كل خلية من جهازنا العضوي مجموع المعلومة الجينية لهذا الجهاز العضوي"[2]، أنهى موران مسيرة المعادلة الخطية التي فرضتها منظومة الإختزال وفتح بابا لتطبيب التناقضات إنطلاقا من مكتشفات العلم المعاصر الذي يسّره في سبيل فتح منظومة التعقيد، إن موران لم يحصر دلالة العلم المعاصر عند نقطة محددة وبهذا فتح الأفق الكاف لاستشراف المستقبل عبر بلورة المفهوم المركزي الذي عوّل عليه هنا وهو الأزمة حيث إستشعر موران أن الأزمة تغلغلت في كل النظم الإنسانية والمعرفية "فتقدم العلم أعقبه تخلّف في الإنسانية كما أن حضارة الكهرباء لم تستطع ان تنير الظلام الذي بداخلنا" إن إستبصار الأزمة باعتبارها لحظة الإنبثاق أعطى القيمة لهذا المشروع، إن علينا أن نأخذ تخريج موران لمفهوم الأزمة كلحظة حاسمة سبق تناولها من أجل الظفر بجوهر مشروعه، يتهيأ لنا ارتسام خطة نتدبر فيها هذا المشروع ، فكيف تبلورت الأزمة عند إدغار موران؟ هذا ما سنشتغل عليه في المبحث التالي.

[1]– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب مصدر سابق ، ص75.

[2]– – المصدر نفسه، ص 75.

المبحث الرابع: الأزمة باعتبارها منطلقا للإستشراف:

أولا: في طبيعة العلاقة بين الأزمة والإستشراف

في مفهوم الأزمة: بدأ موران بالتلميح إلى الأزمة بكونها مقاما سوسيولوجيا منذ كتاب روح العصر 1962 كالتفاتة أولى إليها دون أن يؤسس لها كعلم "فهناك علماء الإجتماع الذين يسلمون بأن الأزمة ليست من شأن عملهم"[1] ومحاولة إدخالها إلى السوسيواوجبا كونها حقلا يستأهل البحث السوسيولوجي، ومن هنا طفق يؤسس للأزمة من أجل إيضاح ماهية لها يستوجب التكشيف عنها في سياقها التاريخي، والمتصفح لأي سياق تاريخي سيجد بلا موارية أن موران لم يكن أول من اهتم بتأثيث الأزمة، وما يجدر علينا التنبيه إليه هو حضور هذا المفهوم في الفكر المعاصر سواء تعبيرا فكريا أو صياغة معرفية[2] ويبدو كتاب موران في مفهوم الأزمة قد ينير لنا الخيط الذي سيفتح لنا السبيل لمسائلة المفهوم دون موارية، وعلينا الإشارة أن موران أوضح أن لفظة الأزمة عمّت، وأقامت علاقة تماهي بين الواقع المعيش ومفهوم الاضطراب في القرن العشرين، كما وحذّر من هذا التعميم الذي طال اللفظ ما كشف عن انحصار المعنى وحاول الظفر بطرح وجيه للمفهوم، ويشير موران " الأزمة في أصلها اليوناني تعني القرار وهو اللحظة الحاسمة التي تتيح خلال تطور عملية غير مؤكدة تنفيذ تشخيص، في حين تعني الأزمة اليوم التردد وهي اللحظة التي يظهر فيها غياب اليقين بالتزامن مع اضطراب ما "[3] يقر موران على شاكلة أرسطو أن الإنسان حيوان أزمي فاعتبر الأزمة تنامي الفوضى وغياب اليقين ضمن نظام ما، يحقق تجميد الآلية التنظيمية وآلية الضبط على وجه الخصوص أو كما يسميها " الإرتجاعات السلبية "، ويقر موران أن الفوضى يتحدد عنها تصلّبات في النظام بيد أن ذلك يفتح امكانات كانت مكبوتة بتعبيره من جهة أخرى، فتتطور الأخيرة بصفة جامعة، بينما تتحول الاختلافات

---

[1]– إدغار موران، روح الزمان النخر، تر: أنطوان حمصي، ج2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، دط، ص28.

[2] في كتابه المشترك مع كارلو بوردوني " حالة الأزمة سنة 2014 "تطرّق زيجمونت باومان لأخطر المشكلات التي تواجه زماننا المتغير " السائل " وعرف بوردوني الأزمة " منبثقة من الأصل اليوناني وهي تعني الحكم على الأمور ونتيجة المحاكمة ونقطة التحول والانتقاء والاختيار، وتعني ايضا الخلاف، الشجار كما يرى أفلاطون، إنها مقياس يشتق منها المعيار ووسيلة الحكم على الأمور كما تعني القدرة على الاستنباط وهي عنصر مهم ومناسب للحكم وفاصل فارق ولائق لفن الحكم على الأمور، بيدا أن باومان يرى أن فكرة الازمة تتجه اليوم إلى العودة لجذورها الطبية حيث ظهر هذا المصطلح ليشير إلى لحظة يكون فيها مستقبل المريض في يد قدر مجهول حيث يحدد الطبيب التشخيص والعلاج اللازم لمساعدة المريض على التعافي التدريجي: زيجمونت بومان وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018، ط1، ص ص 09–15 مايختلج لدينا من افكار هو ارتباط فكرة الأزمة بصعوبات واضطرابات في الاقتصاد او السياسة وفي عملية تخريج وإظهار حالتها العامة، وبيت القصيد الذي لاحظناه ومن اليسير أن يبصر المرء أن فكرة الاضطراب واللا يقين قاسم مشترك بين باومان وموران، هذا ونلفى بعض الكُتَّاب الذين تناولوا المفهوم قبل موران تجدر الإشارة إلى كتاب بول هازار أزمة الوعي الأوروبي (1680–1715) وكذا كتاب أزمة العلوم الأوروبية لإدموند هسرل وهو ما سيتم تناوله في القصل الثالث.

[3]– إدغار موران، في مفهوم الأزمة، تر بديعة بوليلة، دار الساقي، بيروت، 2018، ص ص 29–30.

إلى تعارض والتكاملات إلى تضاد، لكن الآلة البالغة التعقيد [يقصد موران بالآلة البالغة التعقيد الدماغ] تضطلع بمهامها بصفة عادية على حافة الأزمة " بمعنى أنها تعمل مع الفوضى وعلى حافة الفوضى وأن وسائل التحكم لديها أو جهازاتها يمكن أن تتعرض للتجميد بسبب إضطرابات خارجية وداخلية كما لا تظهر مقاومة كبيرة للجموح النفسي العاطفي، وأخيرا الآلة البالغة التعقيد كثيرا ماتوجد في مواجهة مآزق مزدوجة، مايعني مواجهة أوامر متناقضة ومتساوية القوة أو مواجهة خيارات تكون شروطها بالتساوي مدعاة قبول أو نفور "[1] ما يعني أن الأزمة هي تكامل النظام والفوضى، يعترف موران أنه يمكن حل الأزمة بالعودة الى الوضع السابق لها لكن جوهر الأزمة حسب موران تستمد متانتها من خلال تأسيس حلول جديدة متينة والانغماس فيها والإنشغال على حلها بشكل أكثر جدة وليس في معنى تقييده بالحساب والتخطيط لأن معنى الأزمة تسمح بالقول بأن شيئا ما ليس على ما يرام، وتحيلنا لفجوة مزدوجة، فجوة في المعرفة التي ندير بها، وفجوة في الشأن الاجتماعي نفسه، والنتيجة التي يخرج بها موران هي الغوص في عملية التأزيم حتى نتمكن من تأزيم مفهوم الأزمة[2] وهذه طريقة موران في معالجة الصعوبات المفاهيمية بإحالتها على نمط تساؤلي محض[3] فيتعلق الأمر ببيان كيف تتوّلد الأزمة وكيف تعبر عن الراهن والواقع وكيف تتم مسائلته.

غرضنا الآن هو أن نكشف عن طبيعة العلاقة بين الأزمة بكونها مقاما جديدا كما حدّده إدغار موران وبين الإستشراف الذي هو جوهر أطروحتنا، ونقصد في هذا المبحث النهوض بهذه العلاقة إلى وجهها الأتم، وهذا ما استوجب طرح تساؤلا يبدو للوهلة الأولى إعتباطيا، غير أننا وفرنا له من الإعتبارات ما يجعله ورشة يقوّمه في ثناياه عملنا وهو: ما طبيعة العلاقة بين الأزمة باعتبارها مفهوما مركزيا في فلسفة موران بالدراسات الإستشرافية؟ ونحن نعني هنا بالأزمة ذلك العلم الذي حاول موران إخراجه إلى العلن بكونه جديرا بالظهور كما أشار إلى ذلك بقوله: "إننا نؤمن بإمكانية وجدوى علم الأزمات وهو يجب أن يتضمن طريقة ملاحظة شبه سريرية تكون بذاتها مرتبطة بأخلاقيات، فمراكز الأزمات لا يجب أن تكون فقط طبية بل تشمل جميع

---

[1]– إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص26.

[2]– ونحن نعثر على أمارة واضحة أن لفظ الأزمة غاية في الخطورة لعل ذلك يرجع استخدامه للإحالة إلى حالة الموضوع مثل الديمقراطية، السياسة، الاقتصاد، نجد الكتاب المشترك Grégor Fitzi ، Jurgen Marcert، Brayar Turner، by Populizm and the crisis of Démocracy، والكتب الكثيرة التي ألفت حول ألازمة الاقتصادية وغيرها تعبر بجلاء أن هذا المفهوم يستعمل لتبيان الحالة العامة للوضع الذي لم يعد على ما يرام.

[3]– طبق هذا المصطلح في بادئ الامر على الكائنات البيولوجية وهو في الواقع قابل أن يطبق عليها، لكن الأزمة مفهوم يبرز ثرائه في إطار التطورات الاجتماعية التاريخية ومع ذلك لن ننظر إلى الحقل الأنتروبولوجي الإجتماعي التاريخي كحقل مغلق بل على عكس ذلك، هنا نصل إلى ما اعتبره المبدأ الأول لكل دراسة أزمات لا يمكن أن تكون لدينا نظرية حول الأزمات الاجتماعية إلا إذا كانت لدينا نظرية حول المجتمع، نكون بالقدر نفسه نظمية وسبرانية وانتروبو عكسية:إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص33.

المجالات، دور الثقافات يجب أن تكون مراكز أزمات وليس أماكن عروض، لكن طريقة الملاحظة والتدخل يجب أن يكون مرتبطة بنظرية"[1].

وبهذا فالمتأمل إلى ما تمّ إستخلاصه من المنهجية الإستشرافية التي ظهرت بإيعاز من موران سيدرك وجه العلاقة الترابطية القائمة بين الأزمة والمنهج الإستشرافي، فهذ الأخير لن يكون مشتغلا إلا إذا إستشعر وجود أزمة في الأنظمة المعرفية، والمقصود بالأزمة كما أشرنا إليها أعلاه هو التردد أي اللحظة التي يتشكّل فيها إضطراب ما في المنظومة المعرفية، هذا الإضطراب سيكون مآواه الأخير هو إرساء قاعدة أساسية وهي غياب اليقين.

إن التردد أو الإضطراب أو غياب اليقين سيعطّل النظام على نحو يستوجب التدخل من أجل تدارك الأمر، هذا الدور الخطير يقرر موران أن يأخذه على عاتقه وينخرط في منعرج فلسفة العلم الجديدة من أجل تطبيبها، وبهذا سيحاول أن يلج إلى أغوار النظام المعرفي عبر تبيان الأسس التي تقوم عليها، إن الغرض من ذلك يتمحوّر حول إستظهار الأزمة التي وقع فيها النظام من إختلالات أفضت إلى تعطيله، وبعد تبيانها سيؤسس التوجه نحو إصلاح هذا الإختلال عبر تحديد تلك الحلول الممكنة التي من المرجّح أن تصلح تلك الإختلالات، إن هذه الحلول هي المتمثلة في القراءة المستقبلية، ولا تنبثق هذه القراءة إلا عبر تطبيق منهج الإستشراف عند موران كما سبق تبيانه في المبحث الأول، ومن ثم العودة إلى النظام من أجل مطيته وفق هذه النتائج المستخلصة، وبهذا سيكون التساؤل المطروح أعلاه [ما طبيعة العلاقة بين الأزمة باعتبارها مفهوما مركزيا بالدرسات الإستشرافية؟] قد إتضحت معالمه على نحو قضوي محدد من طرفنا صيغته:

– كل نظام معرفي يحتوي على أزمة:

– كل أزمة تستوجب تطبيب [عبر الدراسات الإستشرافية]:

– فإن كل نظام معرفي سيخضع للإستشراف.

ثانيا: نحو الكشف عن تصنيع الأزمة:

إن السياسية التي تنتجها الرأسمالية المتقدمة إنما كشفت عن ضرورات لم يجدر بنا تغافلها، ولذلك بدا لنا تحقيق الكتاب الذي قدّمه موران في بداية الستينات ونقصد هنا "روح الزمان العصاب" الذي كشفنا فيه عن حقيقة كان لا بد لنا من البوح بها وهي إنتاج "تصنيع" الأزمة، إذ أن هذه الأخيرة ليست وليدة إختلالات

[1]– إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق ، ص77.

النظام فحسب، بل قد تكون مفتعلة بفعل فاعل، إن الهدف من إفتعالها هو توجيه النظام المعرفي صوب تحقيق أغراض يتم ارتسامها سلفا، ومن أجل الخوض في هذه المسألة إستحضر موران أزمة الثقافة الجماهيرية – بمعناها الرأسمالي – إن المراد من هذا المفهوم إنما يتوضح من قولة موران "وتعني الثقافة الجماهيرية ثقافة منتجة وفق المعايير الكثيفة للعمل الصناعي ومروجة بتقنيات نشر كثيفة (تسمية وسائل الإعلام الجماهيرية) ومتوجهة نحو جمهرة إجتماعية أي إلى تجمع عملاق من الأفراد مأخوذ في ما هو تحت بنى المجتمع الداخلية، الطبقات الأسرة، إلخ ... ومتجاوز لها"[1].

إنه من أجل أن نبين مراد موران إستوجب علينا أن نوضح مفهوم الثقافة فنحن هنا نتفق مع الفيلسوف الفرنسي على أن مفهوم الثقافة غاية في التعقيد تشمل كل الشوائب، رغم كونها تبدو كلمة واحدة ثابتة ومستقرة بيد أنها زئبقية لا تستقر على حال، ليس مرامنا الخوض في تمفصلات موران في تعريفه للثقافة فنجد أنفسنا نفتش في أغوار التعريف الإجتماعي تارة [هذا التعريف يقتصر على طبقة محدد "المثقفة دون الطبقة الأمي، ذلك أن الطبقة الأولى على وعي أعلى من الثانية وبإمكانها إرساء نظم ترسم وعي محدد] والتعريف الأنتروبولوجي طورا [إذ نجد موران قسّم الثقافة جزأين الأول تقترن به مع الطبيعة أي كل ما لا ينتمي إلى فطرة الإنسان أي تلك المكتسبات الثقافية كاللغة الأم والبرمجة الإجتماعية أما الشق الثاني فيرى موران أنه له تماس مع الثقافة في شكلها الأوسع وما تمكّن الإنسان من الوصول إليه بإسم الإنسانية بما في ذلك اللغة نفسها] كما لم نغفل التعريف الأثنوغرافي للثقافة فهاهنا نجد أن الثقافة مرتبطة بالشق المعنوي فنلفى ترابطها بالمعتقدات والقيم والمعايير التي تضبط سلوك الإنسان داخل الجماعة التي ينتمي إليها، إن هذه التحديدات التي قدمها للثقافة على اختلاف أصنافها، يعتقد موران أنها لا تسد النقص وعلى هذا الأساس إفترض تعريفا خاضعا لمنهج التعقيد نلفاه في المجلد الخامس من المنهج الموسوم بـ: إنسانية الإنسانية الهوية البشرية (2001) يقول عنها: الثقافة تتكوّن من مجمل العادات والتقاليد والممارسات والمهارات والمعارف والقواعد والمعايير والمحرمات والإستراتيجيات والمعتقدات والأفكار والقيم والأساطير وتستمر من جيل إلى جيل ويستعيدها كل فرد وتولد التعقيد الإجتماعي وتجدده وتجمع الثقافة في داخلها ما هو محفوظ ومكتوب وتتضمن مبادئ الإكتساب ومناهج الفعل، فالثقافة هي أول رأس مال إنساني وبدونها يصبح الكائن البشري من اللبائن الدنيا في آخر السلم"[2].

[1]– إدغار موران، روح الزمان العصاب، ج1، تر: أنطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ط1، ص12.

[2]– إدغار موران، النهج إنسانية الإنسانية، مصدر سابق، ص 45 –46.

إن النظر إلى إشتغال موران على الثقافة فإن القول بأن صناعة ثقافة محددة ستحيلنا إلى ضرورة تقبل فكرة عصيّة وهي أن الرأسمالية التي تصنع ثقافة جماهيرية، فإن الغرض من ورائها يكون تدجين بعض الإمكانات البشرية حتى يتسنى رسم الخطوط العريضة للتحريم والتباهي والإفتخار وغيرها من المكتسبات الإنسانية، وبهذا فإنها تصنع آلهة خيالية يتم تقديسها دون الحاجة إلى البحث عن سبب التقديس ذلك ما تفعله الثقافة بالجمهور "غالبية الشعب"، ولأجل هذا الغرض نجد مفكرا من طراز كارل ماركس يقف في يسار الثقافة الجماهيرية واعتبرها أفيون الشعب الجديد، فالمرتكز الذي قام عليه ماركس هنا كان واحدا وهو توجيه أسهم النقد إلى الرأسمالية التي لا يزال غرضها هو تغليط الشعب وتضليله عن المسائل الأساسية والحقيقية التي لا بد عليه أن يقف عليها.

إن الغرض الكبير للرأسماية هو إنصهار الشعب في العمل والإنتاج وبهذا سيتحوّل هذا العمل إلى ضياع الإنسان في الإستهلاك –الإغتراب– فطبيعة العلاقة بين العمل والإستهلاك طردية لا بد منها، ومن أجل الوصول إلى الإستهلاك هناك بد من الترويج؛ وبهذا سيتم صناعة ثقافة جماهيرية بمنظور الرأسمالية التي من الواجب أن نسم هذه الثقافة على أنها أزمة، على هذا الأساس فإن الأزمة يتم تصنيعها وفق منظور محدد، الغرض منه توجيه النظم المعرفية قصد الوقوع في اختلالات غرضها الأكبر الإستفادة منها، وذلك عبر إنشائها وفق نظم محددة سلفا وتوزيعها والتحكّم فيها يقول موران: "إن كل شيء يبدو وكأنه يقابل ثقافة المثقفين بالثقافة الجماهيرية: الكيف بالكم، الإبداع بالإنتاج، الروحانية بالمادية، الجمال بالسلعة، الأناقة بالفضاضة [ورد اللفظ الفظاظة] المعرفة بالجهل"[1].

على هذا الأساس يمكن أن نؤكد أن ما ذهب إليه إدغار موران قد كان بمثابة بيت القصيد أو وضع اليد المناسبة على الجرح على أمل أن يلتئم بعد هذه التنبيهات، كما لم يغض الطرف عن توجيه نقده للثقافة العليا وهي الثقافة التي تخص المثقفين بالمعنى الإجتماعي إذ يرى أنها هي أيضا ثقافة مريضة دغمائية وشكليّة، وبهذا قد رسم لنفسه طريقا واضحا وهو محاولة تعميم الثقافة وإخضاعها لكل أشكال النقد وجعلها ممكنة لا تتعلق بجماعة معينة[2].

[1]– إدغار موران، روح الزمان العصاب، مصدر سابق، ص17.

[2]– إننا قد نعترض على التوجه الذي سلكه هاهنا المفكر الفرنسي في هذا المقام بالذات، والذي يسعى فيه جاهدا تعميم المعرفة وتبسيطها للجماهير وهذا ما سنعرض له في الفصل الثالث من الأطروحة.

ثالثا: تأسسات الأزمة باعتبارها كيان وجودي

لكن ما يجدر بنا أن لا نغفل عنه هو رؤية موران لضرورة وجود الأزمة وهذا ما اشتغل عليه منذ كتاب 1962 ونقصد هنا الجزء الأول من كتاب "روح الزمان العصاب" بيد أن التساؤل الذي يفرض نفسه علينا هنا هو: لماذا الأزمة؟ لا يمكن أن نصرف النظر عن هذا التساؤل ذلك أن الأزمة هي من تحدد مسببات التطور والتغّلب على المعيقات، إننا نجد أنفسنا ملزمين بضرورة تقبّل فكرة الأزمة في الوسط الإجتماعي لأن إنتشارها سيجعل تقييدها ضرورة أخرى، ولكي نصل إلى فكرة تقييد إشتغال يعني أننا سنؤسس للحلول الممكنة من أجل الوصول إلى فكرة التوازن بين التضاد والتنظيم وبهذا سنخرج من عنق الأزمة إلى رحاب التطور المنشود، بدون أزمة يعني أننا سنخضع لواقع ثابت ومستقر لا يتغير، فالرهان هاهنا هو ظهور الأزمة والعمل على التوفيق بين التضاد والتنظيم، ونجد أن السيبرنطيقا[1] هي من حرّك موران كما أن هذا الإشتغال إنما ينم عن فهم دقيق للقانون الثاني من الديناميكا الحرارية[2].

إن فكرة الأزمة عند موران لم تكن فكرة فارغة بل إن المتأمل لكتاب الجزء الثاني من روح الجماهير الموسوم بالنخر 1974 سيجد أنه حددها بنوع من التفصيل قبل أن يخصص لها كراسة في مفهوم الأزمة سنة 1976 فارتسم جملة من النماذج الفكرية حتى يبين وجود هذه الأزمة وقد نقتبس نموذج الأزمة الثقافية لنحدد مراد موران هنا، لقد كانت الثقافة الكلاسيكية منتظمة في عهد لويس الرابع عشر، حتى أن المتأمل في

---

[1]– تعني الاليكترونية واللفظة نحتت من Cyber وتعني المتخيّل، ومنها اشتقت Cyberrentic وتعني علم التحكم الأوتوماتيكي، أو علم الضبط ، والسيبرانية تربط الحواسيب مع أنظمة أوتوماتيكية، والنظم السيبرانية المركزية ستنسق كل الآلات والمعدّات التي تستخدم كل المدينة، لكن معنى العملاني الذي نلمسه من خلال اشتغال أجهزة الحاسوب وتكنولوجيا المعلومة، فكما تتبدى الكلمة فالمتخيل أمر يستوجب ان يتم وعّيه فهو مفهومي اذا المتخيل وافتراضي بشكل ما: محمود بري، السيبرينطيقا، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، 2019، ط1، ص20.

[2]– ينعت هذا القانون بقانون تبدد الطاقة وينص القانون الذي صاغه أول مرة الفيزيائي الفرنسي سادي كارنو بلغة التكنولوجيا الحركات الحرارية على ان هناك ميلا في الظواهر الفيزيائية للتحول من النظام إلى الفوضى، وبمقتضاه يميل أي نظام فيزيائي معزول أو مغلق للمضي تلقائيا اتجاه الاضطراب المتزايد على الدوام، وشاء علماء الفيزياء أن يعبّرو عن هذا التوجه في الأنظمة الفيزيائية بصيغة رياضية دقيقة فأدخلوا كمّا جديدا أطلقوا عليه Entropy ويمكن أن نعتبره مقياسا للاضطراب وبمقتضى القانون الثاني فان انتروبي النظام الفيزيائي المغلق هو ازدياد مستمر لأن تطور النظام المغلق هو تطور مصحوب باضطراب متزايد، بهذا المفهوم للانتروبي وبهذا المنطوق للقانون الثاني أدخلت الديناميكا الحرارية إلى العلم فكرة العمليات الغير المتراجعة، أو فكر سهم الزمن، بموجب القانون الثاني فإن شيئا من الطاقة الميكانيكية يتبدد دائما لطاقة حرارية لا يمكن استردادها تماما، بذلك تكون آلة العالم بأكملها في تهالك مستمر، سوف ينتهي به المطاف إلى التوقف، اصطدمت هذه النظرية بنظرية التطور التي ترى ان العالم ينتقل من عملية الاضطراب إلى النظام فظهر تساؤل من كان على حق كارنو ام داروين؟: عادل مصطفى، صوت الأعماق، مؤسسة هنداوي، القاهرة،2020،ص78.

العمارة حينئذ سيلفى أنها كانت خاضعة لقواعد تخلق عالما منظما "ولكنه كان من الواضح فعلا أن هذا الترتيب كان يحتبس سراديب الأهواء الهاذية والفوضوية، وكانت الأنتلجنسيا [المقصود بهذا المصطلح هو فئة المثقفين الذين يعملون دورا توجيهيا تضم فنانين ومتعلمين وأكاديميين وكتّاب] مدجنة ومحمية معا من جانب الملك الراعي"[1] بيد أنه من ذلك الحين –منذ مرحلة لويس الرابع عشر– كان هناك ما أسماه موران مرحلة الإنفجار، ففي الفن إنبجست العواطف وطغت الفوضى[2]، وكان ذلك من محصلات المدرسة الرومانطيقية وظهرت طبقة جديدة من الأنتلجنسيا كان غرضها تحرير الكلمة من سيطرة الحاكم، في هذه المرحلة شهدنا ميلاد الفلاسفة الموسوعيين فتعرفنا على نقد فولتير وديدرو الراديكالي، وانبث عقد روسو الإجتماعي، في هذه المرحلة شهدنا حالة من الصراع مع الأكاديمية ما استوجب على هذه الأخيرة أن تؤسس أكاديمية جديدة تنهي فيه سيطرة الحاكم وتنحو صوب إعتماد مواقف الفلاسفة الموسوعيين.

إن هذا الإختلال الذي أحدثه هؤلاء الموسوعيين على الأكاديمية القديمة هو ما نسمه بالأزمة، من أجل أن تتطوّر الثقافة، وقد أرست معالم هذا التقدم والتطوّر إللى تغيير في معنى الأنتلجنسيا، وانطلاقا من هذا التوجه سنستحضر سؤالا يتوجب أن يراودنا كباحثين عن الأزمة مفاده: ماذا لو لم يوجد نموذج بديل؟ هنا ستستفحل الأزمة وتكون طاغية على نموذج الوعي ومتحكمة في النظام المعرفي وستكون بحد ذاتها براديغما بلغة توماس كوهن، وهنا يتوجب على المشتغلين في ذلك النظام المعرفي أن يدقوا جرس الخطر لأنها إستحكمت على النظام.

إن المقصود بكون الأزمة نمط وجود إنما يراد به سبيل لإنطلاقة جديدة من أجل إصلاح الإختلالات التي لا تتوقف أبدا عن الصعود، كما يتوجب على التنظيم أن لا يتوقف عن الإصلاح، فمتى ما توقّف أحدهما عن الإشتغال كانت حالة أزمة، فالمراد هي العمل على إخراج النظام المعرفي من حالة الأزمة أو العمل على

---

[1]– إدغار موران، روح الزمان النخر، ج2، تر: أنطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ط1، ص101.

[2]– تبتدئ هذه النظرية (الفوضى) من التخوم التي يتوقف عندها العلم التقليدي وعجزه وخلوه من أي معرفة بشأن ظاهرة الاضطراب كتقلب المناخ وحركة أمواج البحر، والتذبذب في عمل القلب والدماغ، شرعت تلك الصورة في التحول تدريجيا في سبعينيات القرن العشرين بهمّة كوكبة علماء بالتفاتهم لأمر الاضطراب والفوضى، وتآلف العلماء من فيزيائيين رياضياتيين وبيولوجيين وكيميائيين بسعيهم للإمساك بالخيوط التي تجمع ظواهر الفوضى، عثر مختصو الفيزيولوجيا على درجة هائلة من التناسق في الاضطراب الذي يصيب القلب الإنساني ويوقف عمله على نحو مفاجئ ودرس اختصاصيو البيئة التقلب في إعداد الفراش الغجري واتسعت حلقة النظرية وشملت شتى أشكال المعرفة ، بعد عقد من الزمن غدا مصطلح الكايوس (الفوضى) اختصار لحركة متصاعدة عادت سوغ المؤسسة العلمية عالميا، وتكاثرت منتديات الفوضى ومجالاتها: جايمس غليك، نظرية الفوضى، مرجع سابق، ص17.

إصلاح الأزمة، فنجد الفيلسوف الفرنسي إقترح أنموذجا فكريا جديدا قد يمكننا من الإنزياح من الأزمة إلى الطبابة، وتمثّل هذا النموذج الفكري في منهجية الإستشراف التي وزعت المنظرين إلى فرق شتى كان قد تناولهم موران كما أشرنا آنفا، ومن هنا إستوجب الإشارة إلى الخطاطة التالية التي ستسمح لنا بإيضاح مرام موران والمضي في فتح أفق هذا البحث وكانت كما يلي:

نظام معرفي ⟵ إختلالات ⟵ أزمة ⟵ تنظيم ⟵ إستراف المستقبل

هذه الصيغة التي عقدنا على إبرازها كانت الغرض الشامل من البحث من أجل بيان توجّه أطروحتنا كما سنبرز في الفصل الثاني من الأطروحة .

الفصل الثاني

إصلاحات إدغار موران أو من أجل المستقبل

- **المبحث الأول: إصلاحات سياسية، أو إشراك المجتمع في صنع القرار**
- **المبحث الثاني: إصلاح واقع التربية: أو التربية بين الموجود والمأمول**
- **المبحث الثالث: إصلاح البيئة من أجل الأرض – الوطن**
- **المبحث الرابع : نحو بناء أسس للعيش المشترك**

الفصل الثاني: إصلاحات إدغار موران، أو من أجل المستقبل

تقديم:

حقيق علينا أن نشير إلى أن موران قد استند على قاعدة صحيحة علميا وفلسفيا، هذا من خلال الفصل الأول الذي خصصناه له سواء في امتشاقه منهج جديد في استشراف المستقبل، أو في انتهاجه لمنظومة التعقيد التي اعترضت منظومة التبسيط، وبعد الكشف على أن الازمة هي التي حددت طريق الإستشراف، بقي علينا أن ننحو صوب إصلاحات إدغار موران في جملة من النظم المعرفية التي مستها الأزمة ونتبيّن الطريقة التي أقرّ إصلاحها من العوز التي تعاني منها.

إن الإضطلاع المورانى بهذه المهمة إنبثقت من الفهم الجيد لتاريخ النظام المعرفي وارتسام الطريق نحو الحاضر، ثم يرتّد به للماضي في معادلة تداولية الغرض منها الفهم، ثم الإنقضاض على الأزمة ومحاولة تطبيبها على شكلها الملائم من خلال التوجّه للمستقبل، من خلال الحاضر، إن إدراك المستقبل على وجهه الأتم يقعّد للتحضير له من خلال الحاضر، ونحن نتأمل في المشروع المورانى استبصرنا نظم معرفية افترض موران أنها تقبع في الأزمة، رصد موران السياسة وما يعتريها من علل وحاول تقديم الترياقات المناسب، كما تعقّب أزمة الديمقراطية ورسم مستقبل ومعنى جديد للديمقراطية، أشار موران في مقاله ما معنى أن أكون على اليسار؟ جملة من التوجيهات لمن يريد أن يلج معترك السياسة والغرض منها هو صياغة الطريق السياسية بنوع من الدقة، لم يغفل موران دوره التربوي، بكونه منظّر ووريث لفلسفتي جان جاك روسو وجان بياجي، وتحقّق من أزمة التربية وخصّص لها رباعيته البيداغوجيا ونقصد هنا العقل المحكّم وربط المعارف 1999 المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل 2000، والتربية لأجل العصر الكوكبي 2003، قدّم فيها إصلاحات للتربية والتعليم والجامعة، وفتح قلبه للمعلمين والمتعلمين لمداواة ما استفحلت فيه الأزمة التي انكمشت فيها التربية، شكّلت البيئة معلما ومقاما ارتكزت عليه بنات فكر موران، إذ وجد أن البيئة أيضا إنزلقت في درب العلة ما استدعى التفاتة عاجلة إفتتحه موران بكتاب البراديغم المفقود ثم تبلورت جهوده في كتابه الأهم في هذا الصدد الأرض الوطن 1993، إنكّب موران في عرض إصلاحاته على الكوكب في الكتاب الذي إعتبرناه مفتاحا لمسألة المستقبل ونقصد هنا كتاب السبيل2011 ثم أردف موران ترشيد الإستهلاك وإعادة الإعتبار للجماليات بكونه القالب الذي ضاع من البشرية، إختتمنا هذا الفصل بفك باب الإعتياص الذي أشكّل على الإنسانية ولاحقنا الأزمة التي إنهمرت على البشرية، كما سنكشف كيف انخرط موران في تأسيس مرتكزات للعيش المشترك من خلال أوامر السياسة الحضارية التي كتبها في سنة 1997، إن ملاحقة هذه المواضيع لن يتحقق إلا بضبط أسس إشكالية تكون مدخلا نلج فيه إلى أغوار هذا الفصل، وافترضنا أنه يتقوّم وفق التساؤلات التالية: كيف قبض موران على مستقبل السياسة؟ وما هو الأساس الذي قوّم به التربية؟ مامصير كوكب الأرض؟ هل يتسنّى لنا بناء أسس للعيش المشترك؟.

المبحث الأول: إصلاحات سياسية، أو إشراك المجتمع في صنع القرار

أولا: الشأن السياسي عند موران:

لن نكتفي هنا بإشارة عاجلة على الإنتماء السياسي لموران، بل سنركز على المتن السياسي الذي اهتم به موران منذ سن الثالثة عشر من عمره، ونقصد بالسياسي تدبير الشأن العام او كما أوردها هارولد لاسكي "وسيلة لتنظيم السلوك البشري"[1] مسار إشتغل عليه معظم فلاسفة القرن العشرين، كان موران يتابع دراساته في القانون والعلوم السياسية في باريس وإذ به يرتسم طريق المقاومة[2] في سن العشرين في طليعة الجيش برتبة ملازم، دخوله للمقاومة فتح له الباب للتحرر، فلم يعد موران ذلك الطالب المنزو بين المكتبات، منذ تلك اللحظة أصبح موران ولم يغدو ناعوم، غدا فردا مسؤولا وفاعلا في التاريخ، نعثر في خطابات موران على تنبيهات "في مثل حالتي سنة 1942 العيش لا يكمن في أن أبقى على قيد الحياة، في أن أختبئ، لكنه يقتضي أن أخاطر بحياتي"[3] دخلت القوات الألمانية إلى باريس 1940/05/10 إنهارت فرنسا بجيشها وحزّ ذلك في موران، ظهرت التهم تصاغ وتوجه إلى الجبهة الشعبية الحاكمة في فرنسا، إرتكاس الجبهة إزاء المقاومة، دخل ديغول معترك السياسة وبدأت تصريحاته تشجب الخيانة، إعتاش فيلسوفنا منتظرا مع بقية الشعب ردة فعل ديغول الذي يمثّل سفينة التحرير بعد الإستلاء عليها "يمكن رؤية الدمار الذي لحق بشمال فرنسا بعد الغارة الخاطفة لألمانيا، أدى إلى إنهيار فرنسا في ستة أسابيع"[4]، لذلك لمس موران تمزق الشعب والمناضلين والمفكرين، ولعل هذا هو السر في تمزق فرنسا، إذ أحدثت الهزيمة والإحتلال والتعاون مع المحتّل ثم المقاومة تحولات كثيرة في أذهان الكثير من الناس، إذ أشار موران إلى إنصياع طائفة من اليساريين للإحتلال النازي لفرنسا بحجة إحلال السلام، بيد أن هذه الطائفة التي تفطنت إلى إستحالة تحقيقه، توجهوا صوب الدفاع عن الحزب النازي الألماني فاكتشف هنا أزمة السياسة التي تبيّنت في الخيانة والسعي وراء المصالح.

لاحظ موران أن هؤلاء يدافعون عن السياسة الإستعمارية الألمانية في فرنسا ويدينون المقاومة الفرنسية، "أما جوزيف دارنان [كان ذو رتبة سامية يساعد الألمان على الكشف عن اليهود في فرنسا] فلعله سعى إلى المغادرة نحو لندن خلال سنة 1940 لكنه صار رئيسا للميليشيا 1943 وهي أسوأ أشكال التعاون مع الإحتلال، أصبح بعض الوطنيين المناهضين للألمان مؤيدين للنازية وأصبح آخرون إشتراكيين أمثال كلود

---

[1]– هارولد لاسكي، مدخل إلى علم السياسة، تر : عز الدين محمد حسين، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1965، دط، ص11.

[2]– كان تجاهلنا لتوجه موران السياسي قبل الحرب عن قصد، بسبب عدم إلمامه بالأحداث السياسية حينئذ، رغم كونه على دراية بصعود هتلر إلى الحكم 1933 ومتأمل للثورة الإسبانية 1936 بيد أنه إستحضرها في متونه على أكثر من صعيد وبالأخص في كتاب: دروس قرن من الحياة.

[3] - Edgar Morin , a 100 ans entretien anniversaire avec un éternel résistant, op cit.

[4]– سيمون أدامز، الحرب العالمية الثانية مشاهدات علمية، تر: مروة رشاد عبد الستار، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص13.

روا وكورديي وإيمانويل داستيي دو لافيجري، كما أن طائفة من الأممين أصبحوا وطنيين"[1] وهنا أشار موران إلى تمزّق فرنسا ومثقفيها.

إن المقاومة لم تسلم من هذا التمزّق بين الشيوعيين والديغوليين بيد أن موران لم يتجاهل الجانب الإيجابي من هذه المقاومة واعترف أنه كان مسرورا إبان المقاومة حيث إمتلأت هويته الفرنسية إلى جانب هوياته الأخرى، اليهودية السفردية الإسبانية من الأصول الإيطالية القادمة من اليونان، بالإضافة إلى الهوية الإنسانية، تعلم موران العيش مع كل هذه الهويّات في صفوف المقاومة، مارس موران مهنة المثقف المتابع لمجريات الحرب العالمية الثانية، إستحضر إنتصار القوات السوفياتية على القوات النازية 1941 الذي أنقذ موسكو،، ولم يتغافل الهجوم الياباني على بيرل هاربر Attack on Pearl Harbor (1941/12/07) الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تنزلق إلى الحرب، هذه الأحداث أشعلت بصيص الأمل وكان إنبثاق للا متوقّع، أمريكا معنا في الحرب؟ كل ذلك كشفت عن الأحداث السياسية في حقبة ربما هي الأخطر على الكوكب، إنبهر موران بالقراءات التي خصتها الشهادات على روسيا "قرأت العديد من الشهادات التي تؤكد على إنحراف الثورة الروسية واستبدادية الستالينية، توصّلت إلى كبت عدائي للستالينية مثل الآخرين، إعتقدت أن مساوئ الإتحاد السوفياتي راجعة إلى إرث الرجعية القيصيرية وإلى التطويق الرأسمالي الذي أدى إلى نفسية وسواسية"[2] إعترف موران أنه كان ذلك الشاب الذي ينساق وراء كل مغالطة حجاجية، فلم يكتمل الوعي السياسي لموران حتى ذلك الحين.

أ: أزمات سياسية تمخضت من الحرب: ينطلق موران من كونه شاب حالل أيام الحرب كبقية الشعب الفرنسي، تمكّن من الوصول إلى ملاحظة أزمات يوميات الحرب التي تكشف عن حقائق محفورة ولن تظهر إلا في الشدائد، بيد أن ذلك لا يعني غياب روح التضامن التي لمسها متوفرة في أوساط الشعب، إن موران يحكم من إطار إستقى منه هذه الأحداث، ففي خضم تسلّط قوات الإحتلال إنكشفت ملامح أزمة بعد أزمة الإحتلال عبّر عنها في قولته "أدت القيود ولا سيّما الغذائية إلى إزدهار السوق السوداء وقد نشأ عن ذلك الكثير من الفساد"[3] قصد موران الشاب أزمة الإستغلال، إن صعوبة العيش الذي فرضه الإحتلال على عموم الشعب أظهر أزمة إنسانية نوّه إليها الشاهد عن دهاء ومكر الإنسان العجيب لما تسود الندرة، إنبثقت هنا فكرة في ذهن موران مفادها الإعتراض على الفكر الرأسمالي والإهتمام بالفكر الماركسي الذي شكّل موران الماركسي "موران الأول" إرتسم هذا الطريق بعد الحرب "ذلك ما قمت به في أول مؤلفاتي المهمة الإنسان والموت 1951 وإذا كنت أحسب نفسي من أتباع الماركسية بتأليفي لهذا الكتاب"[4] إن تتبّع ماركس إنما شكلا توجّها سياسيا إقترن بموران لمباينة الإستغلال الذي قهر الشعوب، هكذا ألفينا موران إبان الحرب.

---

[1]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص91.

[2] - Edgar Morin , a 100 ans entretien anniversaire avec un éternel résistant, op cit.

[3]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص90.

[4]– إدغار موران، مع ماركس وضد ماركس، مصدر سابق، ص15.

ب: موران بعد الحرب: إن علينا أن نوضح أن الشكل السياسي للعالم بعد الحرب لم يختلف كثيرا عما كان غداتها، أجواء مشحونة تعصبات فكرية ومذهبية، على الرغم من الآمال التي إندفعت بعد الحرب في تأسيس مجتمعات أفضل ديمقراطيا، بيد أن الحرب الباردة كانت مهادا لتأسيس أزمة جديدة وهي توحش الإمبريالية في الإتحاد السوفياتي والسيطرة الإستبدادية التي كانت تمارسها في حق الأمم التي أخضعتها، كل هذه الإمبريالية –الإستعمار الواسع– قد حجبته الولايات المتحدة الأمريكية التي احتكرت السلاح الذري، حجبت الرؤية من التأكد أن النظام السوفياتي كان أسوأ الأنظمة على الإطلاق في النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة أن الديمقراطية كانت بوسعها في مناطق أخرى من تلطيف توحّش الرأسمالية، غفل موران عن الإستبداد السياسي الذي مارسه ستالين بحق الشعوب القارة تحت تصرّف الإتحاد السوفياتي "الديمقراطيات الشعبية" كانت الإدارة السوفياتية الستالينية رغم تباينها مع نازية هتلر إلا أن موران إنتبه إلى فكرة أساسية وكأن القدر الداخلي قد جمع بينهما واشتركا في فكرة الشمولية وإقصاء الآخر المختلف، إفتقد فيه الإثنين كل أسس الإنسانية كما أقر بذلك إريك فروم Eric Fromm (1900–1980) الذي كشف عن تحليل العقلية التسلطية والإستبدادية لهتلر في مؤلفه تشريح التدميرية البشرية وكشف عن الأزمات النفسية التي كان يعاني منها هتلر[1].

شكّل موت ستالين 1953/03/05 بدء أمل جديد في بناء إشتراكية ليبرالية مع تقرير خروتشوف بيد أنه مع النظر إلى تعامله مع الثورة المجرية 1956 قد قادته إلى القطيعة النهائية مع الإتحاد السوفياتي، إذ يبدو أن موران قد عثر في جوانيته على مفكر جديد ذلك الذي سيكونه بعد التجربة السوفياتية التي أسست في ذهنه أزمة الإمبريالية ووصوله إلى حقيقتين أعلنهما كما يلي "1–تجربتي الستالينية كانت حاسمة في فهم كيفية عمل العقول المتعصبة وفي نفوري منها 2– أنها جعلتني أدرك أنني أيمن وأعسر، أيمن أنني انصهرت منذئذ مصمما على عدم التضحية بفكرة الحرية مرة أخرى وأعسر إذ صرت منذئذ مقتنعا لا بضرورة قيام ثورة لكن بإمكان حصول تحوّل"[2]، هاتين الخلاصتين كانتا مقامين لتبني فكر يساري جديد ويمين جديد في فكر إدغار موران، إكتمل الوعي السياسي الموراني مع نهاية الخمسينات بانبثاق كتابه الأهم في هذه المرحلة وهو كتاب "نقد ذاتي" 1959، الذي ارتسمت فيه فكرة الوعي بالذات وتطويرها لغرض الوصول إلى الأغراض السياسية والتحرر من كل القيود، إرتسمت فكرة كما هو دون أي محاولة لتشكيله، تبنى الفلسفة الإنسانية ودعا إلى فكرة الإبداع والتفكير الإبداعي كمفاتيح للتجديد، كما شارك موران في أحداث ماي 1968 مع أبرز مثقفي فرنسا وانبثقت منه كتابه "ماي 1968 والشرخ".

ج: موران: حرب الجزائر والقضية الفلسطينية: إنخرط موران مع مثقفين على غرار روبير أنتليم Robert Antlime في لجنة المثقفين المناهضين لحرب الجزائر، على شاكلة جوان بول سارتر Jean Paul Sartre

[1]– إريك فروم، تشريح التدميرية البشرية، تر: محمود منقذ الهاشمي، ج2، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2016، ط1، ص219.

[2]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص93.

(1905–1980) الذي ألّف كتاب عارنا في الجزائر[1]، سخّر موران نفسه للتدخل في الشأن الجزائري مدافعا عن حقها في الإستقلال، ***إلتزم***[2] موران في هذا الشأن، إذ رفض الحرب في شمال إفريقيا "دافعنا على شرعية إستقلال الجزائر لكنني كنت أرغب في أن نقيم علاقة مميزة مع فرنسا، كنت أجهل الحقائق الجزائرية في بادئ الأمر"[3] إن دفاع موران عن حقيقة مسكوت عنها في الأوساط الثقافية الفرنسية يكشف عن وجه المثقف العضوي [بالمعنى الغرامشي] الذي ميّز فكره ورغبته في إقامة بلده لعلاقات تتصف بالإمتياز مع الجزائر، إن الإقرار الذي شكّله بغفلته عن الأحداث التي سبقت إندلاع ثورة الجزائر الكبرى، بيد أنه كان على دراية ولو هامشيا بجملة المشاكل التي وقعت بين مصالي الحاج وأنصار الثورة في الجزائر، إذ كتب "في 1954 حدث شقاق بين مصالي الحاج واللجنة المركزية أشعلت جماعة من الشباب إنتفاضة وأسست جبهة التحرير القومي ودعت مصالي للإلتحاق بها ولما رفض شنّت جبهة التحرير حرب إبادة في حق المصالية مع التنديد بمصالي الحاج بوصفه عميل لفرنسا وخائنا للجزائر"[4] أقرّ موران أن إلتزم الصمت لما حدث للتروتسكيين في حقبة وجوده في الحزب الإشتراكي بيد أنه تجاوز هذا الصمت لما حدث لمصالي الحاج، إذ رافع عليه هاهنا[5] لعل هذا الدفاع الموراني كان يدخل ضمن ***الإلتزام*** الفلسفي المدافع عن إنسانية مصالي، كان موران صديق الثورة الجزائرية مع مفكرين على شاكلة فرنسيس جونسون وفرنز فانون وسارتر ولم يغفل عن دوره كمثقف اتجاه قضية مسمومة وكانت فرصة لتبني الفكر الإنساني الذي جاء ضد الحرب وضد الإضطهاد الذي كانت تمارسه فرنسا ضد الجزائر، إنما يشير بذلك دون مشاحة إلى كونه مفكر متحرر من كل القيود الأيديولوجيا التي كانت تفرض على الفلاسفة.

إن تعرّضه للثورة والحرب في الجزائر لم يغفل أيضا عن قضية شغلت العالم أجمع ونقصد هنا القضية الفلسطينية مع المستوطن الإسرائيلي بالرغم من أن أصول موران يهودية، بيد أنه أرسى سفينته مع الحق وجرّه تعاطفه مع الشعب الفلسطيني إلى المحاكم الفرنسية بتهمة الإساءة إلى السامية، بيد ان قرار المحكمة أنصف موران بحجة حرية التعبير، إن المتأمل لقولة موران في كتاب "دروس قرن من الحياة' الذي أقرّ فيه "بالمثل

---

[1]– أوضح فيه معاناة الشعب الجزائري من الإضطهاد من النظام الفرنسي، وسخر سارتر من فرنسا التي طبقت ما عانته من الإحتلال الألماني : جون بول سارتر، عارنا في الجزائر، تر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

[2]– كان موران واضحا في أكثر من مناسبة بعدم قبوله لكلمة الإلتزام لما توحيه من قيود عسكرية في الحرب، أو حتى الإلتزام تجاه مذاهب فلسفية محددة هو في غنى عنها، بيد أننا إستعملناها نحن هنا ليس لتقييد موران تجاه قضية معينة بل الغرض منها منهجي لا أكثر.

[3]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص 99.

[4]– المصدر نفسه، ص100.

[5]– أشار موران إلى فكرة خطيرة وهي تعرّضه لمحاولة إغتيال من طرف المنظمة السرية الخاصة التي كانت تشتغل في الجزائر وتدافع عن فرنسية الجزائر: راجع إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص100 " قولته عرضتني لمحاولة إغتيال من طرف المنظمة الخاصة".

بعد بضع سنوات جرّ عليّ تعاطفي مع الشعب الفلسطيني المستَّعمر في محنته ولا يزال يجر عليّ كثيرا من سوء الفهم وضروب الإساءة"[1] يطرح الكثير من الغموض.

إن موران دافع عن حق الشعب الفلسطيني في أكثر من موقف باعتباره شعب مستضعف ومستعمر من طرف الكيان الصهيوني، بيد أن هذا الدفاع يطرح العديد من التساؤلات على المتأني في قراءة فكرة تدافع عن شعب مظلوم من طرف دولة تستهجن القيام بأعمال العنف فيها لكن لم يتطرق إلى الحلول الجذرية، في 2002/06/04 نشر موران بالتعاون مع سامي نابير ودانييل سالناف مقال في يومية لوموند عنوانها "إسرائيل فلسطين: السرطان" قال فيها "تكوّن هذا السرطان الإسرائيلي الفلسطيني متغذيا من القلق التاريخي لشعب إضطهد في الماضي ومن اللا إستقرار الجغرافي من جهة ومن تعاسة شعب مضطهد في حاضره ومحروم من الحق السياسي من جهة أخرى"[2] شعب مشتت قعّدت له النازية وبريطانيا كما أشار إلى ذلك روجيه غارودي[3] Roger Garaudy (1913–2012) موطن في فلسطين متجاهلين الشعب الفلسطيني الذي إنفرد بمصيره المفروض من حكومات شغلتها محرقة أوشفيتس النازية، إمتعض موران من الرؤية الإسرائيلية الإقصائية حتى أنه من اليسير على السياسة الإسرائيلية إقتراف مجزرة في حق الشعب الفلسطيني، دأب في تحليل العقلية الإسرائيلية التي خلص انها لا تختلف كثيرا عن تلك النازية، فهي أبارتايد العصر تعنى بنظام الإقصاء الذي تمارسة إسرائيل على الحق الفلسطيني "وعي إسرائيل أنها ضحية وهو الذي يتيح لها أن تصبح قامعة للشعب الفلسطيني، كلمة محرقة التي تميّز بها مصير اليهودي كضحية أصبحت تبرر الإستعمار والأبارتايد والفيتو الممارس على الفلسطينيين"[4].

أبرز موران أن إسرائيل تعالج الداء بالداء ولا تحتمل قترة من ترياق النقد الذي يمارسه المثقفون المدافعون على حق هؤلاء المستضعفين بالإعتماد على الأحداث التي تمّ ممارستها على اليهود وإستلهموا نفس الحد في الممارسة، هذا النقد الذي مارسه موران على السياسة في إسرائيل نجد أنه نحى منحى أخر بعد ثلاث سنوات، نقصد هاهنا كتاب ثقافة أوروبا وبربريتها 2005 الذي سجّل فيه قمة التعقيد أن الحضارة لا تتقوّم إلا بالهمجية في دعوة صريحة للتعايش بين الثقافة والهمجية هذا الكتاب الذي وبالرغم من عمق فكره بيد أن وجه الإعتراض الذي ألفيناه إنما إتضح في الفصل الثالث الذي دافع فيه عن اليهود، برز هذا التحديد وكأنه رد إعتبار لإسرائيل بعد الإنتقادات التي وجهّها إليها في 2002 إن الأمر يتعلق بمعضلة مستعصية، وهي السامية وكأن الأمر محصور في قهر إسرائيل، لا نفترض أن الأمر تطلّب فصلاً عن تذكير المجتمع العلمي بمعاداة السامية، ولعلنا نؤكد مقولة مفادها: الذي يريد أن يحارب العنصرية يتوجب أن يتوقف عن الحديث عنها، رسم موران موقفا سيشفع له أمام أبناء جلدنه من اليهود "هكذا نرى كيف أن معاداة السامية قد كانت

[1]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص101.

[2]– إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة، ج3، مصدر سابق، ص13.

[3]– راجع مؤلف روجيه غارود، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية والأساطير المؤسسة لإسرائيل.

[4]– إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة، ج3، مصدر سابق، ص14.

بمثابة الوسيلة الهذيانية التي ستنقذ الماهيات القومية من خطر التحلل والفساد، كان هناك عداء فرنسي للسامية إنطلق بصفة خاصة بمناسبة قضية درايفوس في كتابه فرنسا اليهودية، يصوّر إدوارد ريمون اليهود على أنهم عنصر شر تسلسل إلى المجتمع بأسره، ووضعه في خطر"[1] لسنا بصدد هدم إنسانية موران بيد أن إعتراضنا على دفاعه على فكرة السامية عن قصد ذلك لأن معاداة السامية غدت تهمة جاهزة ترفع في وجه من حاربته إسرائيل، إن صياغة صريحة عرضها موران، ولم يدافع عن حق الفلسطينيين في رد الإعتبار وتنبيه إسرائيل إلى حمل شجرة السلام –الزيتون– في المحافل الكبرى، ويتم التغافل عن القصف الإرهابي والوحشي لمساكن وقرى المعزولين، تبني موران كان خجلا، ولم نجد له مبرر ونحن من لم يهدأ لنا بال حتى نلتمس العذر عن أي موقف تبناه فيلسوفنا، باستثناء "جيل دولوز Gilles Deleuze (1925–1995) الذي قال على نحو لا لبس فيه: "إسرائيل جعلت من ذاتها دولة فوق القانون، وارتكبت في حق الفلسطينيين أبشع المجازر باسم العذابات الرهيبة التي كان اليهود ضحيتها تحت التعسف النازي، لقد مارست العصابات الصهيونية مقولة أرض بلا شعب لشعب بلا وطن"[2] إنما تبرز هذه المقولة ما ذهب إليه المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد[3] لسنا بصدد نقد إدغار موران هاهنا بيد أننا أشرنا إلى هذا التنبيه الذي إختلجنا ونحن نقرأ هذا الكتاب القيّم ثقافة أوروربا وهمجيتها، الذي أعاد الإعتبار إلى الهمجية باعتبارها المقوّم الأساسي للحضارة الأوروبية متفقا مع أرنولد توينبي Arnold Toynbee (1889–1975).

إنتهج موران سبيل السلم وعارض حرب فييتنام وناهض نظام الأبارتايد في جنوب إفريقيا، إلتمس سبيل النصح في آخر سنوات عمره خاصة فيما يخص الربيع العربي والحرب في أوكرانيا التي إستذكر فيها مآسي الحرب العالمية الثانية وطرح إشكاليات ذات صلة بالأخلاق والحضارة والمصير وبوجودنا الأرضي والخوف من إنزلاقات في حرب عالمية جديدة إن لم يُسمع صوت الضمير والعقل، إستذكر أيضا في كتابه مجازر فرنسا في سطيف 1945 كانت دعوة موران في كتابه عدم تجريم الشعوب بفعل صدر عن فرد واحد أو قائد وقد دافع عن الشعب الألماني، نبّه موران إلى أن خطر الحرب في أوكرانيا يتعاظم وازدادت مخاوفه من استخدام الأسلحة النووية، حيث أن الأصوات المنادية للسلام خجولة في هذا الصدد، وحذّر من تصاعد شرارات الحرب ودعى إلى إحلال صوت الضمير والعقل قبل أن نلج في أغوار حرب عالمية ثالثة أكّد أنها ستكون أسوأ من سابقتها.[4]

---

[1]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق،ص 105.

[2]– إدغار موران، ثقافة أوروبا وهمجيتها، تر: المنتصر الحملي، APULEIUS، تونس، 2010، ط1، ص11.

[3]– إدوارد سعيد، أوسلو 2 سلام بلا أرض، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1995، دط.

[4]– خديجة زتيلي، قراة في كتاب من حرب إلى حرب، المجلة الجزائرية الثقافية، thakafamag.com.

ثانيا: الديمقراطية بكونها في حالة أزمة:

بمقتضى التحديد الماهوي للفلسفة الذي قدمه جيل دولوز والذي يقر بأن الفلسفة هي إبداع للمفاهيم، إستحضرنا هاهنا مجموعة من التحديدات المفاهيمية المورانية التي تشكل الحجر الأساس الذي يتقوّم به مطلبنا، ولأجل هذا الغرض حاولنا تحديد تعريفات مركّزة سنلج به لتحليل المفاهيم المورانية، خاصة أن الفلاسفة وعلماء الإجتماع المعاصرين قد طفقوا يحترفون الكتابة السياسية ويلجون في أغوارها بمقتضى الوظيفة الموكلة للمثقف، على هذا الأساس كانت مفاهيم الدولة والنظام السياسي منطلقين لنا على أن يكون الإستبداد والديمقراطية كنظامين أساسيين لفك إشكالية موران المتناولة:

أ: مفهوم الدولة:

الدولة كمفهوم فلسفي وسياسي، وهي الرهان الأساسي التي يقوم بها كل كيان شعبي واجتماعي وتحوي تعريفات لا حصر لها، تختلف هذه التعريفات بإختلاف وجهات نظر المعرفين لها، " فالجغرافي يعرف الدولة من خلال تراب وطني محدد، والسوسيولوجي لا يفصلها عن واقعة التمييز بين الحاكمين والمحكومين، ويرى المؤرخ أنها تعبر عن نمط وجود أمة، كما يعتبرها القانوني بمثابة نسق من الضوابط، وينظر إليها الفيلسوف [هيغل] كجوهر أخلاقي واع بذاته، وحتى الإقتصادي [تبعا لمدرسته] فهو يعتبرها السلطة التخطيطية العليا، وحتى الشاعر [هلدرلين] يرى أنها الوحش الأكثر هدوءا من بين كل الوحوش "[1] فالدولة في كيانها المؤسساتي المنتج يمكن إعتبارها " الدولة الحديثة هي مجموع أدوات عقلنة المجتمع"[2] وهي الإستنتاج الذي خلص إليه المفكر المغربي عبد الله العروي من تحليله وتتبعه لمسار مفهوم الدولة، فالدولة إذا وجدت من أجل عقلنة المجتمع وتسييره وهنا قد يتمركز الإختلاف الذي سيمكننا من تسيير شؤون هذه الدولة ، وبأي نظام سياسي يمكن أن ييسر هذه العملية.

أما عند إدغار موران فيزعم أنه قبل قيام الدولة كان المجتمع البدائي يعيش في مئات الأفراد، همهم الصيد وجمع القوت وفق ميكانيزمات ومهارات معينة يكتسبونها لحفظ البقاء، ويمارسون مختلف الطقوس والسحر، كما تقام مراسم للموت والحياة، وقسّم إدغار موران المجتمع القديم حسب مهام كل طبقة إجتماعية " ويكون مصير النساء ثانويا وبحسب المجتمعات، ويُشكل الأطفال والشباب والبالغون وكبار السن طبقة بيولوجية مغلقة، ويحظى كبار السن بالسلطة المعنوية، والبالغون بالسلطة على المجتمع، ويتحد الشباب في مجاميع متمتعين بشيء من الحرية"[3] والمجتمعات القديمة لا تحكمهم دولة منظمة، ولكن مع غزو المجتمعات لبعضها البعض إنبثق ما يسمى مفهوم الدولة، وظهرت الحضارة المصرية الصينية.... فإنبثاق الدولة هو

---

[1]– محمد الهلالي وعزيز لزرق، دفاتر فلسفية الدولة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2011، دط ، ص 9.

[2]– عبد الله العروي، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2014، ط10، ص100.

[3]– إدغار موران، النهج.. إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هناء صبحي، كلمة للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ط1، ص 191.

الحدث التنظيمي الأكثرا تأطرا في المجتمعات التاريخية، حيث بقيت هذه حتى يوم الناس هذا، ويستوجب مع إدراك مفهوم الدولة إدراك مفهوم الجهاز ، رغم عدم وجود هذا المفهوم في القواميس السياسية ولا حتى في المفاهيم الماركسية والفوضوية، وعلى هذا الأساس تبنى موران تعريفا ماديا لضبط مفهوم الجهاز وقال أنه "الجهاز هو آلة تحكّم وسيطرة ترسل المعلومة وتضع برامج، وبذلك تتحكم في الطاقة المادية والبشرية"[1] وهو يقترب من كونه الدولة بحد ذاته وما لاحظه إدغار موران أن الدولة منذ المجتمعات القديمة تستخدم مفهوم الجهاز، وهذا لغاية التحكم في المجتمع، وهو ما استخلصه موران من هذا التحليل ، فالجهاز آلية تحكّم الدولة في المجتمع.

ب: مفهوم النظام السياسي: يّعد النظام السياسي الإطار الرئيس الذي يُجرى ضمنه الصراع السياسي في المجتمع، ومن البديهي أن تشكّل السلطة السياسية موضوعه الرئيس، فالسلطة تتسم بالتنظيم ويكون هذا التنظيم من النظام السياسي بحد ذاته، يمكن أن نعرف النظام السياسي على أنه " ذلك الجزء من النظم الإجتماعية الذي يضم مؤسسات صنع القرار العام أو التأثير عليه، فالنظام السياسي في أي دولة هو الذي يحتكر إتخاذ القرارات الملزمة للمواطنين جميعا داخل هذه الدولة، سواء امتيازات ـ مثل الخدمات المجانية أو دعم بعض السلع أو الدعم المباشر، ـ أو التزامات على بعض المواطنين مثل الضرائب والرسوم، وعلى هذا الأساس رأى صفي الدين خربوش أن النظام السياسي هو المسؤول على توزيع موارد الدولة بصورة إلزامية أو إكراهية، وهو الذي يستخدم الإكراه المادي بطريقة شرعية في حالة الخروج عن القانون لحفظ حقوق المواطنين وفرض إحترام القوانين على المخالفين"[2] إذا؛ النظام السياسي هو عملية صنع الحكومة لمختلف القرارات سواء الاقتصادية أو السياسية، وهذه القرارات تفرض على الشعب بقوة القانون، وما يمكن استخلاصه هو أن مفهوم النظام السياسي غير مفهوم الدولة، وقد يقال: دولة نظامها السياسي ديموقراطي برلماني أو يمكن أن يكون نظامها فدرالي، فالدولة مفهوم مجرد، على خلاف النظام السياسي الذي هو تعبير مباشر وواقعي عن حياة شعب أو دولة ما، من خلال التطبيق المباشر لتلك الإلتزامات التي تفرضها الدولة كما الاستفادة المباشرة من امتيازاتها، يقوم النظام السياسي بالوظائف الموكلة إليه لفرض احترام القانون، يضم النظام السياسي مجموعة من المؤسسات للقيام بهذه المهام و هذه المؤسسات الحكومية الرسمية متمثلة في السلطة التشريعية التي تنحصر مهمتها في صنع القرارات وخلق القوانين والعقوبات الرادعة لكل من يخالف هذه القرارات وهي أيضا من تمنح المواطنين تلك المزايا وتفرض عليهم الرسوم والإلتزامات، والسلطة التنفيذية التي تقوم بتطبيق هذه القوانين التي أنتجتها السلطة التشريعية، أما السلطة القضائية فهي الفيصل التي تحكم في المنازعات التي تثار عند تطبيق هذه القوانين.

---

[1]– المصدر نفسه، ص191.

[2]– محمد صفي الدين خربوش، مقدمة في النظم السياسية، معهد البحوث و الدراسات العربية، مصر، 2013، دط، ص ص 4 – 5.

إن علينا الآن أن نستأنف فحصنا للوجه الذي تم تقديمه للنظم السياسية باعتبارها صانعة القرار الأول في الدولة، وكما أسلفنا الذكر أنها تحوي عدة أوجه بيد أننا إرتأينا أن نقدم وجه الإعراض عن غالبيتها بإستثناء نظامين سياسيين وهذا ما يتسنى لنا من تقديم تعريفات ماهوية لكلا النظامين السياسيين، الإستبداد باعتباره شكلا توتاليتاريا[1] يستولي فيه المتسلط على كل أشكال الحكم، والديمقراطية بوسمها نظاما تشاركيا بين الشعب في تأسيس السلطة السياسية:

الإستبداد: وهو احد أنظمة الحكم الموجودة والقارة والضاربة في جذور التاريخ، والذي تمارسه السلطة السياسية أو نظام الحكم على الشعوب لإخضاعها و إكراهها والسيطرة عليها من خلال ممارسات عنيفة يسنها الحاكم أو العاهل ويعرف إدغار موران الإستبداد على أنه "سلطة تعسفية وجامحة لشخص واحد أو عدة أشخاص"[2] وهو ما أشار إلى امكانية وجود المفارقة وهي حديثه عن الدولة عديمة الهوية [هي مجموع الدول التي غزا بعضها البعض فينتصر الغازي فتصبح شعوب الدول المغزوة مقهورة ومختلفة في هويتها] بتعبير موران تفضل السلطة الشخصية، وتتحكم في الشعوب تحكما مطلقا وتاما وترسم وتحيك على الحاكم صفات الإطلاقية والتي يستغلها كمصدر لسلطته وإضفاء المشروعية لها لضمان استمراريتها، على خلاف ذلك، نجد أن الحكم المطلق هو منح نظام الحكم السيادة على كل شيء، ووضع سلطة الدولة في عهدة موقع يبلغ من الرفعة و الحصانة بحيث يخضع جميع المؤسسات لمشيئته، ويتصرف في سياسة المجتمع بمعرفته، فالإستبداد هو تصرف النظام السياسي وفق أهواء ومزاج الحكام كما انه وبقدر أنه ممارسة قديمة يعتبر ممارسة حديثة ظهر مع الثورات الإنعتاقية وهو ما يودي الى استحداث تلك الأنظمة الشمولانية والتوتاليتارية التي تظهر عندما يقضي نظام الحكم على المبادرات الحرة للأفراد وتلزمهم بالخضوع لقرارات تحكميّة وتحتكر لنفسها النفوذ وتستمد سلطتها من مصدر متعال وتفرض على المجتمع المسايرة وتغلق العالم السياسي وتحول دون أن يشتغل منطق السيرورة، وتستبعد الطبقة الناشئة من تسيير الشأن العام، ومن المفارقة القول أن الدول العظمى في التاريخ كانت وليدة الحكم الإستبدادي وجور الحكام والسيطرة على الشعوب المقهورة حيث يضفى إلى الحاكم أو العاهل سمات الألوهية لتبرير أفعاله وإضفاء سمة المطلقية على هذه الأفعال ولو ضربنا أمثلة لمثل هذا الحكم فسنجد ان صفحات التاريخ مملوءة بمثل هذه الممارسات، ولعل المثال الذي نستحضره يُعبر وفق منظورنا لهذه الممارسة الاستبدادية واستضعاف الشعوب المغلوبة مع تبرير المواقف وتزيينها لتصبح لها الشرعية التامة، فنابوليون بونابرت أنموذج حقيقي لهذه الممارسة التي

---

[1]– التوتاليتارية هي شكل سياسي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى بالأخص في الدول المنهزمة في الحرب ألمانيا والإتحاد السوفياتي والدول التي تم خيانة مواثيق وعهود السلام معها ونقصد هاهنا النظام الفاشي الموسوليني الإيطالي، وهو تأثير ونرجسية بعض الأفراد وحبهم السيطرة على الشعوب وإبادة الحريات وهدم الأسس الإجتماعية فيها، وقد حددت الفيلسوفة الألمانية حنا أرندت هذا المصطلح بدقة متناهية في مؤلفاتها راجع: حنة أرندت، أسس التوتاليتارية، تر: انطوان أبو زيد، دار الساقي، بيروت، 2016، ط2.

[2]– إدغار موران، النهج.. إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق، ص212.

ولجها من مندوب استعين به إلى غاية وصوله لهرم السلطة وسدة الحكم، واعتباره أعظم أباطرة تاريخ فرنسا [رغم كونه طبيعانيا إلا أن هذا لم يمنعه من استحضار القساوسة لتبرير أفعاله الاستبدادية – رغم تحقيقه لانتصارات عظيمة على امبراطوريات بروسيا وروسيا والنمسا إيطاليا] واستحضر موران أيضا مفهوم الدولة الممدنة التي يعتبرها الدولة المهيمنة وهي التي " تحرم على الأفراد والمجموعات استخدام العنف وتقمعه، في الوقت الذي تبيحه شرعيا لنفسها فحسب، وتسن قانونها الذي يضع حدا للأعمال الانتقامية والقضاء الخاص، وتنشأ فضاءات فسيحة من السلام الداخلي والحضارة مع أنها تهيمن بقسوة على سكانها الخاضعين"[1] فالنظام الإستبدادي يشرع لنفسه تلك القوانين التي يمنعها على مواطنيه، بل يؤثث لمجتمع يربط بين مواطنين من مختلف الإثنيات لتثبيت التعقيد الاجتماعي، وتنصهر هذه الإثنيات مع بعضها البعض، وبهذا يتم إجتثاث المجتمع الواحد، من أجل الحفاظ على الحكم المطلق الذي يقصي كل شيء للحفاظ على سلطته.

الديمقراطية: إن الديمقراطية أحد أنظمة الحكم التاريخية ـ والتي ظهرت في المدينة اليونانية وفق شروطا معينة خاصة بالقانون الأثيني ـ فدارسوا الديمقراطية يختارون عموما أربعة تعاريف رئيسية " الدستورية والجوهرية والإجرائية وذات التوجه العملياتي"[2] فالمقاربة الدستورية تركّز على القوانين التي يسنها نظام الحكم حول الأنشطة السياسية، وتركز مقاربات الحقوق الأساسية على الظروف السياسية التي يسعى نظام حكم ما إلى تعزيزها مثل رخاء الناس وأمنهم.... ويختار أنصار التعاريف الإجرائية مجموعة ضيقة من الممارسات السلطوية ليحددوا في ضوئها ما إذا كان نظام حكم ما يمكن أن يوسم بالديمقراطي أم لا، وتضم العناصر التالية " 1– نظام سياسي تنافسي يضم عدة أحزاب 2– حق الإنتخاب لكل المواطنين البالغين –باستثناء المجرمين أو الذين منعوا بحجة قانونية واضحة المعالم– 3– إنتخابات منتظمة تنافسية تجرى في أجواء الإقتراع السري 4– الإمكانية الواضحة لوصول الأحزاب السياسية الرئيسية إلى جمهور الناخبين وذات التوجه العملياتي فتختلف بشكل واضح عن المقاربات الأخرى "[3] ، فهي تعين حدا أدنى لعمليات يجب أن تعمل باستمرار لكي يمكن وصفها بالديمقراطية ، ومن المعلوم أن روبرت دال Robert Dahl (1915–2014) حدد خمس معايير ذات توجّه عملياتي للممارسة الديمقراطية وهي " المشاركة الفعالة، المساواة في حق التصويت، التفهم المستنير، تنظيم جدول الأعمال، شمول البالغين"4 وعادة ما تعرف الديموقراطية على انها حكم الغالبية او حكم إرادة الشعب " وهي إختيار حر، خلال فترات منتظمة للحاكمين من قبل المحكومين

[1]– إدغار موران، النهج.. إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق، ص214.

[2]– تشارلز تيللي، الديمقراطية، تر: محمد فاضل طباخ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ط1، ص 24.

[3]– المرجع نفسه، ص25.

[4]– المرجع نفسه، ص26.

ليحدّد بكل وضوح الآلية المؤسساتية التي لا وجود للديمقراطية من دونها "[1] فاستقر الان تورين على هذا التعريف العام للديمقراطية.

ج: تـأزيم الديمقراطيـة: الديمقراطية عند إدغار موران يسمها " بصفتها نظاما يتضمن التحكم بالمواطنين وفصل السلطات وتعددية الأراء، وصراع الافكار هي الدواء الشافي للسلطان المطلق لجهاز الدولة وجنون السلطة الشخصي"[2] فالديمقراطية إذن حالة سوية يكون الحكم فيها في يد الشعب، بحيث يكون للمواطنين الحق في المشاركة في السلطة، حيث يتم سحب السلطة من يد المستبد وتكون الممارسة السياسية مستقلة عن أي إكراه او إلزام بل الممارسة السياسية تكون في يد المواطنين الأحرار وهم من لهم المسؤولية التامة في تقرير مصيرهم، لكن المتأمل في الديمقراطية المعاصرة يستخلص إلى أنها في أرض الواقع تعاني من أزمة خطيرة، وهذه الإحالة الى تأزم الوضع الديمقراطي كان نتيجة حتمية للتقلبات الإنسانية وبزوغ الأنانية المفرطة والعنف والعصيان وغيره من المشكلات الإنسانية التي ساهمت بشكل أو بأخر في تأزم هذا الوضع، ومن الأسباب القاهرة كان طغيان البيروقراطية [تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظمة، وتعتمد هذه الأنظمة على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية وفقا للعلاقات الشخصية ومن بين هذه النماذج البيروقراطية" تصدير نموذج الثكنة العسكرية إلى المؤسسات المدنية وتقوم بتأديب الأفراد وتخضعهم لطريقة في الحياة تتسم بالإنضباط والألية والنمطية وأصبح المواطنين يعملون وكأنهم جيش مدني"[3] هذه الأزمة الكيانوية التي سادت الديمقراطية كنتيجة ضرورية للطغيان البرغماتي الأمريكي التي فتكت بالمشاعر وقضت على روح الوحدة والتضامن بين الأفراد والمجتمعات.

كل هذه النتاجات الفعلية لصيرورة الفردانية التي حطمت كل أفق إنساني سامي هادف، لكن هذه العقبات التي تواجه الديمقراطية ليست عقبة نهائية أمام إنسانية الإنسانية، بل بالعكس من ذلك، يمكن قيام ديمقراطية حقة في وسط كل هذه التجاذبات رغم خطورتها، على كلّ؛ فقيام فكر الإختلاف والإعتراف بالأخر وتغليب قيم التعدد والتسامح، وتسخير كل الآليات للتمثيل والتشاور، بحيث يتم إنشاء منهج إستقلالي يسمح بتمتع الأفراد بحقوقهم، وكذلك بإنعاش آمال الشباب بواقع أحسن –وليس عبر الخطابات التضليلية التي لا تتعدى سوى كونها بروباغاندا – فالديمقراطية لا تحدد بطريقة بسيطة حيث تحتاج الديمقراطية إلى " توافق أغلب المواطنين واحترام القواعد الديمقراطية، وفي نفس الوقت تحتاج إلى التعددية وإلى نوع من الصراعات"[4] فبعد أن أبانت الحكومات الشمولانية أن التحكم بالنظم السياسية والتسيّد على القرارات والقوانين ومنح السؤدد

---

[1]– آلان تورين، ما الديمقراطية دراسة فلسفية، تر: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 2000، ط1، ص45.

[2]– إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2002، ط1، ص101.

[3]– إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص102.

[4] - Eduard Bernays, Propaganda comment manipuler l’opinion en démocratie, tr :Oristelle Bonis, Normand Baillargeon, paris, 2007, 6éme chapitre.

المطلق للحاكم أو السلطان، وشرعنة كل القرارات وإعطائها القدسية اللازمة، وقتل روح التعدد، كل ذلك شكلت ملامح التسلط والإستبداد والقهر التي رافقت دول تاريخية عظيمة على مدى طويل من التاريخ، في حين أن الديمقراطية تحتاج إلى " صراعات بين الأفكار والآراء، لأنها هي التي تضفي الحيوية والإنتاجية على الديمقراطية، لكن حيوية وإنتاجية هذه الصراعات لا يمكن أن تنمو إلا بالخضوع لقواعد اللعبة الديمقراطية التي تنظم التناقضات وتعوّض المعارك المادية بمعارك بين الأفكار، فتحدد بواسطة الجدالات والإنتخابات من سينتصر مؤقتا بين تلك الأفكار المتصارعة، وفي المقابل من الذي يمتلك مسؤولية العمل على تطبيق تلك الأفكار"[1] وهكذا فإن الديمقراطية عند إدغار موران ليست ديمقراطية إملاءات ولا تلك الديمقراطية التي يُدافع عنها بالسلاح والقمع بين السادة والحكّام، بل الديمقراطية تتطلب في آن واحد أن يكون توافق بين التعددية والصراعية، في نسق تغذي وتتغذى من إستقلالية الأفراد.

إن الديمقراطية لها طابع حواري فهي تجمع بين التوافق / التصارع، الحرية / المساواة، الجماعات الوطنية / التناقضات الإجتماعية والأيديولوجية، فهي تلغي كل فكرة مبسطة وتحاول القيام على الفكر المركب الذي كان رهان موران، وبالتالي فالديمقراطية هي الدواء الشافي الذي قرّه موران في الزمن الحاضر، ولكن ما لفت نظر المفكر الفرنسي أن هناك ديمقراطيات معاصرة معلولة ، وهي بالتأكيد وريثة الفكر الشمولي الذي ساد وطغى في القرن العشرين، فالديمقراطية التي تحيا من الصراعات قد تطغى عليها هذه الصراعات فتنتج توتاليتارية جديدة التي ما فتئت الديمقراطية أن تحاربها، ومن عيوب الديمقراطية أيضا "إذ لا يتم إستشارة المواطنين المعنيين حول البدائل الممكنة، وتميل إلى نزع حق المواطنين من القرارات السياسية الكبرى بحجة أنها معقدة وتحتاج إلى خبراء ويمكن الحديث عن نزع التسيّس عن السياسة التي تتغلغل من تلقاء ذاتها في مجال الإدارة التقنية، كل هذا يتسبب في تراجع رهيب ومهول للديمقراطية إذ أصبح المواطنون معزولون عن مشاكل المدينة"[2] فالديمقراطية التي تحتفظ بحق التسلط وتهدم منابع التعدد هي ديمقراطية متسلطة مستبدة، وتقصي المواطنين من حقوقهم في تسيير الشأن العام فمن الواضح أن الديمقراطيّة قد ولجت في أزمة خطيرة، هذه الأزمة التي كانت وليدة الإستبداد الذي غدا ناعما، يقصي الآخر بصورة ديمقراطية ويتصرف بالقرارات بحجة جهل المواطنين وعدم تمكنهم من إستعاب ما يحدث في الواقع السياسي، ولكن، بعد هذه الأزمة هل يعني أن الديمقراطية قد اضمحلّت وتنافت؟ كيف كان منظور موران لمستقبل الديمقراطية؟.

د: مستقبل الديمقراطية: إن الممارسات اللاّ أخلاقية التي تمارسها المؤسسات الإعلامية التي أسست ما يسمى البروباغاندا السياسية والتي تستهدف الديمقراطية على وجه الخصوص، ولعل الكتاب الذي قدمه الكاتب النمساوي "إدوارد برنايس": البروباغاندا: كيف نسيطر على الأراء الديمقراطية، قد قدمت منظورا

[1]– إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص102.

[2]– المصدر نفسه، ص103.

واضحا في الفصل السادس كيف تحكم الحكومات في كل الآراء السياسية التي تخرج إلى الواقع السياسي"[1] إن مثل هذه الأطروحة لم تكن فكرة مورانية محضة فلعلنا نقدم نموذج فكري آخر يثبت مدى كون المجتمع السياسي ضد فكرة الديمقراطية الحقيقية التي نسعى لتأسيسها ونقصد هاهنا المفكر فرانسيس دوبوي ديري في كتابه الديمقراطية تاريخ سياسي للمصطلح في الو.م.أ وفرنسا واصفا الفصل الثالث من الكتاب الأثرياء ضد الديمقراطية كيف "أن الديمقراطية هي أحد الإستبدادات السلطوية"[2] إن المشاكل التي وقعت في القرن العشرين قد أثّرت بشكل واضح في الواقع الإنساني، ولكن ما يبدو – ما استشرفه موران– أن هذه المشاكل ستربو وستزيد حدة، وهذا بفعل التطور العلمي والتقني وارتباط الديمقراطية بهما، فهما –التطور العلمي والتقني – لم ينتجا فقط العلوم بقدر ما أنتجوا العماه أيضا –نسبة إلى نظرية الشواش في الفيزياء المعاصرة– فالتخصص الفائق وتجزأ المعارف جعلت المعرفة نخبوية وسامية غير عامة يختص بها مجموعة من الناس يوسمون أنهم هم العلماء والمحتكرون لكل ما ينتج وكذلك تكون هذه المعرفة مجهولة الهوية " توجد في أبناك المعلومات وتستعمل من طرف أجهزة مجهولة وعلى رأسها الدولة "[3] وبهذا يفقد المواطن الحق في المعرفة، صحيح أنه قد يكون له الحق في المعرفة المتخصصة، وذلك عبر إستخدام الدراسات المتخصصة لذلك، ولكن من تكن له إرادة في لم شمل المعرفة وتقديم رؤية واضحة المعالم اتجاه ما يحدث حقيقة، فهل ستكون له القدرة على ذلك ؟ حسب منظور موران.

يتسنى للمواطن التفرع على سبيل التمثيل في صناعات شديدة التعقيد، مثل الأسلحة النووية، ولكن ليس من حقه إستخدامها، هذه الممارسات من صلاحيات رئيس الدولة [ليس المقصود هنا ترك هذه الأسلحة دون مراقبة يستخدمها المخترعون والمختصين، إنما أراد توضيح كيف أن هناك معارف غير متاحة للكل] حتى أن رئيس الدولة يستخدمها دون إستشارة الأجهزة القانونية المختصة لهذا، فكلما ولجت الديمقراطية في عالم التقنية كلما ساهمت في تراجعها. فكيف تمكّن هاهنا رئيس الدولة من أخذ سلطة القرار في مثل هذه أمور دون إستشارة الهيئة التمثيلية على أقل تقدير ومن هنا أصبحت الديمقراطية تتغلغل في الأزمة أكثر فأكثر، بيد أن المشكلة عند موران هاهنا ليست الحرب بل يؤكد على أن المشكلة أعمق وأكبر مما نتصور ويقول "إن الهوة تتسع بين نزعة تقنو- علمية نخبوية وبين المواطنين، الأمر الذي يعمق أكثر ثنائية العارفين الذين لا يمتلكون سوى جانب من المعرفة مجزأ بحيث لا يستطيعون إدراك سياق المعرفة ولا مقاربتها من منظور شمولي، والجاهلين يعني مجموع المواطنين، وهكذا يتم خلق شرخ إجتماعي جديد"[4] وهكذا يغدو لدينا طبقة نخبوية متحكمة في المعارف ومواطنين مقصيين عن دورهم السياسي، وهذا الدور السياسي يتم معالجته ويتم

[1] - Eduard Bernays, Propaganda comment manipuler l'opinion en démocratie, op, 6 émé chapiter .

[2] - Francis Dupuis-Déri, Démocratie ; histoire politique d'un mot aux Etats unis et France, Humanités, T1, p159.

[3] – إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص106.

[4] – المصدر نفسه، ص107.

إختزاله في الجانب الإقتصادي والتقنية، واختزال الإقتصاد في مسألة النمو، وهكذا يتم إختزال معارف في أخرى وهذا كله يساهم في إضعاف المدينة وتأخير كل مسارات التقدم والتطور فمهما بلغت التقدمات العلمية من قوامات رئيسة إزدادت هوة الفراغ بينها وبين المنظورات السياسية والأخلاقية التي تعيشها المجتمعات التي تُقام فيها الديمقراطية، وعلى هذا الأساس، من هذه المشاكل التي تخلقها التقدمات التقنية، يحاول موران التركيز عن كيفية إحياء الديمقراطية.

إن هذه العملية الشاقة تستوجب إحاطة معرفية كافية بما يحدث في الراهن السياسي، فهي ليست عملية بسيطة تستهدف تغيير نظام سياسي، يقول موران، "إعادة إحياء الديمقراطية تفترض إعادة إحياء المدينة، كما أن إعادة احياء المدينة تفترض إحياء التضامن والمسؤولية، يعني حدوث تطور في مجال الأنتروبو-أخلاقية"[1] فالرهان إذا عند موران أخلاقي بحت، فإحياء الديمقراطية يتطلب إحياء للإنسانية التي سقطت في فج التقنية، وموران الذي يحاول أن يؤنسن الحياة، وهنا نجد إستحضاره للمصطلح الهيدغري " العصر الكوكبي " بمصطلح إنساني شبيه هي المصير الكوكبي، ونحن نستحضر هاهنا فكرة مورانية أصيلة مفادها أن حتى البيروقراطية إذا كانت تعاني من أزمات فهي بذلك تشكّل تربة خصبة لقيم الديمقراطيات"[2] إنه من أجل أن الديمقراطية هي ذات منبت أخلاقي محض إستطرد موران إمكانية قيام ديمقراطية حقيقية عبر ما يسميه إقامة أزمة في الديكتاتوريات التي تشكل الصيغة الموازية لها، فالتضامن وتحمّل روح المسؤولية للجميع، وبناء أسس للتواصل والعيش المشترك، كل ذلك كفيل بقهر أشكال الديكتاتورية وبناء ديمقراطية جديدة بعيدة عن كل أشكال الإستغلال والمساومة، الديمقراطية كنظام سياسي يكفل حق الجميع في المشاركة وبناء النظم السياسية والإجتماعية والأخلاقية، فالأخلاق هي رهان موران المستقبلي لبناء الديمراطية المركبة.

ثالثا: مستقبل السياسة أو ما معنى اليسار الجديد؟

نحن نظفر هنا في موقف إتخذه موران في تجربته السياسية، كيف حدّد ذلك، فإنه يجري تحويرا مهما على دلالات الإشتراكية التي صاغها من أجل مطية السياسة، في مقاله الشهير في يومية Le Monde 2010 "ما معنى أن أكون على اليسار"، أقام ثورة على المفاهيم المستعملة في اليسار، إجتهد موران من أجل النضال ضد إستغلال العمال وتغوّل الرأسمالية، رسم طريقا لمستقبل السياسة والإنسانية، ونحن نجد أن موران لم يلتزم بالقضية السياسية في هذا المقال فحسب بل اهتم بقضايا البيئة والإقتصاد، دعى موران إلى ابتكار طريق جديد يقضي على الأزمة السياسية، وعمد إلى تفحص هذه الفجوة التي قال أن السياسيين أصحاب القرار قد استحوذوا على كل أشكال الحكم وبهذا حجبوا كل أمل في تكوّن معنى حقيقي لليسار وللمقاومة، إرتكز هؤلاء على صنع يسار يتوافق مع مواقفهم ويخدم مصالحهم، وهذا ما يشكّل موقفا منافيا للأخلاقيات السياسية، إحتفظ موران بميولاته الإشتراكية وشرع في بلورة سياسة إشتراكية جديدة ، بيد أنه حذّر من الوقوع

[1]- إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق ، ص 108.

[2]- إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص95.

في الماركسيات المختلفة "هناك ماركسيات، ماركسيات إصلاحية لينينية تروتسكية، حين نذكر الماركسية فنحن نقفز من ماركسية إلى أخرى بدون وعي"[1].

كان مقصد موران الأسمى هو بناء مجتمع سياسي، يرتكز على التضامن، تهدم فيه الأصولية والرفض وكراهية الآخر، إعترف أن أوروبا تعاني من الركود والتراجع بيد أنه يبقى مسكوت عنه لأنه يخدم مصالح الليبرالية والرأسمالية التي تمحوّر همها حول الربح، عاد موران إلى الماضي لغرض رسم سياسة المستقبل وبالأخص إلى مبادئ الثورة الفرنسية ومقاصد الفكر الإشتراكي والفكر التحرري "تركز كلمة ليبرتاري على استقلالية الأفراد والجماعات وكلمة إشتراكي على تحسين المجتمع وكلمة شيوعي على الحاجة إلى مجتمع أخوي بين البشر"[2] لم يحافظ ورثة الأنظمة الإشتراكية على هذه المبادئ وولج بعضها في خصومات ينعتها موران بالقاتلة، مثل تلك التي تمّ فيها إغتيال تروتسكي Leon Trotsky (1879–1940) وروزا لوكسمبورغ Roza Luksemburg (1871–1919)، ويجدر بنا أن نشير إلى أن موران قد أفلح في ارتسام طريق يدعو فيه إلى العودة لفكرة التعقيد عبر دمج المعرفة المجزأة والمشتتة التي لا حصر لها، خاصة أننا في عصر لم يعد ماركس وبرودون وباكونين قادرين على التفكير في عصرنا، فدعا إلى مجابهة الأخطار التي تجمعت خاصة المرتبطة بالإنسانية، يتوجب التفكير في عصرنا الكوكبي الذي شقّته العولمة عبر توحيد التقني والإقتصادي وشهد طفرة منذ التسعينات، "يتم دفع المركبة الفضائية للأرض بسرعة فائقة بواسطة المحركات الأربعة غير الخاضعة للرقابة: العلمية والتقنية والإقتصاد والربح، يقودنا هذا السباق نحو مخاطر متزايدة الإضطراب الخطير والحرج للإقتصاد الرأسمالي الهائج وتدهوّر المحيط الحيوي وزيادة التشنجات العدائية التي تتزامن مع إنتشار أسلحة الدمار الشامل"[3] أصبح كل ذلك يهدد البشرية، واستشعر موران هذا الخطر وكشف أننا في مرحلة رجعية من تاريخنا، إنهارت فيه الإشتراكية وتشهد عودة مفاجئة لديانات الخلاص السماوية التي تدعو إلى الدولة القومية، وكشف موران أن القوميات التي أنتجها إنفصال الديمقراطيات الشعبية التي هي قوميات ضيقة ومعادية للأجانب ترفض الإنصهار، كما أكّد أن أفكار اليسار في مثل هذه البلدان تمثل درجة الصفر، إنها درجة من الإنسداد بسببها لم تعد هذه الدول قادرة على التعرف على الفكر المتفتّح.

أشار موران إلى أن العولمة –ليست وحدها– هي التي قضت على العديد من المكاسب الإجتماعية بعد الحرب، كما أن الأحزاب عجزت عن تمثيل العالم الشعبي، ولم تؤسس سياسة تستجيب لهذه التحديات، إن المتأمل لهذا المقال يلفى الإنبهار الموراني بالماركسية رغم انتقاده لها في أكثر من موضع، بيد أن الواقع المأزوم الذي ولجت فيه البشرية يستدعي رؤية ماركسية جديدة تختلف عما سلف "لقد أصبح الحزب الشيوعي

[1] – إدغار موران، مع ماركس وضد ماركس، مصدر سابق، ص65.

[2]- Edgar Morin, Ce que serait « ma » gauche, 26/05/2010, lemonde.fr, lu 24/06/2023, https://www.lemonde.fr/idees/article/2010/05/22/ce-que-serait-ma-gauche_1361550_3232.html.

[3] - IBID.

نجما قزما، والحركات التروتسكية على الرغم من الإدانة العادلة للرأسمالية غير قادرة على صياغة بديل"[1]، أفضى هذا الواقع إلى تأزيم الحداثة التي انكمشت وعودها ولم تحققها، وأشار موران إلى إنفلات الأخلاق التي يتوجب تعلميها منذ عهد الثورة الفرنسية "الأخطر من ذلك إختفاء اليسار، هذا الشعب الذي شكّله التقليد الناتج عن ثورة 1789 والذي تمّ تحديثه من قبل الجمهورية الثالثة، تمّ ترتيبه بالأفكار الإنسانية من قبل المعلمين الأوائل من قبل مدارس التدريب الإشتراكية ثم الشيوعية التي علّمت الأخوة الدولية والتطلّع لعالم أفضل، النضال ضد إستغلال العمال واستقبال المهاجرين والدفاع عن الضعفاء والإهتمام بالعدالة الإجتماعية"[2] إرتسم موران هذا الطريق الذي إنبثق مرة أخرى في ظل الإحتلال فأرشدنا إلى ضرورة تجديد رسالة هؤلاء المعلمين بيد أن "تدهوّر مهمة المعلم وتصلّب أحزاب اليسار وانحطاط النقابات توقّف عن تغذية شعب اليسار بفكره التحرري"[3] إن الفلسفة لا تنفصل عن الولوج في تطبيب هذه الأزمات التي فتكت بالغرب، العنصريّة وكراهية الأجانب ولعل المثال الأبرز والذي يمكّننا التمثيل هي "ماري لوبان" التي تقود فرنسا للرجعية، يجب أن نعرف إمكانياتنا لنتمكّن من توصيف الواقع على وجهه الأتم، حتى يتسنّى لنا تغييره، إن الإنخراط الموراني في هذا الشكل الفلسفي السياسي إنما كان غرضه إحياء يسار جديد الذي حذّرنا من أن آخر ممثليه كبار السن سيختفون، وأصرّ على تحمّل المسؤولية في عملية بناء يسار جديد، يهدف به إلى طرد المعاناة والإستغلال يصبو نحو مجتمع ثابت في عالم متحرك –سائل بلغة باومان– يسعى موران إلى إنقاذ اليسار والإنسانية ومحاربة الإستبداد والبحث عن الحقيقة الفعالة، فالسياسة لا تحمل أي حقيقة غير الأفعال، وقد نجازف بالقول أن أفكار موران حول اليسار الجديد إنما انبثقت من مجلة الأزمنة الحديثة التي أسسها سارتر وسيمون دوبوفوار وموريس ميرلوبونتي، حيث ارتسم هذا الطريق عبر مشاهدات ممارسات العنف ضد الإنسانية، تشكّلت لديه صورة واضحة لتطوير نموذج للمجتمع يمكن أن يعتمد عليه والبحث عن بعض الأكسجين في فكرة المدينة الفاضلة.

إن اليسار الجديد الذي ارتسمه هو يسار ينتقد الستالينية بقوة كما ينتقد الرأسمالية وبهذا يقول موران "يجب أن نطوّر طريقة لا يمكن تشكيلها إلا من التقاء مسارات إصلاحية متعددة والتي من شأنها أن تؤدي إذا لم يفت الأوان إلى تحلل العرق المجنون والإنتحاري الذي يقودنا إلى الهاوية"[4] يدعو موران إلى مجابهة كل أشكال العنصرية وإقصاء الآخر ونشكّل سياسة جديدة، وبدعوة أن المعيار الأول للسياسة هو النجاح لا بد من ضبط النفس حتى نتوصّل إلى سياسة شرعية ممكنة، بيد أنه رغم كونه المعيار الأول إلا أنه ليس المعيار الوحيد لإفراد السياسة الشرعية، فالسلم يعطي معنى لوجودنا وينبذ العنف ويرسم الطريق الصواب إلى تأسيس ماهية سياسية، يقر موران أن كل شيء يحتاج للتغيير والإصلاح "وجميع الإصلاحات مترابطة وتعتمد على بعضها البعض، دعونا نوضح هنا وبشكل تخطيطي فقط طرق إصلاح الديمقراطية، الديمقراطية

[1] - Edgar Morin, Ce que serait « ma » gauche, Op Cit.
[2] -IBid.
[3] - IBid.
[4] - IBid.

البرلمانية مهما كانت ضرورية فإنها غير كافية سيكون من الضروري تصوّر واقتراح أنماط الديمقراطية التشاركية لا سيما على المستويات المحلية"[1].

إن الإشارات التي سبقت حول مستقبل الديمقراطية في كتاب تربية المستقبل إستأنفها موران هاهنا، ويدعو إلى الثقافة الجماهيرية وإلى إنارة الرأي العام وعدم تغليطه، يجادل موران أن في إصلاح الأسس السياسية يجب أن يكون إرساء اليسار ليعم الكل ولا يتقوقع داخل جدران الأحزاب السياسية فتعم الطبقة في المعرفة وفي السياسة، يدعو موران إلى أنه "قد يكون من المفيد في نفس الوقت تعزيز صحوة المواطن والتي هي في حد ذاتها جزء لا يتجزأ من تجديد الفكر السياسي وكذلك في تدريب المناضلين على حل المشاكل الكبرى"[2] يؤكد موران أنه ضد الإستحواذ على المعارف في بنوك المعلومات بحيث لا تكون في متناول المناضلين الذي يعتبرهم موران أساس وركيزة يجب التعويل عليها، إنبنى هذا الموقف من التهميش الذي يعانيه الشباب، والمناضلين الذين يحلمون بفرص حياة أفضل، يجب تدريبهم على مقارعة المصاعب، وإيلاجهم في العمل السياسي مع أهل الخبرة والمتمرسين السياسيين، وذلك بعد تكوينهم، يدعو موران إلى إمكانية قيام يسار جديد "سيكون من المفيد زيادة عدد الجامعات الشعبية التي من شأنها أن تقدّم للمواطنين مقدمة عن العلوم السياسية والإجتماعية والإقتصادية"[3] هنا نلفى دعوة صريحة من موران إلى ضرورة لم المعارف وإنهاء عصر التذرير الذي أعاق المعرفة، يدعو إلى تعميمها وتمكينها من عموم الشعب بيد أن هذا التعميم للمعرفة يستوجب أن يردفه "سيكون من الضروري تبني وتكييف نوع من التصوّر الكونفوشوسي الجديد في وظائف الإدارة العامة والمهن ذات المهمة المدنية كالمعلمين والأطباء"[4] يرى موران أن الإنكماش الأخلاقي الذي تغلغل في الإدارات العامة والمهم ذات الطبيعة الإنسانية وسنقدّم هذا التوجه أكثر في مبحث التربية.

ركّز موران على أخلقة الإدارة وهي من الحلول المستقبلية التي سترسم مستقبل سياسي يمكن التعويل عليه، فعلى الموظف أن يتسّم بأخلاقيات الرحمة والإحساس بالآخرين ويتفانى في خدمة الصالح العام، ويحرص على تقويم أسس العدالة والإنصاف، يبدو أن موران قد اضطلع في ارتسامه لأزمة الغرب الأخلاقية التي فتكت ولا تزال تنهش جسد الحضارة التي عوّلت على معايير العقل لترتسم طريقها نحو التحضّر، إن الدعوة إلى كونفوشوسية الإدارة إعتراف صريح من موران على التأزم وهو ما أشار إليه مفكرين من روسو إلى جون راولز، مرورا بمتتالية أزولد شبنغلر وفلاسفة مدرسة فرانكفورت، يقول موران " دعونا نعد بداية جديدة بربط السلالات الثلاثة الليبرتارية الإشتراكية والشيوعية بإضافة الضغط البيئي في الرباعية، من الواضح أن هذا يعني تحلّل الهياكل الحزبية القائمة وإعادة تشكّل رئيسية وفقا لطبيعة واسعة ومفتوحة ومساهمة لفكر سياسي متجدد بالطبع"[5] إنّ هذا الإقرار يعيدنا إلى ماركس الشاب الأخلاقي الإنساني وأخذ موران على عاتقه

[1] - Edgar Morin, Ce que serait « ma » gauche, Op Cit.
[2] - IBid.
[3] - IBid.
[4] - IBid.
[5] - IBid.

مهمة إحياء ماركس في الحاضر الذي تمّ طمسه، من قبل ستالين والإتحاد السوفياتي، ماركس الذي رفض كل أشكال الإستبداد والإستغلال، قاوم الرأسمالية وأرسى أسس أخلاقية تعيد كرامة الإنسان المهدورة.

سعى موران في تشكيل عالم أفضل عبر ولادة جديدة عالم من نوع جديد تماما، سيكون من الممكن ربط تقدمية الإصلاح مع راديكالية الثورة، إنبهر موران بالماركسيين التحريفيين –روزا لوكسمبورغ– الذين تجاوزو الأزمة الماركسية، يمكن الإشارة إلى خروج الكثير من الماركسيين من الماركسية في فترة حكم ستالين لأنهم إعتقدو أن الستالينية تطبيق للنظرية الماركسية، بدأت الأزمات تلج الماركسية، ولعل أبرزها وجود من يطابق بين الإتحاد السوفياتي والماركسية، لم يغفل موران عن كل ما اختلج الماركسية وأفضى إلى إرساء مقاومات تعاونية، يؤكد موران على أنه "يجب أن نقاوم الهمجية المتزايدة لكن يجب أن تغذي (لا) المقاومة ب(نعم) لتطلعاتنا، إن مقاومة كل ما يحط من قدر الإنسان من قبل الإنسان والإستعباد والإزدراء والإذلال، تتغذى على التطلّع ليس إلى أفضل ما في العالم كله بل إلى عالم أفضل، هذا الطموح الذي لم يتوقف عن الولادة والولادة من جديد عبر تاريخ البشرية.. سوف يولد من جديد"[1] إن المشروع الموراني إنما يتقوّم في هذا الإعتكاف على محاولة إحياء التراث الماركسي الإنساني فمن المعروف أن موران يشخّص شرور حضارتنا وآلامها، يسعى إلى محاولة إرساء هذه الأسس السياسية في ما أسماه سياسة الحضارة التي ترتسم مع أوامر السياسة الحضارية في المبحث الرابع من هذا الفصل.

خلاصة الفكر أن موران قد سعى إلى إرساء يسار جديد عبر تثقيف الرأي العام وجعل المعرفة عمومية لا تستحوذ عليها بنوك خاصة بهذا تنقلب كل مزاعم الرأسمالية التي تهدف إلى إستبعاد كل ماهو خطر عليها، تمّ تحوير الحياة لتغدو في خدمة الإقتصاد والربح من هنا توجّب بناء المقاومة لإنقاذ المنهج من التبسيط والحياة من العدمية ووضع الحد للخطر الشمولي الذي سرعان ما دفع بالعالم إلى هيكلية بلا روح ولا إنسانية على جميع المستويات، فيجب بناء يسار يتماشى مع المهام الجديدة التي نتطلع إليها في زمن وسمه بالأزمة، إن اليسار مفهوم معقد بمعنى هذا المصطلح يضم في وحدة وتعددية وتناقضات، والتطلع إلى تحرير المستضعفين والمهانين والدفاع عن حقوق الرجل والمرأة، وهكذا تنقلب المآساة إلى سعادة من أجل بناء مدينة كوكبية فاضلة والخروج من العصر الكوكبي الحديدي الذي فقدنا فيه الشعور بالحياة، هكذا ارتسمت ملامح الفكر السياسي ومستقبله عند موران من خلال بلوّرة توجّهه السياسي الذي لم يغفل فيه عن أهم الأحداث السياسية في القرن العشرين بالأخص في شقّها الماركسي، هذا التوجّه الذي أردفه بإيضاح الديمقراطية والأزمة التي تغلغلت فيها، ثم إستشراف مستقبلها السياسي، ثم أفضت إلى ارتسام ملامح اليسار الجديد الذي كانت دعوته رد الإعتبار للإنسان من تغوّل الرأسمالية وبناء ثقافة جماهيرية بمعناها الإشتراكي بهذا نتوجه في السياسة بكونها المنطلق الموراني إلى التربية باعتبارها أحد مكوّنات مشروعه الفكري من خلال رباعيته البيداغوجية.

[1] - Edgar Morin, Ce que serait « ma » gauche, Op Cit.

المبحث الثاني: إصلاح واقع التربية: أو التربية بين الموجود والمأمول:

أولا: في تحديد موضع العلة:

كثيرا ما نعثر في مؤلفات موران على تنبيهات حول التربية، وأزمتها على شاكلة "العقل المحكم" 1999 و"المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل" 2000 و"السبيل" 2011 و"تعليم الحياة" 2014، إن الأمر يتعلق بضرب من الأزمة التي أصيبت به أهم سلك في المجتمع، على هذا الأساس قام بتناول أزمات التربية على نواحي كثيرة، فمن الجدير بنا أن ننبه أن موران قسّم هذه الأزمات إلى تحديات وعوائق إستعسرت على التربية تحقيق مراماتها، على هذا الأساس ولتذليل هذه الإشكالية حاولنا تقسيم هذه الأزمات إلى قسمين أساسيين:

أ: أزمات بيداغوجية: إضطلع موران في تبيان الحقيقة البيداغوجية المتأزمة ويعبر عن مدى تعقد الوضعية التعليمية خاصة بعد نهاية القرن التاسع عشر– حسب مقولة موران– "الثقافة والعلوم قد غادرت الموسوعية مثلما كانت في القرن التاسع عشر وخاصة منذ القرن العشرين نحت نحو ثقافة التخصص"[1] فالتحوّل الرهيب إلى ثقافة التخصّص أفقد الإنسان الشغف في تحصيل المعرفة، هذا المنحى التخصصي الذي أنتج أخطر نتيجة؛ وهي عدم مجابهة تطور المعرفة اليوم، المعرفة التي غدت تنتج هذا الكم الهائل من المعارف، توجّه موران إلى الإنكباب لمساءلة هذا التوسّع المعرفي الذي تجاوز حدود القدرة البشرية "فالإزدياد غير المنقطع للمعارف يؤسس لبرج بابل ضخم يعج بلغات متنافرة، وهذا البرج يسيطر علينا لأننا لا نستطيع السيطرة على معارفنا"[2] إنه في هذا المستوى بالذات يمكن لموران أن يقدم هذا الإعتراض الذي أسس لأزمة شرخ في المؤسسات التعليمية أودت إلى غياب الفهم الصحيح لمعارفنا الراهنة وهذا بلوّر لثقافة جديدة أودت إلى سيكولوجية معرفية قادتنا إلى ما وسمه موران بالثقب الأسود في التربية، بالإضافة إلى كل ذلك، علينا أن نحدق في تساؤل فرض نفسه بصيغة لا مناص منها وهي كيف يمكن لنا التحكم في كل تلك المسائل التي يتم طرحها علينا؟ هذا التساؤل لا مشاحة في اعتباره الخيط الهادي الذي سيحل لنا شفرة الأزمة البيداغوجيا التي سنتناول حلولها في الجزء الثاني من هذه المحطة.

ينطلق موران في فحص نقطة مركزية أشكلت على المعرفة المعاصرة ولعلها النقطة التي أفاضت الكأس وهي الفصل بين العلوم العلمية والتقنية من جهة والعلوم الإنسانية فهذا الفصل هو ما ألمّ بالمعرفة، ووجه الطرافة هاهنا أن موران وجّه أصبع الإتهام بلا مواربة إلى "رونيه ديكارت" "صاغ ديكارت هذه المنظومة المسيطرة على الغرب عن طريق الفصل بين الذات المفكرة والشيء الممدود أي الفصل بين الفلسفة والعلم"[3]،

---

[1]– إدغار موران، العقل المحكّم إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير، تر: المنصف وناس، معهد تونس للترجمة، تونس، 2020، ط1، ص13.

[2]– المصدر نفسه، ص16.

[3]– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص17.

في حين الثقافة الإنسانية التي ترى التقانة "كتلا مجتمعة من المعارف المجردة والمهددة لنا"[1] فهنا إستلزم الوضع التكشيف عن مدى خطورة هذا الشرخ المعرفي الذي أصاب البيداغوجيا.

ب: أزمات فككت التعليم والتربية: إن علينا أن نفحص الآن عن المكمن الثاني الذي ساهم في تفكيك التربية، وإرتأينا أنه يقبع في مقامات شتى، بعد أن أتينا على إيضاح العوائق البيداغوجيا، ها نحن ذا ننبه إلى مشاكل تغلغلت في التربية أولجتها في ربقة الأزمة ولعل العنف المدرسي يكون فاتحة ممكنة لإفتتاح هذه المشاكل، هذا الذي رآه موران ينطبق على المعلم والمتعلم على حد سواء كما بيّن في قوله "عندما نتحدث عن أزمة التربية يتبادر إلى الذهن أولا الجوانب الجلية للفظ العنف المدرسي في كل معانيه، ثم نفكر في الصراع داخل الفصل"[2] فالشتيمة والإهانة والطرد من الفصل وغيرها من المشاكل التي نجدها بين المعلم والمتعلم أضرت بالتعليم وفي صياغة معنى التربية الحقيقي، هذه الأزمة باتت بشكل يومي في مدارسنا ومؤسساتنا التربوية.

إن الإنكباب الذي غدا المتعلمين يتوجهونه بات مقلقا فالفصل الصارخ بين المعارف التي يتلقاها من المعلم والتي يتلقاها من الأنترنت بات يشكل نوعا من الخطورة التي تستوجب إستبصارا لها، ولعل هذا الإشكال يطرح بشكل أوسع في الأوساط الجامعية على وجه الخصوص فالاضطرابات المتكررة، والهجر المتزايد للدروس والتعويل على Google و Wikipidia "لقد كانت وسائل الإعلام قبل الإنترنت وبصفة خاصة التلفزة، مدارس متوحشة تنافس المدرسة العمومية، أما اليوم فإن الأنترنت هي الموسوعة التي تكون فيها المعارف كلها على ذمة الشاب المبحر الذي يقابل معرفته المتأتية من Google بتلك التي يقدمها له أستاذه"[3] إن غرض موران هاهنا هو أن يبين كيف أن التعليم أصبح في مهمة جديدة هي مهمة إثبات الذات، خاصة أنه غدا يتلقى منافسة جريئة من الأوساط الإعلامية والشبكات الإلكترونية التي تستهدف الشباب، وتقدم نوع جديد من التوعية التي تريدها جهات معينة، ولعل الإشارة هاهنا إلى المفكر بيير بورديو بات ضربا من الوجوب فلعل مصطلح "عنصرية الذكاء"[4] فهذا المصطلح يقترب جدا مما طرحه موران في هذا الشأن، فالتعليم الذي غدا موجها من طرف المستغلين لها.

إنّ من مجمع العوائق التي حاولنا إستحضارها هاهنا الأزمة الإقتصادية التي تستهدف الجامعة، وإخراج الجامعة من السياق الإقتصادي، فغدت تدفع الآف الطلبة إلى الواقع المأزوم الذي يستهدف كرامتهم ولعل الخطر الجامح الذي قدمه موران في كتابه تعليم الحياة "وأما الطلبة فهم الذيّن كانوا مهددين بالسيدا أثناء

---

[1]– إدغار موران، العقل المحكّم إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير، مصدر سابق، ص17.

[2]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان من أجل تغيير التربية، تر: الطاهر بن يحي، منشورات ضفاف، بيروت، 2016، ط1، ص55.

[3]– المصدر نفسه، ص 57.

[4]– بيير بورديو، أسئلة علم الإجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، تر: إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995، ط1، ص284.

الدراسة، أصبحوا مهددين بالبطالة في نهاية دراستهم"[1] قصد موران هنا ليس إيضاح أن البطالة هي ما ينتظر الطلبة فقط، بل أيضا خروج الوسط الجامعي من الإسهام في تأسيس القرار السياسي؛ فبعد أن كانت الجامعة هي من مؤسسي وصناع القرار السياسي والإقتصادي غدت مسيّرة وموجّهة غير مرحب بها في تلك الأوساط السياسية والإقتصادية.

بيد أن هذا الرسم العام لن يكتمل قوامه إلا بإبراز أزمة العلمانية التي نذرت نفسها لتحقيق الإستقامة التعليمية منذ بداية القرن العشرين، فظهور المساجلات التي قدمت في المدارس بسبب الحجاب كان له الأثر في بروز هذه الأزمة "كذلك فإن اللائكية، وهي فضيلة أساسية للتعلم وللجمهوريّة لهي في أزمة أيضا فالمساجلات حول الحجاب الإسلامي والرموز الدينية في المدرسة تبيّن أن أنصار اللائكية منقسمون، فمنهم من يدعو إلى التسامح الناجع في شأن إدماج الفتيات الحاملات للحجاب في التعليم اللائكي، ومنهم من يدعو للصرامة"[2]، فالتعليم اللائكي بعبارة موران إجتاحته الأزمة من عدة جوانب، ومكمن الجدل عند موران لا يكمن في طبيعة خطورة الدين على التعليم، بقدر ما كان أن الأزمة في جوهرها انبثقت من طبيعة اللائكية – العلمانية – بحد ذاتها فمنذ نشأتها في بداية القرن العشرين كان المعلم يؤمن بفكرة الأنوار، فلعل تغيير العلمانية كما أقر بذلك تشارلز تايلور "يجب على الدولة الحديثة عدم التدخل في البت في أحقية المعتقدات الدينية، وألا تعمد في الفصل في بطلان الواحدة وأحقية الأخرى"[3] فهذا التغيير الذي أقر بإمكانية الإختيار، فأصبحت العلمانية اليوم لا تفرض شييء ولا تنفي شيء، هذا بحد ذاته يعتبره أزمة لا يمكن الفكاك منها.

ثانيا: مقترحات موران للإنفكاك من الأزمة:

لسنا هنا لنمتحن متانة حلول موران، غير أن الضرورة إستدعت التكشيف عن الحلول التي إقترحها للإفلات من عنق الأزمة التي ولجت التربية فيها، وحاولنا تعقب الطريق الذي سلكه في اشتغاله على إيجاد هذه الحلول، بيد أن هذا المسلك المتوعر الذي ولجناه أوصلنا إلى التعبير بشكل أكثر جدية عن الحلول التي إرتآها موران، رب طريق إستحضرناه أتى إليه موران بعد التكشيف عن جوهر الأزمة التي تعاني منها التربية التي أولجتنا في غيابات اللا فهم، هذه الأزمة المتمثلة في سياقين تم التعبير عنهما في الشق الأول من المبحث، فغدا التساؤل الذي سنحاول الإبانة عنه هاهنا: كيف نصل إلى أخلاق الفهم في التربية؟ هذا ما سيتم معاينته في هذا الشق الثاني وينطوي على :

أ: معرفة الخطأ والوهم، أو إنكشاف زيف المعرفة: إنّه من أجل النهوض بهكذا إشكال إنما ساهم موران في بلورة الكثير من المؤلفات لهذا الغرض، فعلينا إنتظار فحوى كتاب تربية المستقبل سنة 2000 الذي بيّن فيه

[1]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان من أجل تغيير التربية، مصدر سابق، ص 58.

[2]– المصدر نفسه، ص58.

[3]– سايد مطر، مسائل التعدد والإختلاف في الأنظمة الليبرالية الحديثة، مدخل إلى أعمال تشارلز تايلور، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، 2015، ط1، ص176.

موران أن المعرفة التي تقدم في المدارس يجب أن تنظّم وتعرّف، فيجب معرفة أن المعرفة التي تقدّم تحوي على كل أشكال الخطأ والوهم، فلعلّ الإبانة التي قدمها في كتابه "على التربية أن تبين كيف أنه لا وجود للمعرفة، مهما كان مستواها، في منآى عن الخطأ والوهم"[1] بيّنت أن هذه المعرفة بحاجة إلى تمحيص حقيقي فكون المعرفة تستخلص من ترجمات الحواس التي تتلقاها، فهي ليست بمنآى عن خداعنا، كما افترض موران أيضا أن العقل الذي ينظم هذه المعارف المتلقاة من الحواس بواسطة الفكر واللغة ما انفك يقع في نفس القضية وهي الخطأ، وفي هذا السياق يمكن إستنباط مفهوم موراني لتبيان زيف المعرفة "الآلاعيب المزدوجة للمعرفة"[2] فالحال أننا نمتطي الخطأ ونشتغل عليه، فالمعرفة والخطأ متواشجان وخطان لا ينفصل بعضهما عن بعض، على هذه الشاكلة يمكن صياغة معرفة تعترف بالخطأ يتغلغلها وتحاول إظهاره وتبنيه كمنطلق معرفي جديد.

ينبّه موران بقوة إلى أنه لغاية مطية العلم يستوجب إستعاب الثورتين العلميتين الكبيرتين التي تمخض عنهما القرن العشرين ذلك لكي يتسنى لنا إستجلاء دلالة العلوم التي نحتاج لها "الثورة الأولى التي أفتتحت في مجال الفيزياء بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية الذي اكتمل فيما بعد مع الفيزياء المجهرية والفيزياء الكونية مسقطة بذلك قانون الحتمية بمبدأ الفوضى، أما الثورة الثانية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين فقد عملت على إعادة ربط التخصصات المنفصلة حتى ذلك الحين، وينطبق ذلك على علوم الأرض والكوسمولوجيا، وبخاصة الإيكولوجية العلمية التي يجب أن تربط المعارف الفيزيائية والجيولوجية والمناخية بالمعارف البيولوجية (علم الأحياء الميكروبية، علم النبات وعلم الحيوان)"[3] بيد أن هاتان الثورتين رغم الطفرة التي حققتاهما إلا أنهما غير مكتملتان فهما تفتقران إلى ثورة إبستمولوجية جديدة، رب ثورة تجمع هذه العلوم مع العلوم الإنسانية التي تم تحييدها والإستغناء عن الإشتغال بها مستشهدا بمقولة هيرقليدس "يناموون مستيقظين" أو بمقولة هيغل "على فكرنا أن يحوي الأضداد"، فالعلوم التقنية ألغت التاريخ والفلسفة بحجة أنهما ترف فكري لا حاجة لنا به، وهنا مكمن الإشكال الذي أزّم التربية وساهم في بلورة ما نحن عليه من إختلال وانفكاك في كل النظم التربوية حسب موران.

إنطلق موران من فكرة مركزية إشتغل عليها كارل ماركس، رب فكرة الغاية منها إضمامة العلوم لتحقيق الغاية الإبستمولوجية الكبرى التي سعى وراءها موران، لم يتورع ماركس في الإقرار "سوف تحتضن العلوم الطبيعية العلوم الإنسانية، كما سوف تحتضن العلوم الإنسانية العلوم الطبيعية"[4]، هذه المعرفة التي تم إفتتاحها في الفيزياء المعاصرة، فموران نادى بضرورة الفكر المركب الذي يجمع المعارف فالإنسان عند موران كائن فيزيائي وبيولوجي ونفسي وثقافي واجتماعي وتاريخي فهذه الوحدة المركبة للطبيعة الإنسانية هي

---

[1]– إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص21.

[2]– إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة ج3، مصدر سابق، ص207.

[3]– إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص209.

[4]– المصدر نفسه، ص209.

ما يعبث بها التعليم في مختلف المواد المدرسية فالغاية الكبرى التي يريد موران تحقيقها هاهنا هو الجمع بين المعارف وتأسيس ما يسمى الثقافة الثالثة التي تجمع العلوم، رب غاية وجه الطرافة فيها المراوحة بين العلوم، ولم يغفل موران هاهنا العلوم السياسية والمشاكل الإتيقية " ونظرا للمشاكل الإتيقية والسياسية التي تطرحها التطورات المعاصرة في العلم لم يعد بالإمكان الإبقاء على الفصل بين العلم و الإتيقا الذي كان ضروريا خلال القرون الأولى للعلم الغربي"[1]، هنا نعثر على آمارة واضحة للمشروع الموراني الذي يحاول بناء إبستمولوجية جديدة تنبثق من الفكر المركب وتحاول لم شمل العلوم، بهذا نخلص إلى تبيان أن المعرفة تحتاج إلى فك شفرات ورموز الوهن والخطأ التي تحويها وهذا بيت القصيد من هذا المبحث.

ب: الفهم كأسلوب تربوي : أخذ موران في التفتيش عن ما يقارب التربية فوجد ذلك متمحورا في الفهم، هذه الصبغة كانت شغلا ارتسمه وحاول تتبعه، ووظيفة المدرسة التي أبان عنها فيما تمّ ذكره أعلاه، فالتربية بكونها أحد الفروع التي إعتلّت بسبب الأزمة "كل شيء في هذا العالم يعيش أزمة، وملامح اللايقين تكبر في كل مكان"[2] فهنا يكمن الجرح، ولعل موران إنتبه إلى الترياق المتمثل في الفهم، يقر موران في الجزء الأخير من موسوعته المنهج " الخوف من الفهم هو جزء من عدم الفهم"[3] النتيجة النهائية التي خلص إليها موران في تحديد ماهية للفهم؟ ينطلق موران من مقاربة مهمة مفادها "تكمن المشكلة في فهم: ما الفهم؟"[4] بيد أن وجه الطرافة هاهنا أنه لم يقدم معنى حقيقيا ومفهوما واضحا وصريحا للفهم، بيد أنه حدّد معالم شاملة للمفهوم، بحيث أقر أن الفهم هو الأخذ بحقيقة ما يدور حولنا، وإدراك المسائل التي تطوف علينا هاهنا وعلى هذا الأساس حدّد نوعين من الفهم العقلي أو الموضوعي، ويعني بذلك رصد الموضوع الذي تحدّده عقولنا والفهم الإنساني البين ذاتي بحيث نتوفر على فهم لكل انفعال إنساني، هذا الفهم يمكن القول عنه أنه مزدوج، من حيث تدبرنا للموضوع الإنساني وإحساسنا بشعور الموقف، إن علينا أن نقف الآن عن المعنى الدقيق للفهم، وعلى هذا الأساس تم تقسيم هذا الجزء إلى قسمين أساسيين لعلنا نستخلص المراد من الفهم الذي يبتغي موران تحديده:

عوائق الفهم: إن المتأني في قراءة موران لن يكف عن متابعة مطبّات الفهم في متونه، بيد أننا نعتقد أن موران قد جمع هذه المعيقات في كتابه تربية المستقبل، ولعل التقسيم الثنائي لهذه المعيقات ستكون المسألة الحاسمة في هذه المباحثة للخروج من مسألة المماثلة إلى الإختلاف بينها فموران قد شيّد نوعين من المطبات هاهنا أيضا حاولنا الإلمام والإشارة إليها كما يلي:

---

[1]– إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص209.

[2]– إدغار موران، إلى أين يسير العالم، مصدر سابق، ص41.

[3]– إدغار موران، المنهج الأخلاق، ج6، تر: يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2021، ط1، ص125.

[4]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان من أجل تغيير التربية، مصدر سابق، ص 67.

عوائق خارجية: إن صياغة هذه العوائق شملت الفهم العقلي أو الموضوعي فقد رسم رؤية واضحة للتكشيف عن هذه المطبات، بحيث رصد "الضجيج الذي قد يشوّش على نقل الخبر، ويؤدي إلى سوء الفهم"[1] حيث دأب موران على إظهار كيف أن الضجيج قد يعيق نقل الخبر، وعكف على تبيان كل عوائق الفهم، ووجه الحق هاهنا أن نبيّن أن الفهم الذي رصدناه عنده لا يتعلق بالتربية فقط، بل بكل أشكال الفهم الإنساني وحدّد عوائق الفهم "تعدد معاني مفهوم ما، فقد نقول مفهوما قد يعطي للآخر مفهوما مغايرا تماما، وكذا الجهل بطقوس الآخر وخاصة طقوس المجاملة، وثمة عدم الفهم اتجاه القيم الإلزامية المتعلقة بثقافة مغايرة، وعدم فهم اتجاه القيم الأخلاقية المغايرة، وبالأخص عدم فهم بنية عقلية لبنية عقلية مختلفة"[2] من أجل ذلك فهذه المعيقات تحدق في الإختلاف بين القيم في المجتمعات الثقافية والتربوية وغيرها، وهذا يشكل طريقا ثابتا نحو اللا فهم.

عوائق داخلية: إن غرضنا هاهنا هو تحديد كيف يمكن للإنسان أن يكون ضد نفسه؟ ولهذا الغرض جاء القسم الثاني من العوائق لندرك مدى تغلغل الوهم في المعرفة، ولعل العائق الأول الذي حدده موران والمتمثل في التمركز حول الذات قد بيّنت كيف إنكمشت الذات على ذاتها، وسنقول بلا مواربة أن هذا العائق قد حدد الجزء الأهم من معيقات الفهم الداخلية " تؤدي نزعة التمركز حول الذات إلى الكذب على الذات، وهذا ناجم عن اللجوء إلى التبرير الذاتي وإلى تزكية الذات، وإلى جعل الآخر مصدر كل الشرور"[3] إن القصد من هذا التخريج كان لإبراز مدى تعلّق الذات الغربية على وجه الخصوص بنفسها، وهذا ما لا يحول لعدم فهم الغير فقط، بل واعتباره مصدر كل الشرور، أما العائق الداخلي الثاني الذي أشار إليه موران هو المعنى الذي قادنا إلى فك رموز المركزية الغربية وهو عائق الإحتكام إلى المجتمع والعرق، أو بلغة منطقية مغالطة الإحتكام إلى السلطة وهاهنا تنمو العنصرية وتقوم نزعات الإضطهاد الإجتماعية "تؤدي إلى أنواع مختلفة من كره الأجانب ومن النزعات العنصرية، والتي يمكن أن تصل إلى حدود نزع صفة الإنسان من الأجنبي"[4] وعلى ذلك، فهذا العائق الذي يكتنف الثقافات والذي ساهم في بلورة الصراعات والحروب وكل ماهو مفني للإنسانية، أما العائق الثالث والأهم والمتمثل في الفكر الإختزالي فإختزال المعارف في إطار ضيق ينشئ رغبة في محو الكل، فالإنسان كما سبقت الإشارة هو كل مركب، فيزيائي بيولوجي أخلاقي ثقافي وإجتماعي فكيف نفسر الإختزال لنوع واحد من ذلك وإلغاء الكل "إن إختزال معرفة ما هو مركب في واحد فقط من عناصره، نعتبره وحده دالا عليه، يؤدي إلى نتائج وخيمة في المجال الأخلاقي أكثر من المجال الفيزيائي"[5]، فهذه الصياغة ستحدد وسترسم لنا الطريق بصفة واضحة نحو إنكماش للإنسانية.

---

[1]– إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص89.

[2]– المصدر نفسه، ص89.

[3]– المصدر نفسه، ص90.

[4]– المصدر نفسه، ص91.

[5]– المصدر نفسه، ص91.

رسم حدود الفهم: إن مطلبنا هاهنا هو رسم طبيعة الموضع الذي يستوجب أن يتواجد فيه الفهم، فلعل أول ما يدعونا إليه الفهم هو فهم اللافهم الذي تناولناه آنفا، هذا الفهم بوصفه موضعا أساسيا في مبحثنا يقدم لنا مجموعة من الوصايا التي ترسم لنا الخريطة الكافية لتحديد معالمه، "ويدعونا الفهم إلى تجنب إصدار الأحكام القاطعة النهائية، وكأننا لم نعرف أبدا نحن القصور ولا الوقوع في الخطأ"[1] هذا البيان يبدو أنه يطلعنا في مناقشة الفهم بكونه مردودا إلى نواته الأساسية وهي التعقل، ففي الصيغة في المغالطة المنطقية الموسومة: المصادرة على المطلوب، نستخلص نفس المعنى الذي بحث عنه موران هاهنا، كان قد أشار إلى هذا الغرض بالتحديد في الكثير من المقامات، فلعل المقام الذي نستحضره هاهنا ما أقره في موسوعته المنهج "أصنام القبيلة، في فجر تطوّر العلم أدرك بيكون القيود الإجتماعية– الثقافية التي تنوء بثقلها على كل معرفة وأدرك ضرورة التحرر منها"[2] فالغاية الكبرى للفهم هي محاربة اللافهم، أو سوء الفهم.

إن هذا الإقرار الذي وضّحه موران، نعثر له على مقام خاص في التربية ، فحاول إيجاد أرضية المناقشة بين المعلمين والمتعلمين، إن علينا أن نستبصر المنهج التعقيدي هاهنا ونخص بالذكر مبدأ الهولوغرامي الحواري والذي يتحدد من خلال المقاربة القضوية التالية [الجزء موجود في الكل، والكل أيضا موجود من بعض الوجوه في الأجزاء] على ضرورة وجوب العلاقة الحوارية بين المتعلمين والمعلمين، فمرام موران هاهنا كان واضحا فلسنا بحاجة للفهم فقط لكي نقيم العلاقة التربوية، بل يستوجب إدخال لغة الحوار إلى المدرسة بكونه الصيغة النهائية الذي اتكأ عليه موران، فالإبانة التي أقرها في كتابه "لا بد أيضا أن نعزز قبل كل شيء أخلاقيات الفهم باعتبارها علاجا لأدواء التربية، ويكون ذلك عند المعلمبن والمتعلمين وبكيفيات مختلفة"[3]، في هذا الصدد أقر موران بضرورة الحوار وإقتحام المتعلم مصاف المعلمين، هذا البقر سيقيم علاقات بينهما تتسم بالصرامة المعرفية، ومن جهة ثانية سوف يتم فهم التلميذ، وسينتهي العنف الموجود بينهما، وحتى كسر العنف بين التلاميذ المتعلمين بحد ذاتهم، كيف سيقيم الأستاذ هذه المقاربة؟.

ينادي موران بضرورة تحويل العنف المترسخ في ذهنيات التلاميذ إلى صراع بين الأفكار والكلام، هذا الصراع سوف يخرّج لنا جيل يؤمن بالحوار والجدل والتفاهم لا العنف والهمجية. والمقصود بالصراع ليس بالمفهوم الماركسي أو الداروينيي كما يبدو من المفهوم أنه يحمل هذه الصيغة، بيد أن الصراع هنا يكون متجملا بروح التنافس بين التلاميذ، بحيث هذا التنافس هو الآمارة الكبرى للتعاون بين التلاميذ، ألا تعني هاهنا المحايثة؟، إذا سكتنا عن الوجه الحقيقي للمفهوم سيكون بإقتدارنا التحدث عن محايثة بين التلاميذ، وتأسيس ما يسمى ب"المناخ الدراسي" الجيد، يقترح موران إنكباب المعلمين على الإتكاء على مقام التحفيز الذي يصرف التلاميذ عن التعطيل والتسويف والإنقطاع عن التعلم، فالتحفيز بمثابة الخيط الهادي الذي

---

[1]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان من أجل تغيير التربية، مصدر سابق، ص 75.

[2]– إدغار موران، المنهج : المنهج الأفكار مقامها حياتها عاداتها وتنظيمها، ج4، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ط1، ص19.

[3]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان من أجل تغيير التربية، مصدر سابق، ص 78.

سيقوّم التربية هكذا سيكون قد رسم الظروف المواتية للتلميذ بيد أنه يستوجب رسم خطاطة أخرى للمعلم لكي تتضح الصورة بشكل أشمل فما هي النصيحة التي خطّها للمعلم؟إنه من أجل الوقوف على هذا التحديد ينادي إدغار موران بضرورة "إيجاد الطرق الكفيلة لوقايتنا من العنف، ولا بد لنا في هذا المجال من خصلة خاصة بالمدرّس يضعفها العنف والتشويش ألا وهي الرفق"[1] ولعل الرفق الخلة التي إعتبرها موران الركيزة الأساسية التي يستوجب أن يتحلى بها أصحاب السلطة، فامتلاك المعلمين لسلطة العقاب والقوة يسهم في نزوع التلاميذ إلى إفتعال ما يسد هذا النقص، وهاهنا بيت القصيد عند موران، بيد أن الرفق يسهم في تطبيب هذه المفارقة بنواحي يمكن الخلاص إلى حلول ليست ترقيعية بل حلول يتشبث بها التلاميذ.

إن تدبّر فكرة أن التلاميذ غدو تلاميذ الأنترنت ومواقع التواصل الإجتماعي وتبني مواقف أخلاقية تتباين عن تلك التي إنبنى عليها المربين، إنبرى موران لمعالجة هذه القضية حيث بيّن أن التلاميذ موسوعتهم اليوم هي الأنترنت وقد أوضحنا مدى خطر ذلك، إذا الرفق سيلغي تلك العقدة التي تم رسمها من طرف سلطة العقاب والطرد وغيرها التي يمتلكها المعلمين، طبقا للمقاربة المنهجية التي انتهجناها في هذ المبحث تستوجب الإشارة هاهنا أيضا أن الفهم لا يقتصر غرضنا تحديده في التربية فقط، بل الفهم يشمل الحياة بأصنافها، والإقرار الذي أقرّه موران في كتابه في الجماليات كان له وقع شديد التأثير "فهم الإنسان، وهو التعليم الذي يمكن القيام به بالتعاون مع تدريس العلوم الإنسانية"[2] فبالفهم نفهم الإنسان والحياة والمجتمع، بالفهم نتعلم معنى العيش والتعايش نتقبل الآخر المختلف، بهذه الصياغة نرتسم طريق للعيش المشترك.

ثالثا: إستبصار مستقبل التعليم:

إن المطلوب منا هو النهوض بالتعليم حتى يصبح الأفق الذي يبني المجتمع، ويفترض موران أنه بإمكاننا إقامة علاقة تواشج بين المعلمين والمتعلمين، إذ أسدى نصائح ستكون سارية لهما كشفها في متنه تعليم الحياة، ويصرّ موران على أن الحب هو المفتاح الذي سيفتح أبواب الإنسانية الموصدة مستندا إلى قولة أفلاطون: كي تدرس لا بد من الإيروس، يستوجب على المدرّس أن يكون مولعا بالتعليم وبالرسالة الإنسانية التي يحملها، وأن تعّمم هذه الرسالة إلى حب العمل –التلاميذ– فهذا الولع بمثابة الضامن الذي سيجعل المدرس مقبولا في الأوساط العامة " ذلك الواقع الذي عرفه المعلمون في الأرياف في النصف الأول من القرن العشرين فقد كانو كهنة اللائكية المقتنعين بأنهم يحملون الأنوار في وجه ظلامية القسّ، إنه ولع بالخير لدى الكثير من المدرسين في التعليم الثانوي الواعين والسعداء بدورهم الثقافي الذي لا مثيل له"[3] إن علينا أن ندقق جيدا في دلالة الإيروس الحب الولع الشغف التي يستخدمها موران في متنه دون تمييز، فهو في الواقع يركز على قبول الآخر وضرورة إدماج المهاجرين في بلده فرنسا ويقصد هنا: يهود الإمبراطورية الروسية ويهود

[1]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان من أجل تغيير التربية، مصدر سابق، ص79.

[2]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص112.

[3]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان لتغيير التربية، مصدر سابق، ص89.

الإمبراطورية العثمانية كما يستوجب إدماج الإسبان والإيطاليين والبرتغاليين والصينيين والفيتناميين والمغاربة والأفارقة.

إن الحب هنا يكون عبر تعليمهم الثقافة الفرنسية ويتم تعميم ذلك –فموران هنا إنما يتكلّم من مقام كونه في فرنسا– ويتم ذلك عبر إنهاء العنصرية التي تكون بين المتمدرسين الذين تم إدماجهم، يبين موران أن العلامة الفارقة في التعليم هي في لحظة الصراع الذي يتوجب على المدرّس أن ينهيه، عبر الحب والقبول، كما أن على المدرس أن يخضع التلميذ بسلطة التدريس، بحيث يتوجب إقامة جسور التواصل والتفاهم لا خلق فضاءات الصراع، يدرك موران أن الأزمات التي يعانيها المدرّس وبالأخص في التعليم الثانوي بسبب مراقبة الأسر وثقافة الإعلام والأنترنت التي تغلغلت في أوساط الشباب الذي نعلّمه، ما يودي في العموم إلى استسلام هؤلاء الأساتذة إلى سيطرة معنى الوظيفة التي تكفل العيش لا التعليم، كما رسم موران واقع الجامعة الذي لا يختلف كثيرا عن واقع الثانوي "أما في الجامعة فإن المدرسين ينغلقون في برج وظيفتهم ويكون بعضهم عرضة للتحدي من قبل الطلبة أسيري محرك Google للبحث، لذا يلجأ هؤلاء الأساتذة إلى تناول الحبوب المهدئة قبل الدخول إلى مدرجات الجامعة"[1] إن موران أشار إلى ضرورة إمتلاك العقل المحكم بدل العقل المكتظ المتراكم بالمعلومات، يجب التوجه صوب عقل قادر على طرح المشاكل ومعالجتها وأن يمتلك مبادئ تنظيمية تمكّنه من ربط المعارف وإعطائها دلالة ومعنى، وللحصول على هذه الملكة يجب تربية الأطفال على الشك الذي يشكّل نقطة الإنطلاق والبدء للنقد وكذا التربية على الإستعمال الحسن للمنطق ولغة المناقشة، إنه توجّه نحو الذكاء وتعلّم العيش بذكاء وحس سليم.

رسم موران معالم الطريق عبر الكشف عن كيفية التدريس في المراحل الثلاث سبق وأن أشار إليها في كتابه العقل المحكم وهي كما يلي:

أ: الإبتدائي: إن ما يهمنا هو كسر الجليد وجعل الفضول الركيزة الأولى للتعلّم "فبدل كسر الفضول الطبيعي التي هي خاصة بكل وعي يستفيق، يتوجب الإنطلاق من تساؤلات أولية: ما هو الكائن البشري؟ ما هي الحياة؟ ماهما المجتمع والعالم؟ ما الحقيقة؟"[2]، يرتبط مسار التعليم بالتعرّف على الكائن البشري ومساءلته واستكشاف طبيعته المزدوجة، الأحيائية والثقافية، هنا يتمرّس التلميذ على التدرّب على علوم الحياة وبهذا نستبصر تقوقع الكائن في مجالات كالعلوم الطبيعية –الفيزياء والكيمياء– إن إستبصار الفيزياء يحيلنا إلى معرفة مكانة الإنسان في الكون ونتعرف من خلال الطبيعة الثقافية الأبعاد النفسية والإجتماعية والتاريخية، يتوجب علينا أن نعلم أطفالنا تآلف وترابط العلوم وأنها منسجمة مع بعض، يجب أن نشرع في تعليم الأطفال قصة الكون ومغامرته التي بدأت قبل نحو 13.7 مليار سنة، إلى أن نصل إلى تكوّن مسألة الإنسان العاقل، كما يجب أن نعلّم أطفالنا طريقة فحص الأشياء بحيث يتوجب تعليمهم أن الأشياء ليست فقط أشياء بل هي

[1]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان لتغيير التربية، مصدر سابق، ، ص90.

[2]– إدغار موران، العقل المحكّم إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير، مصدر سابق، ص 101.

نظم مكوّنة لوحدة تربط أجزاء متباينة فهي ليست مغلقة بل تنفتح مع محيطها، إنه يستعسر علينا أن نتعرف على الأشياء إذا ما تمّ فصلها عن محيطها الذي ترتبط به فالشيء هو نظام حي يتفاعل مع بيئته وتفرض وجوده، وكذا الأسباب ويدعو موران هاهنا إلى ضرورة التخلي عن تعليم أبنائنا السببية الخطية ووجوب تعليمهم السببية الدائرية وبهذه السببية ستمكّن التلميذ من تعليم تعقيد الحياة والغوص في تعقّب هذه التعقيدات وأن الأسباب نفسها قد لا تعطي دائما النتائج عينها بل قد تختلف وتتباين في بعض الأحيان.

إنّ تعليم الحياة يمر عبر معبرين أساسيين أوله داخلي يمر عبر فحص الذات والتعرّف على ذواتنا من خلال عمليات التحليل التي يتعلمها الطفل، يجب أن يتوفر الطفل على تقنيات النقد الذاتي عبر تعليمه للأخطاء التي نقع فيها ونقتنع بها، أما المسار الخارجي فيجب التنبّه إلى ضرورة تعليم الأطفال وسائل الإعلام وهنا يقتضي الأمر ليس عبر تشهيرها بل عبر التعريف بأنماط إنتاجها حتى لا تبقى ثقافة متعالية لا يصل إليها، كما إهتم موران بالشق الهووي [الهوية] هنا حيث أدرج ضرورة تعليمهم اللغة الفرنسية من نحو وصرف وتاريخ وثقافة وثورة وغيرها من الرموز الهووية التي تعبر عن تماهي الطفل داخل أمه الكبرى ونقصد الوطن –فرنسا–

ب: الثانوي: ومن أجل أن التعليم الإبتدائي سيكون باكورة التعليم، فإن التعليم الثانوي سيكون المفتاح الذي سندخل به إلى العالم عبر تعلّم المعارف الحقيقية التي ستكوّن شخصية الإنسان المتعلم "سيكون التعليم الثانوي مجال تعلّم ما يجب أن تكون عليه الثقافة الحقة، تلك التي تقيم جسور الحوار بين ثقافة الإنسانيات والثقافة العلمية، ليس فقط من خلال إعمال الرأي حول مكتسبات العلوم وصيرورتها لكن من خلال اعتبار الأدب مدرسة حياة يتوجب أن يلعب التاريخ دورا رئيسا بأن يسمح للتلميذ أن يمتزج بتاريخ أمته .. وفي مجال أوسع تاريخ البشرية"[1] يجادل موران أن مجال الإنسانيات وبالقدر الذي تم التضحية به يستوجب أن يتم تعظيمه بكونه الأساس الذي يعلمنا العيش بالكيف لا بالكم، كما ينوه موران إلى ضرورة تعرّف المدرسين عللى ثقافة المراهق وعدم إحداث الاختلالات وتشكيل الصراعات معه والتغذية من المشارب التي يتكوّن منها؛ أي من الأفلام والمسلسلات والروايات، يتوجب على المدرّس بناء أواصل المحبة مع المراهق لا الفصل والنزاع فموران على بيّنة من الإختلاف بين الثقافتين المختلفتين.

ج: الجامعة: يلجأ موران هنا أيضا إلى الجامعة بكونها المخزن الذي يحوي المعارف وتنسجم مهمتها بين توليد وإحياء وتقويم ومحافظة على الإرث الذي يشكّل ثقافة وهوية الدولة، وبه وعبر الحاضر نمر من الماضي إلى المستقبل، يدعو موران إلى إنقاذ الجامعة من الجمود الدغمائي وأن يكون دورها إقامة التواصل بين الثقافتين العلمية والإنسانية، على الجامعة أن تكون الأفق الذي يعكس المجتمع "فهي مجعولة لمساعدة المواطنين على عيش مصيرهم هنا والآن، فهي تنمي إستقلالية الضمير والقدرة على الأشكلة وأسبقية الحقيقة على النفعية ... على الجامعة أن تتأقلم في الأن نفسه مع حاجيات المجتمع وأن تنجز مهمتها العابرة

[1]– إدغار موران، العقل المحكّم إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير، مصدر سابق، ص 105.

للأجيال، مهمة الحفاظ على التراث الثقافي ونقله واثرائه، تراث دونه سنكون ماكنات للإنتاج والإستهلاك.. يجب أن نتباحث التاقلم مع المطالب الإقتصادية والإدارية"[1] بذلك يتوضح أن البنية الأساسية للجامعة تستوجب أن تبقي الطالب متعاضد مع كل النظم الموجودة خارج أسوارها، وبالأخص السوق كي لا تختلف الأسس بين ما هو موجود وما ينبغي أن يوجد، ينبهنا موران إلى خطورة العواقب التي ستودي إلى فصل المعارف الإنسانية والمهتمة بالتقانة وضرورة ادماجهما حتى نبني إنسان حقيقي لا يفصل ولا يختزل، ولأجل هذا الغرض كانت دعوة موران إلى ضرورة إنشاء كليات ومعاهد جديدة في الجامعة تكون متعددة التخصّصات وبالأخص علم البيئة وعلم الأرض وعلم الكون التي لا تدرس علوما فحسب بل هي نظما معقدة، أشار موران إلى امكانية إقامة فرعا مشتركا بينهم مع إضافة للفلسفة التي نحتاجها لكي يتسنى لنا الحفاظ على الغرض الأسمى والمسعى الموراني الأكبر وهو عدم الفصل بين التخصصات العلمية والإنسانية.

يدعو موران إلى امكانية إنشاء كلية للمعرفة تشمل الإبستمولوجيا وفلسفة المعرفة والعلوم العرفانية، لن نغفل أيضا عن الإقرار الموراني بتفكّك العلوم الأحيائية بيد أنه لم يسهو عن الدعوة إلى ضرورة إقامة كلية الحياة، كما لم يتردد في الدعوة إلى امكانية قيام كلية للإنسان تنضوي ضمنها علوم ما قبل التاريخ والإناسة الإحيائية والإناسة الثقافية والعلوم الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية وافترض أنه بامكاننا إدماج إشكاليته الخاصة : الفرد المجتمع النوع، إلى فروع هذه الكلية، يدعو موران إلى ضرورة الإهتمام بعلم التاريخ بكونه علما لا يعرفنا على تاريخ أمتنا ووطننا فحسب، بل يستوجب أن ينحو صوب تعريفنا بحضارات وثقافات الأمم الغابرة في كل القارات، لم يتردد موران عن الإلماح إلى إنشغاله الأكبر ونقصد هنا كلية الآداب إذ كانت دعوته على الإنفتاح على الفنون والسينما ولما لا إنجاز أطروحات تكون عابرة للتخصصات واقتطاع أوقات من الحصص للتعرف على اهتمامات التخصصات الأخرى حتى يتسنى لنا الإلمام بين التخصصات الإنسانية والعلمية، "معرفة المحددات وافتراضات المعرفة، العقلانية والعلومية والموضوعية، التأويل والبرهنة والحجاج، الفكر الرياضياتي والعلاقة بين الكون والبشري والعالم الحي والعالم الفيزيائي الكيميائي والكون ذاته، الترابط والتواصل بين العلوم حسب نموذج بياجي الذي يجعل العلوم مترابطة، مشاكل التعقيد في مختلف أنواع المعارف، ثقافة الإنسانيات الآداب وأخلاقيات العلم والسياسة"[2] إن هذا الإقرار الذي قدمه موران إنما كان الغرض منه إقامة إصلاحات جذرية في الجامعة وهذا أيضا لم يغفل دور المراكز البحثية ويدعو إلى أن تهتم بدراسة المعقد والدراسات العابرة للتخصصات.

إن طريق التحرر صعب وشاق في المراحل الثلاث إذ ينبغي الصمود أمام الإقتصاد الذي ينحو بخطوات عملاقة صوب الفصل بين التخصّصات والصمود أمام التكنوقراطيين الذي تسلطوا على زمام الأمور إذ يتوجب الأمر الدفاع عن الثقافة وتنميتها، إن الأمر يستوجب إستعادة المهمة التي لا غنى عنها وهي الحوار

[1]– إدغار موران، العقل المحكّم إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير، مصدر سابق ، ص 112.

[2]– المصدر نفسه، ص 114–115.

الذي يبقى الخصلة الوحيدة لإزالة سوء التفاهم، يتوجب التقارب بين التلميذ والأستاذ وتنمية النزعة الإنسانية وتعلّم التضامن والتكافل لا الإقصاء ينبغي أن نتعلم أن الفهم هو ركيزة أساسية تؤسس لإنسان موران العالمي، يجب أن يتوفر الحب الذي راهن عليه موران لإنقاذ البشرية من الوهن الذي نزل بها، هكذا كانت نظرة موران إلى التربية المستقبلية بيد أننا سنجد أنفسنا مجبرين على تتبّع مشروعه الفكري الذي يحيلنا إلى التطرق إلى كيف سنطبق هذه التربية على البيئة؟ كيف سنصمد أمام الإقتصاد وما هي الحلول التي قدمها موران للتوافق مع ذواتنا ومع العالم؟ هذا ما سنتعرف عليه في المبحث الثالث.

المبحث الثالث: إصلاح البيئة من أجل الأرض – الوطن

أولا: أزمة الكوكب: إحتضار الأرض

أ: الأزمة: يجب أن تتوفر لدينا المصطلحات الكافية والنظرة الدقيقة على هذا المولود العلمي الجديد، ذلك حتى نفلح في رصد ما عناه موران هنا، بدلا من الحديث في الطبيعة يجب تحديد العلاقة التفاعلية للإنسان مع ما يحيط به بشكل أفضل وتواصله مع نظامه البيئي، إن صعود هذا التحوّل المرتبط بالتصنيع المعولّم هو الذي يؤدي إلى تعديل سريع للنظام البيئي الحالي، نشأت فلسفة البيئة في أواخر القرن التاسع عشر[1] بعد المنعرج العلمي الذي شقّ المعارف وقد وقع بشكل متوازي مع ظهور علوم أخرى "وقد إشتق أرنست هكل المصطلح من الكلمة اليونانية منزل الأسرة oikos ونقل دلالتها إلى كوكب الأرض باعتباره منزلنا نحن البشر، حاليا تعرّف الأيكولوجيا أنها العلم الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية والبيئة التي تعيش فيها ويتخذ موضوعا له المنظومة البيئية: النهر البحر الغابة الصحراء..."[2] شرع الفلاسفة خاصة الأمريكيين في حقبة السبعينات، كان موران هناك –كاليفورنيا–، يحترفون نوع جديد من الكتابة مبتعدين عن الإبستمولوجيا والميتا–أخلاق واللسانيات السائدة في الفلسفات الأنجلو ساكسونية بينما يركّز الفلاسفة القاريين إهتمامهم على الفينومنولوجيا والوجودية والبنيوية، إنبثقت بعد الحرب فلسفات الحركة المعارضة للحرب النسوية، البيئة[3]، لم يعهدها الفلاسفة، لقد تم إثارة قضايا تربط الإنسان بقضايا وجه الجدة فيها أنها تجعل الإنسان الفيلسوف في مواجهة مباشرة معها "لأننا هنا والكون على ما هو عليه لأن المقصود منه توليد الحياة الذكية، لقد قاد هذا الإستبصار إلى صوغ الأنتروبي 1981 الذي أعلن بأن الكون منزل للإنسان"[4] نشأ الوعي البيئي بعد إخضاع كوكب الأرض للإقتصاد وقانون الربح والإبتعاد عن شاعريات الحياة والخضوع لمبدأ نثرية الحياة، من أجل ذلك فغرضنا نحن ليس تناول البيئة من جهة كونها علم يستوجب الغوص في حيثياته، بيد أننا نريد تصوّر الأزمة التي ولج فيها كوكب الأرض "الكثير من الذين يكتبون عن البيئة يختصرون عادة الطريق لبلوغ هدفهم فيختارون عناوين مثيرة للقضايا البيئية التي يطرحونها فنقرأ اليوم عن "القنبلة المكانية" "الكوكب يموت" "عالم يتهور" "الصحراء الزاحفة"، إن الواقع في البيئة خطير بسبب تصرفات الإنسان الطائشة

---

[1]– قد يمكننا القول أن ألكسندر فون همبولد يعتبر أول من امتشق الدراسات البيئية وأول من قدّم سردا فلسفيا للأرض باعتبارها كائنا حيا وذلك في التوليف الذي قدمّه في نصه بين الرومانسية الألمانية والمفاهيم الميكانيكية راجع: أندريا وولف، إختراع الطبيعة مغامرات ألكسندر فون همبولت، تر: عبلة عودة، مشروع كلمة ، أبو ظبي، 2019، ط1.

[2]– مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، تر: معين شفيق رومية، ج1، عالم المعرفة، الكويت، 2006، ط1، ص9.

[3]– تعبر الأزمة البيئية عن جملة المشكلات البيئية الناجمة عن الإضطرابات سواء في البيئة أو في الأرض ككل، ومن بين ما يعبر عن هذه الأزمات التلوث، واستنزاف الموارد الطبيعية والمناخ والنمو السكاني، راجع: معين رومية، من البيئة إلى الفلسفة، دار معابر للنشر، سوريا، 2011، ط1.

[4]– هنريك سكوليموفسكي، فلسفة البيئة، تر: ديمتري أفييرنوس، أبجدية المعرفة، سورية، 1992، ط1، ص133.

وغير العقلانية بالأنظمة البيئية"[1] إن الواقع البيئي الذي استبصره علماء البيئة بات مقلقا ويستوجب المعالجة على وجه السرعة.

إن فيلسوفنا لم يتجاهل هذا الواقع وبرز من مؤلفاته الأولى حيث تناول مشكلة البيئة في كتابه البراديغم المفقود حيث وضع موران جهده في تناول هذا الإشكال، إن التقدّم الذي قدّمه موران لهذا العلم بكون الإيكولوجية نظرية بيولوجية جديدة، إنطلق في كتابه "البراديغم المفقود" 1973 "لم يُتصور علم البيئة إلا مؤخرا إن مجتمع الكائنات الحية التكاثر الحيوي في الفضاء الجيو–فيزيائي يشكّل معه وحدة عالمية للنظام الإيكولوجي"[2]، في هذا السياق يضع موران جهد الإيكولوجيين إنطلاقا من كونهم استشعروا حجم الخطر الذي غار على الكوكب، إذ يتمثل الإيكولوجيين والنسويات على شاكلة كارولين ميرشانت صاحبة مقالة "موت الطبيعة"[3] تحميل فرنسيس بيكون المسؤولية الكاملة فيما حدث من أزمات البيئة، من قولته الشهيرة "المعرفة قوة"[4] فالنتيجة الخطيرة لهذا التوجّه تجلت في الآثار البيئية، لقد سعى بيكون "أن يسيطر على الطبيعة ويسخرها في خدمة الإنسان"[5] إنها بمثابة المقام الذي ارتكز عليه التنويريون في التعويل على العقل، فاللافت للنظر أن موران قد إمتشق النظرة التعقيدية هنا أيضا وحدّد لب الإشكال في التطوّر العلمي كما شهد على ذلك في مفتتح كتابه هل نسير إلى الهاوية 2009 فبعد التفتيش عن وجه العلاقة بين العلم ونكباته إرتسم حقيقة أن التمزق البيئي صادر عن آثار العلم "لقد مكّن التقدّم العلمي من إنتاج الأسلحة النووية وأسلحة للدمار الشامل، كما تسبّب في مسلسل من التدهوّر في المحيط الحيوي[6] ساهمت الحروب في تمزّق الكوكب والتلوث في اختلالات في طبقات الأوزون، فأضحت البيئة المهدد الأول للبشرية بعد أن بقرها التقدّم العلمي، لم يتغافل المجتمع العلمي والمنظمات الدولية الصراع بين البيئة والإنسان وحاول إرساء أسس سليمة لإنقاذ البيئة، كما سنجدها أيضا عند "هانس جوناس Hans Jonas (1903–1993) "، غدت الأنظمة عاجزة أمام مشكلاته الحيوية، إفتتح موران دروس البيئة في كتابه "بدء جديد"1991 بيد أننا سنعوّل على ما قدّمه في كتاب "الأرض الوطن" 1993 الذي خصّص الفصل الثالث منه بعنوان "الإحتضار الكوكبي" دعا فيه للوعي بمصير المجتمع الأرضي ونمو وعي كوكبي حقيقي، أشار موران إلى مجموع الأزمات البيئية التي فتكت بالكوكب، "كانت هناك فترة من ازدياد التدهوّر البيئي ونشأت: 1– كوارث محلية ذات عواقب بعيدة المدى: سيفوزو، بوبال، تشيرنوبيل جفاف بحر آرال، تلوّث بحيرة بايكال، مدن تختنق، تلوّث نهر الراين 2– مشكلات أكثر عمومية: تلوّث المياه في الدول الصناعية، تسمّم الأتربة من الأسمدة والمبيدات، المطر

---

[1]– رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979، دط، 107.

[2] - Edgar Morin, le paradigme perdu : la nature humain, edition du seuil, Paris, 1973.

[3]– مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، تر: معين شفيق رومية، ج2، عالم المعرفة، الكويت، 2006، ط1، ص33.

[4]– فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، تر: عادل مصطفى، دار رؤية، القاهرة، 2013، ط1، ص33.

[5]– عادل مصطفى، قراءة في كتاب أوهام العقل لفرنسيس بيكون، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017، ط1، ص49.

[6]– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص11.

الحمضي، التمدّن الهائل، 3- المشكلات العالمية الكوكبية: إنبعاث أحادي أكسيد الكربون، تزيد من الإحتباس الحراري تسمم الكائنات الحية التي تفكك النفايات، ثقب الأوزون في أنتاركتيكا"[1].

إن الغرض من كشف كل العقبات والكوارث الطبيعية هي تبيان وجه الأزمة التي فتكت بالكوكب، لم يتخلّف موران عن محاولة ترسيم حلولا مثلما فعلت الأحزاب والجمعيات البيئية، تم الكشف عن وزارات للبيئة في سبعين دولة، لم يغفل المجتمع الدولي عن إقامة المؤتمرات الدولية لتخريج مشكلة البيئة من كونها أزمة محلية إلى اعتبارها أزمة عالمية تستوجب تكاثف الجهود، كشف مؤتمر ستوكهولهم 1979 على بلورة وكالات بيئية دولية، UNEP ولم تتخلف الهيئات الدولية عن الموعد، نقصد هاهنا الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة للبيئة وكذا منظمة اليونسكو: الإنسان والمحيط الحيوي "جمع مؤتمر ريو دي جانيرو (1992) 175 دولة والهدف من ذلك هو التوفيق بين احتياجات الحماية البيئية واحتياجات التنمية الإقتصادية في العالم الثالث، تتضمن فكرة التنمية الدعوة إلى خلق حوار ما بين الحاجة للتنمية والتي تنطوي على زيادة التلوّث مع فكرة احترام البيئة"[2]، شهد موران ظهور هذا العلم منذ لحظة انبثاقه، فالإيكولوجيا علم ألفى فيه تناقضات تتوافق مع منهجه الذي يجمع التناقضات[3]، ولم يسلم الفيلسوف رونيه ديكارت هذه المرة أيضا من اتهام إدغار موران[4] الذي جعله في مقدمة المفكرين الذين أسسوا فصلا بين الإنسان ونظامه الحي، وكانت النتيجة المحتومة التي ارتسمت معالمها مع إنبثاق العلوم والتقدّم والتنوّع الإقتصادي والتقني الذي جعل من الإنسان "سيدا ومالكا للطبيعة"[5]، إنخرط موران في تشكيل مقاومة ترسم لنا سبيل الخروج من الأزمة البيئية وليس ذلك إلا من خلال إستشراف مستقبل البيئة، وتحديد الأسس التي يتوجب أن تتقوّم عليها ونحن نجد خطة مرسومة كما يلي:

ب: إصلاح الفكر: إن ما يهم موران هنا هو مقولتي فرنسيس بيكون "المعرفة قوة" ومقولة ديكارت "نحن سادة الطبيعة وملاكها" اللتين أسستا وهيأتا لموضع العلة التي تمثلت في الفصل بين الإنسان والطبيعة، بذلك يصبح هذا الإشكال قابلا للصياغة حسب موران، كما لم يتغافل دورهما في إرساء قاعدة الفصل من خلال تأسيسهما لما يسمى المركزية الغربية، هذا الفصل أفضى إلى كل إمكانية لتدهور المحيط الحيوي، وخلق حالة من الإختلال والفوضى، لم تعد هذه الإشكالية أمرا ملتبسا كما عقدت الوثاق مع نفسها في عصر

---

[1]- إدغار موران، الأرض الوطن، مصدر سابق، ص86 -87.

[2]- المصدر نفسه، ص 87.

[3]- نقصد هنا قانون التوازن البيئي، حالة الإنسجام بين المكوّنات البيئية، فاحتراق البيئة تؤدي إلى ظهور أشجار أخرى، ولعل التوازن البيولوجي يمثل أكثر منهج موران فالمفترسات التي تفترس الحيوانات إنما تقلّل من نسبة وقوع اختلال نظام بيئي، فالموت تؤدي إلى حياة الأرض.

[4]- وجه موران أصبع الإتهام إلى الديانات السماوية بكونها أول من فصل بين الإنسان والكائن الحيواني وفرض التفضيل للإنسان ومسألة التسخير التي أرستها الديانات السماوية من هنا كان الدين أول المتهمين في بلوّرة الأزمة البيئية.

[5]- إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص112.

التنوير، إن الكشف الموراني " وهم السيطرة الكاملة على العالم سيستمد نفوذه من التقدّم العلمي يصطدم اليوم بالوعي بالتبعية إزاء المحيط الحيوي وإزاء القوى التقنية المدمرة للبشرية نفسها"[1] لقد تبيّن موران موضع العلة حيث انكشفت على وجهها الأتم، ولم يبقى سوى الإفصاح عن الترياق الذي يصلح أزمة الفكر، وضع الأصبع على مهمة إصلاح المعرفة القديمة وإحلال مقام الموازنة بين الإنسان والطبيعة، إن درء المباينة هو السبيل الذي إرتأه موران مخرجا من المباعدة بين الإنسان والطبيعة، إن الإقرار في كتابه السبيل "لم يعد يتعيّن على الإنسان العاقل أن يسعى إلى السيطرة على الأرض بل إلى رعايتها وتهيئتها"[2] فبدلا من جعل الأرض عدو، يستوجب مصافاتها وتهيئتها لتكون منزل للبشرية، أشار موران إلى ضرورة كون الوعي بمصير الكوكب محوّر التفكير ومركز الإهتمام، يتوجب على البشرية أن تتكأ على فكرة المصير الذي يجمع البشرية بالكوكب، وأن ترسم علاقة تضامن معه، بكونه الجندي الذي لا ينبغي أن تطبق عليه قواعد الإقتصاد والربح، يجب علينا كما ينوّه موران أن يكون وعيّنا موجّها لمواجهة الكوارث وأن نتوخى الحذر من أي تعدي على الأرض واعتبارها عدو يتوجب مواجهته.

الطاقات المتجددة: إستجمع موران المصادر التي أولجتنا في ما أسماه تدهوّر المحيط البيئي، ليضع معايير لحماية التنوّع البيولوجي والغابات وإيجاد الحلول اللازمة للتلوث والحد من تسمم التربة، إنجلت هذه الإهتمامات في الكشف عن الطاقات المتجددة التي بات من الواجب تعميمها وطنيا وعالميا وكوكبيا، دعا إلى ضرورة تطوير مجال الطاقات المتجددة باعتباره منفذا مفروض، لا بد من استغلال طاقة الماء في إنتاج الكهرباء، يجب أن نعثر في الرياح والطاقة الشمسية كشفا عن حلول بديلة للطاقة غير المتجددة، إعترف موران بولوج الدول في انتهاج سياسة الطاقة المتجددة "نلاحظ تطورا كبيرا في مصادر الطاقة هذه في إسبانيا وصلت طاقة الرياح ل 46 بالمائة من الإمكان الإجمالي، وفي ألمانيا مائة ألف من ألواح الطاقة الشمسية"[3] إن رأس الأمر في تدبّر أمر الطاقات المتجددة يقبع في كونها الخيط الهادي الذي سيغنينا عن تبعياتنا للطاقات غير المتجددة [البترول الغاز] وبالتالي تبعية دول –هم– لدول النفط والغاز –يقصد أزمة النفط 1973، توفّر لنا الطاقات المتجددة مصادر الحياة وتشكّل الوجه البهي الذي يدعو إليه موران[4] في العلم بحيث ستسهل من عمليات السكن وتفتح أبواب تعزز من خلالها العيش بهذه الطاقات، دعا موران إلى تعميمها في سياساتها الإسكانية في العمران، بكونها ستنهي مشاكل على مدى عقود "يفترض أن تمنح السياسة السكانية الحرية الكاملة للأفراد في إنتاج الكهرباء المنزلية مع فرض بعض التدابير للإقتصاد ومن

---

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص118.

[2]– المصدر نفسه، ص118.

[3]– المصدر نفسه، ص118.

[4]– نود أن لا نخضع موران في توجّه مضاد للعلم، فهو لا يرفض التطور البيئي بكونه مسبب للكوارث البيئية، بل يشدد على ضرورة التعقل في التوجهات نحو العلم، بحيث يكون مرفوقا بالأخلاق حتى يتسنى ارتسام الطريق الصواب للتقدم المنشود في العلم.

تكيّف للهواء وتعميم للرياح المضاعف وتشغيل أجهزة التدفئة للمباني وفقا لدرجة حرارة الخارج وليس وفقا للبرمجة الموسمية المحددة بتواريخ ثابتة"[1] إن هذا الإقرار إنما ينم عن مدى وثوق موران بمدى صلاحيتها لمستقبل البشرية، تبدو رؤيته نحو الغد المأمول للبشرية مقترنة بمثل هذه الطاقات، حرص موران على أن لا يتعارض إنتاج الطاقات المتجددة مع إنتاج محاصيل الغذاء، كما شدّد على الحرص على تعميم استخدام الطاقات في جميع المستويات ونخص الرسكلة التي تشمل النفايات في محطات توليد الطاقة، كما أبقى على الإستخدام السليم لثاني أكسيد الكربون والهيدروجين أملا نستبصره لغد قد يخرج بالحلول المأمولة التي ترجوها البشرية للخروج من أزماتها.

مشكلة النقل: إن قصد موران في استشرافه لمستقبل الطاقات الغرض منه رسم خريطة النقل على اعتبار أن هذا القطاع هو الأكثر اعتمادا على الطاقة، إن قصد موران هو بيان الطريق الذي من خلاله نتجنّب تبعيتنا المطلقة للمحروقات، تتجدّد هذه الإمكانية عبر ما حدّده موران "يمكن تجنّب إواستبدال نقل البضائع عن طريق الشاحنات لمسافات طويلة ونصف الرحلات التي تستخدم فيها السيارات والتي لا تتجاوز 3 كم، الأولى يمكن تعويضها باستخدام شبكة السكك الحديدية والثانية يمكن تعويضها باستخدام النقل العمومي أو الدراجات الهوائية"[2] إن سطوة الطاقة على البيئة يشكّل طريقا محتوما للتلوث، بهذه التصرفات يقلب التصوّر السائد بضرورة الطاقة كونها السبيل للحركة، لم تغب عن موران فكرة استبصار مستقبل النقل من خلال الكشف عن أهم الخطط التي ستحدّ من التلوّث وتؤسس لفكرة بيئة نقية، إرتسم هذا في كتابه "السبيل" بعد رصد مواضع الخطر وكانت خطاطته وفقا لما يلي: "الحث على إنتاج السيارات الكهربائية، إستخدام خطوط السكك الحديدية، تطوير النقل البحري المخطّط البخاري والشراعي، تعميم المؤتمرات عن بعد والحد من التنقّل بين القارات في الطائرات، التنقل في المدن بالأقدام أو عبر الوسائل الكهربائية كالترامواي وإعادة إدماج الدراجة، الحث على الإستخدام المشترك للسيارة وتركيب سفن الخدمات"[3] إن السياق الذي أتى فيه موران إلى معارضة إستخدام الطاقة بوصفه الملوّث الأول للطبيعة، ونحن نجد أيضا أن من الأسباب المباشرة للتلوّث هي المصانع كونها [بيد أن موران لم يتناولها في كتابه] أحد المشاكل التي تبحث البيئة عن تطبيبها، نحن نجد أن مدن يتجاوز عدد سكانها (30) مليون نسمة تختنق بندرة الأكسجين فيها، لا بد من انتهاج الحذر حول هذا السكوت الذي خلق إستغرابا لدينا، بيد أن هذا الحذر كان ضريبة عدم حصولنا على كل مؤلفات موران، إن المصانع بدورها تؤسس لكارثة بيئية لا تقل عن تلك التي أقرها موران، يتوجب إرتسام سبيل من أجل الحد من خطرها رغم صعوبة ذلك في الوقت الراهن وهذا الحذر الذي قد التمسناه لموران لأنه يستعسر بأي شكل كبت المصانع وتوقيفها فهي من تؤسس لمعنى العيش وعليها يرتكز الإقتصاد والتوفير للحياة.

---

[1]-- إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص120.

[2]- المصدر نفسه، ص122.

[3]- المصدر نفسه، ص123.

إشكالية النووي: يبدو أن كارثة تشرنوبيل 1986/04/26 وانفجار مصنع الطاقة النووية فرض على موران التصدي لخطر المفاعلات النووية على البشر، وكون الطاقة النووية تمتاز بكونها لا تلوث الغطاء الجوي، بيد أنها تحتاج إلى سلامة عالية على حد وصف موران، حذّر موران من مخاطر الطاقة النووية على الإنسان "مخاطرها غير محتملة لكنها ممكنة، فالمراكز النووية أهداف لهجمات إرهابية، إضطراب المحطات المركزية خلال فترات إرتفاع الحرارة، أشعة النفايات[1] ذات الفاعلية النووية"[2] أبصر موران هذه المخاطر خاصة وحذّر من تبعاتها الغير المحمودة، هنا يتسنى لنا أن ننوّه إلى نقاط مهمة هاهنا حول موران ، إفترض ضرب من النظر إلى أهمية الطاقة النووية التي صرفت فرنسا عن الإنشغال بأشكال أخرى من الطاقة على خلاف ألمانيا التي خطّت خطوات عملاقة في هذا المجال ونقصد حقل الطاقات المتجددة، لا يبدو موران متفائلا بشأن مستقبل الطاقة النووية ولا يستبصر أي أفق سيفتح الباب أمام إستفادة البشرية من هذه الطاقة، بل على العكس من ذلك إنشغل بحقل الطاقات المتجددة كإستعاضة عنها بالأخص الطاقة الشمسية وطاقة الرياح ودعى فرنسا إلى ضرورة الإستثمار في هذا الحقل، بيد أنه لم يدعو إلى ضرورة التخلي عن الطاقة النووية بل الإجتهاد أكثر في حقل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.

إشكالية الطبيعة: إن جملة هذه التوضيحات قد مكّنت موران من رسم إمكانية إستشراف مستقبل –سعيد– للطبيعة، حاولنا إستجماع كل ما يرتبط بالطبيعة في هذا المقام، وبعامة تنطوي الطبيعة على السياسة المائية التي تعجّب موران من فرط ما تمّ إستغلالها، الماء الخير العام المتاح للجميع بات سلعة تجارية،– سنتناول إشكالية الإقتصاد في المطلب الثاني– لم يغفل موران التطوّر التقني الذي أدخل المياه إلى المساكن عبر أنابيب، وهو ما يفصح عن قبول موران لهذه الميزات العلمية، لأننا لا نود أن نرسم في صورة ذلك الرومانسي، بيد أننا نلفى أنه إستنكر كما أسلفنا الذكر تعبئة الماء في قارورات وتوجهيها نحو سلعنتها، بحيث لم يعد الماء ذلك الخير المتاح للجميع، ثم حذّر موران على نحو التهديد بالتفريط في المياه لأنها كما استبصرها ستغدو سلاح المستقبل، حذّر من انزياح الأزمة إلى الماء والتي تبدو أن معالمها بدت تتكشف في هذه المادة الحيوية كما ارتسمت "كما أن الإستخدام المكثّف في المياه الزراعية وتلوّث المياه الجوفية من جراء التربة التصنيعية الحيوانية وتلوّث الأنهار والبحار والبحيرات بسبب مياه تصريف المدن ومصانع القمامة

[1]– إعترف موران بوجود تدابير حماية موثوق بها على المدى القصير والمتوسط لمعالجة النفايات المشعة من الإشعاعات وتستغرق مدة طويلة من الزمن، بيد أنه على المدى الطويل اعترف موران بخطورتها وعلى وجه التحديد الآثار السلبية لهذه النفايات كونها تستمر لآلاف بل لملايين السنيين، خاصة أننا يتبين لنا مراقبتها أو التنبؤ بها لأكثر من قرن ورغم ذلك تفائل موران بهذا الصدد وصرّح بامكانية إيجاد السبل والوسائل التي تضع حد للأخطار التي قد تنجم عن هذه النفايات المشعة كإنشاء محطات تغذيها تلك المحطات نفسها.

[2]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص123.

وتخلّصها من النفايات الضارة، تحوّل جميعها الخير الأكثر وفرة إلى خير أقل ندرة، ينذر تدهور أوضاع امتدادات المياه وانتشار العداوات بين الدول بحروب مياه محتملة"[1].

إن خطر المياه بات مدهما بالأخص في المناطق المعرضة للجفاف والإحتباس الحراري، يتوجب بناء الأسس اللازمة للحد من هذا الخطر الذي كمش أو سيكمش على الكثير من القرارات السياسية المصيرية للبشرية، لم يخف علينا خوفه من توجّه الدول إلى حروب بسبب هذه المادة الحيوية كما عكف على الدفاع عن الثروة البحرية بسبب الصيد الجائر الذي تتعرض له المحيطات لجعل الكوكب في خدمة الإقتصاد، ، ويمكن تسخير طاقة المحيطات في إنشاء الطاقة الكهربائية "تعتبر طاقة الأمواج وطاقة المد والجزر عادة مع بعضهما البعض على الرغم من أنهما تعملان بمبادئ أساسية مختلفة وربما من المفروض الرجوع إليهما كفرع من طاقة المحيط"[2] .

تناول أيضا مشكلة المدينة ومسألة الإكتظاظ، إندهش موران من التوسّع السكاني في المدن بشكل أسماه "عديم الشكل" إن الدور الحاسم الذي تبناه موران هاهنا هو استبصار الحلول التي من الممكن أن تقلل من إختناق المدن وافترض "من الممكن النظر في إمكانية تقسيم المدن الكبرى لصالح مدن متوسطة الحجم وإعادة تعمير القرى، إذ بإمكاننا تنشيط القرى الميتة عبر التشجيع على العمل عن بعد"[3] نتفق مع موران هنا في ضرورة إبعاد المركزيات الإقتصادية وكذا الجامعية والإستشفائية والإدارية عن المدن الكبرى مع ضرورة إبقاء المستوصفات وتعميمها للحاجات الإستعجالية، من الضروري الإبقاء على أنماط الحياة في القرى حتى يتسنى التردد عليها وتوفرها على مرتكزات يتقوّم عليها المواطن، من الملح أيضا التعويل على النقل العمومي وتخفيف السيارات في المدن الكبرى والتعويل على المركبات التي تشتغل عبر الكهرباء كما أشرنا لذلك في جزئية النقل، كما شدّد على ضرورة إعادة الإعتبار إلى الدراجة الهوائية، ولم يغفل أيضا عن تفحّص الطبيعة التي أطلقت صرخة الإستغاثة منذ إنبثاق الثورة الصناعية، وارتسم الخطة التي من خلالها يمكن للإنسانية تصوّر مستقبل أفضل للطبيعة هذه الخطة تفترض ما كان الإيكولوجيين قد قرروه وهي الحد تدريجيا من الزراعة والتربية الحيوانية وينبغي إستعادة التنوّع البيولوجي والتشجيع على إعادة تشجير الغابات وتنمية المنتزهات والمناطق الخضراء، فهذا التركيز على الطبيعة إنما ينم على ضرورة البيئة في مشروع موران، وهو الذي أصرّ على ضرورة توسّع المساحات الخضراء واحيائها في المدن الكبرى، فهي ترمز إلى الحياة، إستحضر أيضا مشكلة التصحر في بقاع العالم ودعا إلى مجابهته بكل الوسائل الممكنة.

---

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص125.

[2]–روبيرت إيفانز، شحن مستقبلنا بالطاقة مدخل إلى الطاقة المستدامة، تر: فيصل حردان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2011، ط1، ص167–168.

[3]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص125.

إن موران في مشروعه البيئي إنما كانت دعوته إلى صحوة المواطن مما يستوجب الجمع بين التنظيمات الثلاث الإجتماعي والإيكولوجي والذاتي، يجب أن نبني مواطن مثقف يتحكم في آناه متعلم لشاعرية الحياة وجماليتها، يتوجب بناء مواطن –يعتبر أن الوطن دينه– يعيد الإعتبار لحركة السير على الأقدام التي اندثرت والتي تعتبر ثقافة الفلاسفة [امتاز بها كانط]، يتوجب علينا إنهاء سيطرة السيارات التي أزمت الحياة بالتوافق مع تسييرها، يدعو موران إلى التثقيف في مجال السياحة وصنع ثقافة جمالية تدعو للتأمل، رسم موران هذه الخطة البيئية من أجل مستقبل البشرية التي تبعثرت فيها كل الأسس الإيكولوجيا، وكان لا بد من نظرة فاحصة إلى جانب أفكار على شاكلة هانس جوناس والفلسفات النسوية الذين رسموا طرق للبيئة وإعادة الإعتبار إلى كل ما هو جميل في الكوكب، نقد كل سلبيات العلم حتى لو كان مفيد للبشرية، من أجل تقويمه وترقيعه، بيد أن ذلك لا يتقوّم إلا بإظهار أزمة أخرى تستوجب إلتفاتة عاجلة وهي أزمة الإقتصاد التي تناولها موران في أكثر من موضع سنحاول تبيانها ورسمها على النحو التالي:

ثانيا: ترشيد الإستهلاك والإقتصاد:

أ: الأزمة: إن المطلوب منّا هو إيضاح مستقبل البشرية في السبيل الإقتصادي، كون الإقتصاد يشكّل موضعا حساسا يستوجب رؤية بصيرة، إن المتأمل لمشروع موران في هذا الشكل يلفت أنه يتوافق مع ما نحاه زيجمونت باومان[1]، بالأخص في نزعة الإستهلاك وتشكّل النزعات الفردانية وصناعة مؤسسات الأوهام وخلق الإدمان الذي طغى على إنسان ما بعد الحداثة،، إن صعود العولمة –الرأسمالية– أردفها تأسس النزعات الفردانية وهو الإشكال الذي استشعره موران وحاول إبراز أوجه الأزمة التي خلّفها ورسم سبيل الخلاص، يمكننا أن نلخص لب هذه المعضلة في جملة واحدة "لقد جعلوا من الكوكب خاضعا في خدمة الإقتصاد"، إن إنبثاق العولمة الأمريكية مع سقوط الإتحاد السوفياتي أرسى قواعد الإقتصاد في كنف الحياة، فارتسم السؤال الأهم في الحياة كيف نصل للربح؟ وتحققت نبوءة ماكس فيبر التي حذّر العالم منها "إستشرف فيبر الإنتصار الوشيك لما أطلق عليه العقلانية الأداتية"[2] عقلية أمريكية أرست أسسها في العالم وخلقت نظام غرضه الإستهلاك من أجل راحة وهمية أفضت في عمومها إلى فرض الإدمان على السكان "النزعة الإستهلاكية لها وجهان مترابطان ومتعارضان في الآن نفسه، من جهة تسعى لتلبية الإحتياجات الذاتية والشخصية، لكن في

[1]– نحن نجد الكثير من المشاريع المماثلة لمشروع موران، ويستوجب الإشارة إليها لعل أبرزها مشروع المفكر زيجمونت باومان الذي إهتدى إلى وصف حالة ما بعد الحداثة التي وسمها –الحداثة السائلة– عبّر باومان عن امتعاضه لما وصل إليه الوضع، سيطرة الفردانية ونزعة الإستهلاك واضمحلال العلاقات الإجتماعية، حيث ارتسم مشروعا فكريا حقيقيا ارتسم فيه تأزم الوضع، كما لا يتوجب علينا أن نغفل مشروع مدرسة فرانكفورت التي شكّلت يسارا حداثيا مستأنفة المشروع الماركسي وأبرز من مثّل المدرسة في التعبير عن الرفض عن الوضع الراهن هربرت ماركيوز Herbert Marcuse (1898–1979) وإريك فروم، تدعو هذه المشارع في سبيل إنقاذ الغرب من مقبرته الأخلاقية.

[2]– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ط1، ص111.

المقابل تساهم في تطور النزعة الفردية"[1]، لم يخطأ ماركس في تنبوءه بـ"الإغتراب" كأفق ينتظر البشرية إذا ما تغلغلت الرأسمالية فيها، حاولت العولمة الأمريكية إنهاء الطبقية التي حذّر منها ماركس "تم إختراع كل الإختراعات الأمريكية بغرض محو النظام الطبقي وانتهت كلها بأداة التأكيد على تقسيمات الطبقات المختلفة أو خلق طبقات جديدة"[2]، فرسمت على العالم كل أشكال الضيق والقلق والإحباط الذي نخر البشرية، بيد أن هذا لا يعني أننا لم نجد من حاول تلطيف هذه الرأسمالية التي أخذت في الإسبداد، إجتهد الكثير لتغيير هذا المنظور ولإنقاذ العولمة والرأسمالية "رسالتي اليوم متفائلة هي عن التبادل والأسواق والتي تسمح لنا بالتخصص في المهام والمعارف، هذا التخصّص هو سر خلق جميع الثروات والمصدر الوحيد للتحسين المستدام لأحوال البشر، إنه جوهر العولمة"[3] فالحال أنها تحاول تبرير سياسة الربح بسياسة التوفير للبشرية.

إرتسمت نزعة تحدو إلى السرعة وعدم التوقف، بيد أن وجه الطرفة في هذه النزعة هي التساؤل: إلى أين الوجهة؟ هذا التساؤل لم يعد وجيها طرحه لأن الأهم من ذلك هو عدم التوقف، وهو التوكيد الصريح على تبعية حادة للعولمة التي قهرت الإنسانية "تسمّم الحضارة" بلغة موران، أفضت هذه العولمة إلى تعميم الكم على كل شيء قابل للحساب فغدا كل شيء خاضع لقانون الربح والهوس الكمي، أفضت نزعة الإستهلاك إلى خلق مجتمع وهمي يتسم بالعلاقات الإجتماعية الوهمية أو كما يسمها باومان "علاقات الجيب العلوي"[4] فغرض المجتمع اليوم إرضاء أهوائه وهوسه الكمي، إن المصانع التي خلقت النزعة الفردانية ترسم على منتجاتها فضائل وهمية، الغرض منها خلق روح الرغبة لدى المستهلك، فالنتيجة الحتمية التي آلت إليها هذه الوضعية هو خضوع الفرد لهذه النزعة، حيث أنه يوفّر له كل خدماته فترسم له طريق نحو الإدمان والإغتراب عن الواقع، كان موران ولا يزال يثق في ماركس بكونه فضح كل ما رسمته الرأسمالية من أجل أن تحقق أهدافها، وإن كانت هدف واحد هو الربح ولو تعقبنا ما آل إليه المجتمع، وان كان معظم كلام موران يتمحوّر حول الغرب، سنلفى أنه يتكوّر في النزعة الفردانية، والتي كان مآلها إدمان المخدرات والحشيش، بل حتى أن بعض الدول لم تعد تفرض عقوبات على المستهلكين كهولندا، فأزمة الإستهلاك تقوقعت في المجتمع الغربي ووجدت لها مكان تستقر فيه، إلتزم موران بضرورة تطبيب هذه الأزمة وارتسم الحلول من أجل مستقبل البشرية، ينقذ به الفرد من نزعة الإسراف كما وصفها جورج باتاي فما هي هذه الحلول:

ب: حلول موران لأزمة الإستهلاك: إرتأى موران أن هناك ضرورة ملحة لإنهاء سيطرة الإستهلاك على المجتمع، حيث شرع في تشخيص الأزمة، يبدو أن موران كان حاذقا في هذه التنبيهات التي قدّمها، فلم

---

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص336.

[2]– روجر روزنبلات، ثقافة الإستهلاك: الإستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة، تر: ليلى عبد الرزاق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ط1، ص23.

[3]– توم جي بالمر وآخرون، أخلاقيات الرأسمالية، تر: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ط1، ص109.

[4]– زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ط1، ص56.

يجازف بالدعوة إلى المنع والحرمان من هذه النزعة والتوجّه الهائل لها، بل توخّى الحذر حين اعتقد أن جوهر التطبيب يكمن في الإعتدال ومحاولة السيطرة على هذه النزعة حتى يتهيأ لنا تحديد ما نريد بدقة، دعا موران إلى فرض قيود حتى يرتسم لنا الطريق الصائب لتوجيه المستهلك إلى الضروريات وعدم خلطها بالكماليات، خاصة أن الشركات الإقتصادية التي غرضها الربح تمكّنت من الدمج بينهما لدرجة لم يعد بإمكاننا وضع فواصل واضحة تحددهما.

إرتسم موران مجموعة سبل تمكّننا من إصلاح المجتمع الإستهلاكي "الحد من الإدمان الإستهلاكوي الذي يدفع نحو إقتناء مشتريات ذات مواصفات وهمية للتخفيف عن النفس أو تجاوز الإحباط، حثّ الناس على الوعي بأن البحث المضطرب عن الرضا المادي غالبا ما تكون نتيجته إحباطات نفسية وأخلاقية عميقة"[1] إن خطة موران هو توضيح الإقرار بعدم قابلية إنطباق الرضا المادي على الرضا النفسي، وانكّب في توضيح أن العلاقة عكسية وليست طردية فالمآلات التي تحيلنا إليها المقتنيات المادية عادة ما تكون مزيد من الإكتئاب والإحباط النفسي، ولم يغفل عن المشاكل النفسية الكبيرة التي يعاني منها المجتمع الغربي ونسب الإنتحار المرتفعة، وفي أحسن الحالات تناول جرع مضادة للإكتئاب والتي يؤدي الإفراط في تناولها إلى الإدمان، فضلا على أن المقتنيات لا تعبر بالضرورة عن الحاجة، يظهر الإشهار بمظهر لا يعبر عن حقيقة ما يعبر المنتوج ويضع لها مواصفات وهمية تتمكّن من جيوب الفرد وتجعله خاضعا لها، وفي الأخير ينتهي به المطاف إلى حالات الإحباط النفسي، ينبهنا موران إلى ضرورة تعليم البروباغندا للناس حتى يتسنى لهم الإنعتاق من قيود الخداع كما رسم سبيلا بديلا يتحدث في "النهوض بالغايات وتكييف الوسائل باتجاه تحصيل الجودة وما توفره من متع ضبط وفرض مواصفات تحدد خصائص ومعايير الجودة للمنتجات الإستهلاكية، إلى جانب إعادة الفحص والتحقّق من مؤشرات الجودة"[2]، لم تعد الغاية عند موران هي الإقتناء بل الجودة التي تكون عماد الإختيار يجب أيضا تربية المجتمع على التعرف على جماليات الحياة والتعرف عن الأشياء التي هم بحاجة إليها حقا، مع ضرورة إخضاعها لمعايير الجودة عن الأشياء التي ستكون مصدر قلق ومآلها كما يقول باومان أقرب قمامة، إن التعرف عن هذه الجمالية ضرورة –سنلم بها في المطلب التالي– حتى نتخطى كل طيش فكري يجعلنا نرتمي في أحضان خداع المصانع، هذه الضرورة انبرى لها موران وارتسمها، كما سعى إلى تجديد الحياة عبر تجديد المنتجات الأساسية التي نعوّل عليها يقول "التشجيع على تجديد المهن التقليدية والحرف اليدوية، الإنتقال من إنتاج الأغراض غير القابلة للصيانة بأغراض قابلة للإصلاح، إلى جانب تغيير السلع المنتجة لفترة زمنية محدود بمنتجات مستدامة"[3].

إن الغرض الكبير من هذا التخريج هو تبيان أن المؤسسات الإقتصادية هدفها الربح عبر إنتاج منتوجات مدة استعمالها محدودة حتى يتسنى لها جذب المستهلك من جديد بعد نفاذ تلك المدة ما يضاعف أرباحها،

---

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص344.

[2]– المصدر نفسه، ص344–345.

[3]– المصدر نفسه، ص345.

تعرّض موران لهذه المسألة عبر الإشارة إلى ضرورة إنتاج منتوجات مستدامة على المدى الطويل حتى يتسنى لنا التوفير، أما في حالة تلفها فرسم موران على حسب خطته أنها تكون قابلة للترميم فلن يكون مصيرها الرمي بل الإصلاح، لتمكننا من الإستفادة منها لأطول فترة ممكنة، يشجّع موران على العودة لامتهان وتجديد المهن التقليدية التي يكاد يكون مصيرها الإندثار مثل إصلاح الأحذية الترميم والترقيع وصنع الساعات اليدوية، إن مقصود موران هو تجنّب الفرد التوجه إلى المحلات التجارية التي غرضها الربح لإقتناء ما –قد لا يحتاج إليه– يمتلكه ويمكنه إصلاحه، يجادل موران أيضا بضرورة التوجّه إلى الرسكلة فكل المنتجات المهملة سيكون بإمكاننا إعادة تهيئتها بهذا يمكن إصلاح ثقافة المستهلك، لم يسكت موران عن المؤسسات المنتجة ودعا إلى ضرورة "فرض شهادات ضمان لمنتجات خالية من كل أشكال الإستغلال المسلط على العمال طيلة مراحل الإنتاج وتحمل ثلاث سمات للجودة: خالية من عمالة الأطفال، خالية من كل أشكال التمييز، خالية من أشكال العمل القسري"[1] بهذا يطمأن المستهلك من أن مقتنياته تحمل معايير الجودة المطلوبة، كما أن موران يريد أن يصل إلى تأسيس تنسيقيات تعاضدية ضد المنتجين الغرض منها التأكيد على الجودة والوصول إلى المقاطعة في حالة وجود منتج لا يتوافق مع معايير الجودة المطلوبة، المستقبل ينبني عبر حماية المستهلك فهذه رسالة موران، بيد أننا ما نحاول تبيانه نحن هنا لقد صاغ موران هذه الإصلاحات من أجل الفرد المستهلك، لكن هناك أزمة في المجتمع الدولة فكيف يمكننا تطبيبها إذن:

ج: تطبيب الإقتصاد: إنّ التوضيحات التي ساقها موران تنبيها عن أزمة الإستهلاك قادتنا إلى ارتسام أزمة لا تبتعد عنها بيد أنها أكثر عمومية وهي أزمة الإقتصاد التي مسّت الدول، تفطّن موران إلى أزمة الإقتصاد قد وصلت إلى قمة هرمها بعد 1989 حيث صار مسار العولمة الإقتصادية كونيا، إنبثقت الرأسمالية أواخر القرن الثامن عشر وكان الغرض الخفي تحقيق الأرباح للمستثمرين ثم للدول بعد تعميمها، الرأسمالية ترتسم سبيل تحقيق المصالح على حساب الكل حتى الكوكب بحد ذاته، أنتجت الرأسمالية أسس سياسية جديدة لتحقيق تلك الأغراض وعلى رأس هذه الأسس نلفى الإمبريالية التي تبنتها بريطانيا وفرنسا وصولا للولايات المتحدة، حاولت الرأسمالية إعادة رسم تاريخ الأمم بكونها النظام الذي سيحقق وعود التنوير المنشودة "رفاهية البشرية" وبهذا سيتم القضاء على كل من يعترض طريقها "أدى هذا المسار الثلاثي الأوجه: عولمة تنمية تغريب لإنتاج ثروات طائلة وخلق طبقة متوسطة جديدة على الشاكلة الغربية للبلدان الناشئة لكنه ساهم أيضا في حالة البؤس التي شهدتها بلدان الجنوب"[2] لم ينبهر ماركس بالرأسمالية وأصرّ إلى أنها تؤدي بنا –وهو يدافع عن البروليتاريا– إذا انخرطنا فيها إلى كل أشكال الإستغلال وعدّ، الإمتثال لها يعني ولوج عالم الفقر والبؤس –مما يفرض على البروليتاريا الإندماج– إن كل مآلات الرأسمالية على المجتمعات سيكون عاقبتها الخسران ولن تضعنا أبدا على هامش الربح، لأنها تعمل على الإنتاج وتقديم المنتج للمستهلك، هذا الإنتاج الذي ولج عالم الأزمة –أزمة الكساد 1929– بسبب الإنتاج اللاعقلاني للمصانع كما كشف موران على

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص346.

[2]– المصدر نفسه ، ص142.

حقيقة خطيرة، وجه الخطورة فيها إرتباطها بالشق السياسي "الأزمة 1929 إلى جانب المنفعة المتزايدة للولايات المتحدة الأمريكية قد أدت إلى وصول النازيين للحكم بطريقة شرعية وإطلاق العنان لسلطة هتلر التدميرية"[1].

عادة ما ينفصل الإقتصاد ليتحوّل إلى كوارث سياسية تجتاح البشرية حيث أفضت أزمة 1929 إلى الحرب العالمية الثانية، إن وجه الخطر الذي وقعت فيه الدول هو اعتقادها أن النمو المستمر هو السبيل الوحيد الذي يحقق لنا التنمية وبذلك سنحقق الخلاص والترف الإقتصادي، حتى في الولايات المتحدة ظهرت أفكار يسارية منذ الكساد "كان للكساد الكبير تأثير قوي على مواقف المثقفين الأمريكيين مقارنة بمواقف الأوروبيين ... أشار ديوي إلى تحول الكثير من المفكرين إلى يساريين، فبعد الكساد لم يعد هناك مكان لمثل هذا النقاش حيث أصبح أغلب المثقفين يساريين"[2].

إعترض موران على هذه الأزمات التي اتضحت بسبب الإقتصاد وكشفت الوجه الحقيقي له، والذي أودى إلى إنهيار السياسة لصالح الإقتصاد، والعولمة أسفرت عن "تدشين لعهد العولمة الليبرالية، إختفت هيئات التنظيم والضمانات الحكومية وأصبحت عملية الخصخصة لمؤسسات الدولة وللخدمات العامة واسعة الإنتشار ولم يعد بالإمكان إيقاف الرغبة الجامحة لتحقيق الربح"[3]، إنصهر السياسي في الإقتصادي أو بالمنهج الموراني تم إختزاله فأصبحت المؤسسات التي كان من المفروض أنها تمت صياغتها من أجل الوطن والمواطن في خدمة المستثمرين أصحاب رؤوس الأموال، كما لم يغفل موران المنافسة الدولية في مجال الإقتصاد التي خلقت نظم سياسية واجتماعية جديدة قائمة على استغلال العمال حيث تّم خفض مرتبات العمالة "أدت القدرة التنافسية الدولية التي تشجع الدول على استغلال العمال مثلما يجري في الصين"[4]، ما هو حقيق الإشارة إليه هو الربط بين اللامساواة والفقر وهذه الممارسات التي ينتجها الإقتصاد حيث باتت مشكلة العدل واحدة من أخطر المشاكل التي تواجهها البشرية اليوم، إن سياسة الرأسمالية المعوّلمة اليوم القائمة على الإنتاج وتدبير الشأن السياسي أفضى العالم إلى أزمة الرهن العقاري 2008 "والسبب وراء ذلك هو فقاعة الديون الضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية فإن إساءة إستخدام الإقتراض لم تكن إلا نتيجة لتفقير الأسر التي رغبت في المحافظة على مستوى عيشها[5]، تمّ رفع الأسعار العالمية فلم يستطع المواطنين التوفيق بين معيشتهم وسداد الديون، لم يخفى على موران إندفاع الدول الكبرى إلى تجديد الإمبريالية على الدول النامية سواء بإقراضها الأموال مما ينتج عليه التدخل في قراراتها السياسية داخليا

---

[1]- إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص142.

[2]- آلان سيدني كاهان، العقل في مواجهة المال الحرب بين المثقفين والرأسمالية، تر: محمد مطيع، المركز العربي للأبحاث، د س، د ط، ص276.

[3]- إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص143.

[4]- المصدر نفسه، ص143.

[5]- المصدر نفسه، ص144.

وخارجيا– وإن كان تشومسكي أكثر من خاض في هذه المسألة– العولمة أنتجت هوة واسعة لا يمكن تجاهلها بين دول تمثل خمس البشرية عشرين بالمائة تنتج وحدها أربعة أخماس ثروة العالم، في حين لا يتمكّن أربعة أخماس البشرية من إنتاج خمس ثروة العالم، فكانت من نتائج العولمة[1] تعميم الإختلالات الإجتماعية وترسيم حدود للفقر واللا مساواة العالمية ومن آثارها القاسية زيادة عدد العاطلين عن العمل مما ينتج عنها ظهور أزمات إجتماعية لا مناص منها، تفقير وتجويع الشعوب وإرساء قواعد السيطرة الإمبريالية كل هذه الإختلالات حاول موران أن يجد السبيل لارتسام خطة إنقاذ مستقبل إقتصاد العالم:

د: سبيل إصلاح الإقتصاد: تعرّض موران لجملة من الإصلاحات التي من الممكن أن تفيد إقتصاد المستقبل، تبنّى موران هنا فكرة المصلح الإنساني وغرضه فك رموز المشاكل، ومن البيّن أن سبيله الأول للإصلاح مفعّم بالدلالة، ودعا إلى ضرورة التخلي عن فكرة النمو الغير محدود واكتملت هذه الفكرة في خضم الأزمات التي يواجهها إقتصاد العالم، إنّه يستوجب على الرأسمالية التخلي عن فكرة النمو الغير المحدود والتوجّه نحو مفهوم مركب يشمل النمو والتراجع والإستقرار، بحيث يتم التحكم في النمو حتى يتجنب الاختلالات الإقتصادية والإقلاع عن كل ضرب يرسم لنا الأزمة، يدعو موران إلى ضرورة "إنشاء مجلس دائم للأمن الإقتصادي"[2] سيكون هذا المجلس بمثابة الحارس تتمثل مهمته في إقامة تنظيم للإقتصاد كما سيكون من الضروري عليه إيجاد الحلول اللازمة للإعتلالات الإقتصادية كما سيكون جنديا حريصا على مكافحة المضاربات المالية كما حدّد موران أيضا سبيلا آخر "إقامة تعاون بين بلدان الشمال والجنوب"[3] وهنا يفترض مقصدا إنسانيا يعيد الإعتبار لدول العالم الثالث بحيث يتم توجّه دول الجنوب إلى استغلال الطاقات المتجددة غير الملوّثة، والإعتماد على تطوير ذاتها بالتعاون مع دول الشمال بحيث تدرب متخصصين لتتمكن من التحكم بزمام الأمور واكتشاف واستغلال المواد الخامة بدلا من الإعتماد على الشركات الأجنبية، يمكن لهذه التعاونية من تحسين الصحة والتعليم وجودة الحياة في بلدان الجنوب، ليكن نقل التجربة من الشمال إلى الجنوب فالغرض إنساني يهدف إلى الدعوة لدول الجنوب التوحيد من أجل مقارعة دول الشمال وإنهاء الإستغلال الذي يسهم في إضعاف تلك الدول واستمرار تبعيتها لها. إن مقصود موران هو عرض المسألة الإقتصادية ورصد السياقات اللازمة لبناء إقتصاد مستقبلي يدعو من خلاله إلى تنمية الإقتصاد الأخضر.

إجتهد موران في إيضاح أهمية الطاقات المتجددة خاصة في دول الجنوب، إن خطة موران إنما تتشكّل عبر تقديم دول الشمال كل ما تحتاج دول الجنوب من أجهزة الطاقة "للرياح المد والجزر والشمسية" بدلا من تقديم الإعانات المالية التي يبتلعها على حد تعبيره الفساد، إن الإنطلاق في مشروع كهذا سيوفر مناصب شغل للسكان تغنيهم عن التفكير في البحث عن الهجرة لدول الشمال لغرض البحث عن العمل، يسعى موران

---

[1]– نحن نجد أن موران يستخدم كلمة كوكبة لتعويض العولمة وهذا ما أشار إليه في كتابه المشترك مع جان بودريار عنف العالم 2003.

[2]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص145.

[3]– المصدر نفسه، ص145.

إلى تنمية إقتصاد الدول عبر فرض الضرائب الإيكولوجيا على انبعاث الكربون، على الأنشطة الملوثة بهذا تكون للدول مداخيل تمكنها من الولوج بهذه الأموال إلى الإستثمار في مجال الإقتصاد الأخضر، الذي سيحل على الدول مشاكل متعلقة بالإسكان وبالتمدّن، سنصل إلى مرحلة لن يتم إستخدام السيارة إلا للضرورة القصوى، للتخفيّف من مصادر التلوث يستوجب فرض ضرائب على المصانع كونها الملوّث الأول للبيئة، يصوغ الإقتصاد الأخضر ليكون المنقذ للدول من تبعات خطرة، قد تكون حتى سياسية، فالحل قد يرتسم فيه وبشكل جذري كما يدعو موران إلى "**تنمية إقتصاد تعددي**" يكشف موران عن إمكانية بناء إقتصاد متعدد عبر منح القروض وكذا بالتجارة العادلة إعطاء الفرص لصغار المستثمرين عبر تدريبهم وادماجهم في النهوض بالاقتصاد، يجب إنهاء السمسرة من خلال تأسيس إقتصاد جديد مبني على المؤسسات الناشئة وهذا لا يتم إلا ب"**تنمية التجارة العادلة**" بحيث على الدولة مرافقة هذه المؤسسات حتى لا تبتلعها المؤسسات الكبرى، يدعو موران إلى ضرورة توفير الإنصاف في عملية البيع لصغار المنتجين خاصة في دول الجنوب مع إعطائهم الفرصة لإثبات جودة منتجاتهم التي ستخضع لمعايير الجودة، يدعو موران للنهوض بإقتصاد العالم إلى تبني مجموعة من السبل التي من الممكن أن تصنع إقتصاد المستقبل عبّر عنها "تخفيض أو إلغاء ديون البلدان الفقيرة، وتزويدها لمصادر الطاقة المتجددة وضع قواعد تنظيم إقتصادي للحد من المضاربات المالية"[1] كما يدعو موران إلى ضرورة التضامن بين دول العالم، باعتباره الحل الأول الذي ليس بعده حلول إذا لم يتحقق للمضي قدما في سبيل مواجهة الرأسمالية التي إلتهمت كل شيء بما في ذلك الفن كما أوضح ذلك في صناعة النجوم السينمائية " في تلك الأثناء يكون المنتوج المصنع قد صار سلعة، فاللنجم ثمنه وهذا أمر طبيعي ،فحياة النجوم الخاصة والعامة تتمتع دائما بفاعلية تجارية أي إعلانية"[2] فالرأسمالية المهيمنة ارتسمت طريق للتحكم في الإقتصاد رغم المقاومات اليسارية التي لا تكاد تتوقف، بعد تناول مشكلة الإقتصاد وسننحو صوب معالجة قضية شغلت موران منذ السبعينات وانبثقت بقوة في السنوات الأخيرة وهي مشكلة الجمال وفن العيش وكيفية تذوّق الحياة.

ثالثا: الجماليات كمخرج، أو تأسيس فن العيش:

يبدو أنّ الأزمات التي نعيشها قد شكّلت إنزياحا في تشكيلنا لمعنى الحياة التي إستحوذت عليها العقلانية الأداتية التي دشّنت عصرا جديدا لم يعد وجيها فيه التساؤل عن معنى القيمة الجمالية، قد يتساءل متأمل ما الغرض من الأدب والرواية والمسرح والموسيقى في عصر لا تؤمن إلا بالتقانة؟ عصرنا عصر الإستهلاك والإقتصاد بيد أن موران لم يغفل العودة إلى طرح التساؤل كيف نعيد المعنى إلى الحياة؟ إن تساؤلا من هذا القبيل هو ما تحتاجه البشرية لفك رموز أزمتها حقا وافترضنا أنه المخرج الحقيقي للأزمات الإنسانية، إنتبه موران إلى أن الجمال قد ولج في عصر الأزمة، أزمة فتكت به كما فتكت بكل النظم المعرفية، ولمّح إلى هذه

[1]– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، مصدر سابق ، ص159.

[2]– إدغار موران، نجوم السينما، تر: إبراهيم العريس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ط1، ص119.

الأزمة في الفصل الثالث من كتاب "عن الجماليات" 2016 الذي إستأنف فيه ما كتبه في كتب "السينما أو الإنسان التخيلي" 1956 وكتاب "النجوم" 1957 و"روح العصر" 1962 و 1976، إستمتع موران بسحر الصورة "إن العدسة تمنح كل ما يقترب منها جوا أسطوريا فهي تنقل كل ما يقع في مجالها بعيدا عن الواقع"[1] بيد أنه إعترف في كتاب النجوم أن السينما ولجت عالم الإقتصاد من خلال سرد كيف يتم شراء ذمم النجوم والمنافسات التلفزيونية على إعتلاء قمة الهرم سواء في الإنتاج السينمائي أو في الإستحواذ على النجوم.

كان موران حذقا جدا في توصيفه للواقع السينمائي منذ 1957 واستشرف ما سيقع في هذا الحقل بدقة خاصة ما وصلناإليه مع HBO و NETFLIX بيد أن النجوم في عصر موران كان رواتبهم تراوح 200 دولار لكن اليوم إنبثق عصر جديد توجّه نحو الجماهير "اعتبارا من الثلاثينات أدخل تيار الثقافة الجماهيرية الجديد في صميم الإعلامي بإلحاح متزايد بعض المخططات والموضوعات التي جعلها تنتصر في الخيالي، بعبارة أخرى تجاوزت الثقافة الجماهيرية الخيالي ووصلت إلى الإعلام[2] وكانت الثقافة الجماهيرية محوّر إهتمام موران قبل إنبثاق المنهج أواخر الستينات وبداية السبعينات، إن المتأمل لحياة موران يلفى أنه فقد أمه في سن مبكر (العاشرة) من عمره وتوفي والده 1984، فعوّض حنان الأم بالتوجّه إلى الأدب فكان ملما بروايات ديستوفسكي الجريمة والعقاب وأشعار بودلير وسنفونيات بتهوفن[3]، تيّقن أنها ليست مجرد منتجات للتسلية إنها أعمال عظيمة تكشف لنا حقائقنا وآمالنا وتزودنا بفهم الوضع الإنساني ويقول عن نفسه " إنني أنتمي إلى جيل علمته الكتب والسينما أيضا" يؤمن موران أن الجماليات المنفصلة عن الدين يمكن أن تحمل بها الفائض الواقعي الذي لا يطاق، طرح موران في كتاب تعليم الحياة 2014 تساؤلا شكّل مرتكزا أساسيا تتقوّم به إشكاليتنا هنا، ماذا يعني أن نعيش؟ هل البقاء على قيد الحياة يكفي للقول أننا نعيش؟.

لم نجد في الكتاب إلا تنبيهات لا تسمن ولا تغني عن النهم المعرفي الذي دفعه موران فينا بيد أنه خبأ ذلك إلى كتاب منفصل ونقصد هنا كتابه عن الجماليات، كتب موران "أن نعيش هو مغامرة تتضمن في حد ذاتها شكوكا تتجدد دوما ومن المحتمل أن ترافقها أزمات أو كوارث شخصية أو جماعية وأن نعيش يعني أن نواجه الشك دون انقطاع، بما في ذلك الشك في اليقين الوحيد المتمثل في موتنا لكننا لا نعرف توقيته بالدقة[4] إنّه ضمن تجربة العيش يستوجب خوض مغامرة العيش التي ستحدد لنا السبيل من أجل مستقبل جديد للسعادة إرتسم موران خطتها:

---

[1] - Edgar Morin ; cinéma ou l'Homme immaginaire , op cit, p24.

[2] – إدغار موران، روح الزمان ، ج1، مصدر سابق، ص107.

[3] – يعترف موران بأنه غرق في مرحلة مراهقته في الجماليات وأثرت على عقله كان إستماعي إلى إفتتاحية أوبرا السفينة الشبح هو ما أذكى قراري بالإنضمام للمقاومة كما قادني ديوان موسم في الجحيم لرامب أنا وصديقي جاك فرنسيس رولاند إلى المغامرة السرية: إدغار موران، عن الجماليات، مصدر سابق، ص13.

للعلم فإن موران شارك جون روش في إخراج فيلم يوميات صيفية 1961 الذي قدّم في مهرجان كان السينمائي الدولي ونال جائزة النقاد.

[4] – إدغار موران، تعليم الحياة، مصدر سابق، 25.

أ: أزمة الجمال: إنه علينا الآن أن نتبين أزمة الجماليات التي ارتسمها موران[1] لمّا أخذ على عاتقه كونه عالم نفس عصامي مهمة تحليل النفس البشرية يقول في هذا الصدد "إن الحياة البشرية ثنائية القطب بين جزئه النثري نفعل أشياء بالضرورة دون متعة وجزئها الجمالي حيث على العكس من ذلك نزدهر ونتشارك"[2] فالجمالي عند موران هو شعور ينبثق من النفس البشرية بمجرد مشاهدة أو تحسّس أو شمّ ... إن حضور لوحة فنية أو رؤية بحر أو قمة جبلية مرصعة بالثلج أو حتى مشاهدة قط يتمدّد يثير فينا شعورا بالجمال، مع ضرورة الإشارة إلى أن الحالة الشعورية بالجمال أو الإحساس بالجمال، يختلف من شخص لآخر "فإنه يتقوى ويتطور في ظل ظروف شخصية أو ثقافية أو تاريخية أو إجتماعية معينة "[3] فالجمال هو شعور وإحساس يتمثّل بالقصدية، توجيه الشعور اتجاه شيء معين قصد تذوّقه والحكم عليه حكما جماليا، بيد أن الفن ولج أزمة بسبب تعميم الإقتصاد والإستهلاك، الذي طغى على الفن وألزمه طريق السوق، إن إنفصال الجميل عن الديني الذي كان في عصر النهضة "إستقل الفن تدريجيا عن وظيفته الدينية في أوروبا الغربية بعد عصر النهضة، إذ إستعادت الجماليات الأعمال ذات الغاية الدينية فجعلتها لغاياتها الخاصة"[4] لم يكن لغرض إستقلاليته الخاصة من أجل تعليم الناس الجمال والشاعرية والجمالية وعدم التردد على النثري الذي لا جمالية فيه.

كان السوق يترقّب هذا الإنفصال عن الديني في القرنين التاسع عشر والعشرين واستبصرت الجمالي ستكون منتج مطلوب للإستهلاك إذ لم يطل الوقت حتى أرسى الجمال "تبعية متنامية للسوق، فتحوّل العمل الفني إلى سلعة"[5] إن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى قد أضفت على الفن مرحلة جديدة تتسم أنها تقبل الجديد الذي كان في أغلب الأحيان ملعونا، غدا هذا الجديد الذي سيطر على المقاولات والتقنية والإقتصاد والسيارات بيد أن وجه الجدة هي كونه: "يعتمد عمل الرسام على السوق وبالتالي على التاجر، التاجر هو من ينتقي الرسام وفقا لما يعتقده أنه ذوق المستهلكين، إذا كان ذا بصيرة فسيكشف موهبة غير معروفة وسينجح في جعلها مشهورة.. بالمثل يعتمد نشر عمل الكاتب على الناشر...."[6] أصبح الجمالي أو على الأقل الفني خاضع إلى تاجر غير متخصص يوجه عمله لغير المثقف، وهذا النظام إنما يجعل المواهب ترتكس في مهدها، مما يجعل المثقفين يتوجهون إلى وأد أفكارهم حتى قبل ولادتها، أما الكاتب فلا تختلف وجهته عن الفنان، قدّم موران مثال رفض دار النشر غاليمار لعمل بروست، مما يدعو المؤلفين للتوجّه لدور نشر صغيرة

---

[1]- فكّر موران أن يكتب الجزء الأخير من موسوعة المنهج بيد أنه لم يحدث ذلك ونحى صوب الكشف عن هذا الجزء الأخير والمسمى بالأخلاق.

[2]- إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية، ج5، مصدر سابق، ص252-254.

[3]- إدغار موران، عن الجماليات، مصدر سابق، ص16.

[4]- المصدر نفسه، ص26.

[5]- المصدر نفسه، ص33.

[6]- المصدر نفسه، ص35.

التي من المحتمل أن تستثمر في عمل مبهر سيحقق لها نجاحا ماديا كبير، إرتسم موران كيفية إنتاج الأفلام وهو المتخصص في هذا الشق المعرفي "يتم إنتاج فيلم حسب تقسيم العمل والتخصص، لقد اتخذ هذا الإنتاج حجم الإنتاج الصناعي في نظام هوليوود لأنه مكرّس لتحقيق أعلى ربح"[1]، لم تعد الأفلام الفكرية تستهوي أحد، بل تمّ تكرّيس نظم معينة تستهدف عموم الشعب من خلال اللعب على أوتاره المشاعرية فتصاغ حبكة الأفلام وفق النهايات السعيدة كما أشار في كتاب روح العصر، يتم صناعة أبطال وهميين لغرض صنع ثقافة معينة –التغريب– في أوساط الناس ويرسمون لهم طريق الحضارة، مما يجعل من هؤلاء الأبطال النجوم آلهة تستعبد البشر بكل الأشكال في الحياة.

أشار موران إلى أزمة النثر التي محت كل أفق جمالي لم يعد الإنسان اليوم يتوفّر على ذوق جمالي ولا يستشعر أي صياغة جمالية في أي حقل يتطلب تذوقا جماليا، مردّ ذلك حسب موران هو الإنغماس في ثقافة التخصّص التي فتكت بالحضارة، إن التقانة قد مكّنت كل ما هو تقني كمي على حساب الكيفي، بل إنه عصر إنعدام جودة الحياة، تناولنا في كتاب السبيل 2012 كما تناول موران أيضا من خلال كتابه هل نسير إلى الهاوية 2009، لاحظنا كيف أن الإستهلاك والتوجّه نحو ثقافة الربح الطاغية قد مست بجودة الحياة التي أبطلتها التقنية، إن هذا الإرتسام لأزمة الجمال لم تمنع موران من كشف خطة لمواجهة هذه الأزمات التي ضربت الفن ومداواة هذا الإنعراج الذي فتّك الجماليات فكيف أرسى موران هذه الخطة:

ب: نحو تطبيب الجمال: من أجل أن نقف على المنزلة الرفيعة التي خص بها موران الجماليات في تعليمنا للشاعرية يستوجب علينا ان نقف عند جملة المقامات التي دلّ عليها موران، فهو يرسم للفنان مهمة خاصة ليرسو بها معالم الطريق نحو إنبثاق جديد للإنسانية "يشعرون أنهم منخرطون في مهمة تتجاوز الأدب وتتعلّق بمصير الإنسان، إنهم في حالة من النبوة الإجتماعية، تحوّل هوغو في الشيخوخة إلى شاماني[2] يكشف من خلال شعره وأعماله عن رسالة ليس بالنسبة لفرنسا فحسب، بل للبشرية جمعاء، رسول الحرية فيختار المنفى كي لا يعاني من الطغيان الذي يدينه في ديوانه"[3] لا يعوز الفن أن يطبّق ما أنجزه فهو يرسم السبيل نحو عيش حياة الكرامة، تضفي الجماليات على الفرد الروح الكافية للمقاومة في عالم اكتساه النثر، حالة الشاعرية وصفها موران ب"الحالة التي يحوّلنا فيها إنفعال ما يمكن أن نشعر فيها بالإعجاب والمشاركة والتعجّب وأننا محمولون ومجهّلون وملهمون ، إنها تحاذي التصوف دون أن تكون دينية"[4]، إن رؤيتنا لأعمال عظيمة في حالة من السحر فهو بمجرد رؤيته يختلج أنفسنا وما يفتئ حتى يتملكّنا فيصنع طريقا للشاعرية وتدخلنا في

---

[1]– إدغار موران، عن الجماليات، مصدر سابق، ص37.

[2]– الشامانية يمكن أن تصوّر على أنها ظاهرة دينية موجودة في شرق أسيا واليابان وسيبيريا وحتى عند السكّان الأصليين في الأمريكيتين، يهتم هؤلاء بمعالجة المرضى بشكل ذاتي من خلال تحقيق التوازن بين قوى الإنسان الداخلية والقوى الخارجية الروحية المحيطة به، فالشاماني يعالج كل الشرور التي تصيب الإنسان من الشياطين التي إستحكمت على ذاته الضعيفة.

[3]– إدغار موران، عن الجماليات، مصدر سابق، ص51.

[4]– المصدر نفسه، ص24.

حالة من الوجد، يدعونا موران للتخلّص من حالة النثر التي أولجتنا فيها التقنية والحسابات الكمية والتعرّف إلى الشاعرية بكونها لزاما.

يجب أن نتعلم أن فن الطبخ يرسم لنا طريق للتذوق فالمرء لا يتوقف عند الأكل باعتباره إشباعا للغريزة فالشاعرية هي استحضار الذوق لا الأكل، يجب أن نتعلم الإستمتاع بمشاهدة بحر هائج، وجبل يكتسيه البياض وقط يتمدد، يجب أن نتعلم كيف نتذوق الحياة، إن الخوض في مسألة الشاعرية أمر ملهم عبّر عنه موران، إذ ينقلنا من سؤال كم نحتاج لنعيش؟ إلى سؤال كيف يمكن أن نعيش؟ إن هذا الإنزياح إنما كان دعوة صريحة للإستمتاع بالحياة، إن الشعر هنا ليس الخواطر التي يكتبها الشعراء، بل هي حالة شعورية تأتي من التذوّق، كتذّوق عمل فني تذوّق شعر، تذوّق فيلم، هي حالة من التصوّف اللا ديني، في محاضرة لإدغار موران ألقاها في المهرجان العالمي في صيف 1990، أقرّ موران أن الشعر إنفصل عن أي ثقافة علمية نثرية وأقام ثورتين: الأولى هي الرومانسية وبالأخص الألمانية ضد كل أشكال الغزو النثري والثانية هي الثورة السريالية[1] التي رفضت أن يبقى الشعر منغلق داخل القصيدة فالشعر يجد منبعه في الحياة في واقعها وصدفها ونحن نعلم الأهمية الكبرى التي يعطيها السرياليون للصدفة.

رسم موران خيوط الشاعرية في الحياة بدعوته إلى ضرورة التخلي عن اعتبار دور الثقافة كوسائل للتسلية واعتبارها كمراكز لمعالجة الأزمات الإجتماعية فهي يستوجب أن تعبر عن الواقع المأزوم الذي يستوجب أن يحل مشاكله، يجب أن نتعلم التربية على الجماليات فهي باعتبارها مصدر للمعرفة بالإضافة لكونها مصدر للجماليات كما بيّن ذلك هيغل، بالجماليات يتعرّف الإنسان على نفسه وعلى العالم ففي الجماليات يتواشج الواقع بالخيال، من خلال الأفلام والروايات نتعرّف على ثقافات الآخر، به يتسنّى لنا معرفته والتعرّف على كيفية التواصل معه، إستشعر موران الموسيقى العربية بقوة وأثنى على دخولها إلى الموسيقى الفرنسية "قبل سبعين عاما كانت تبدو هذه الموسيقى غريبة وسخيفة، مر الإعتراف بها بمراحل بفضل إنريكو ماسياس – فرنسي من شمال إفريقيا– الذي أدخل إيقاعات شرقية في أغانيه، ثم توسعت ثقافتنا واكتشفت آذان الغربيين مطربين مثل: فريد الأطرش والرائعة أم كلثوم ثم المغنية اللبنانية فيروز"[2] يمكن التعرّف على ثقافات الآخر من خلال الجماليات أكثر مما نفعل في العلوم الإنسانية من خلال الأفلام نتعلّم أن الإنسان كائن مركب، كائن عاقل وأحمق وأسطوري واقتصادي ولعوب، كما تعبر الأعمال العظيمة القارات والأزمنة فهي عبارة عن رسائل متى ما تمّ فهمها تمّ التأسيس لفهم بعضنا البعض، يدعو موران إلى إدماج الجماليات في العلوم الإنسانية كونها هي من تفتح أفق فهم الإنسان المركب والمعقد "هناك تكامل مع العلوم الإنسانية والأنتروبولوجية والتاريخ وعلم الإجتماع والإقتصاد وعلم النفس التي تكون منفصلة في التخصصات لكن

[1]– نشأت المدرسة السيريالية –ما فوق الواقعية– الفنية في فرنسا في 1920 في رحم الدادئية وضمرت تقريبا في عام 1947 تحاول التعبير عن كل ما يختلج العقل الباطني وخواطر النفس متأثرين بفرويد راجع: طاهر البني، مذاهب الفن التشكيلي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2024، ط1، ص144.

[2]– إدغار موران، عن الجماليات، مصدر سابق، ص101.

الرواية توحده في طبيعتها المتمردة إنها ذات طبيعة عابرة للتخصصات"[1]، دعا موران المراهقين إلى ضرورة العيش في بطون الكتب والروايات التي تعبّد الطريق نحو الإندماج في عالم الكبار، يتوافق موران هنا مع هيدغر بكون الحقيقة تنكشف وتنجلي في الفن فكون الفن وسيلة للتعبير عن كل ما يحتاج الإنسان عن معاناة، إنما الغرض يكون في تطبيق المعاناة بالفن الذي لا يراه إلا أصحاب النظرة الثاقبة، أن تستشعر الفن أن تتذوقه، ان ترى المرامات التي حاول الفنان إيصالنا إليها، رغم أن ذلك يستدعي نظرة ثاقبة وذكاء لا يمتلكه الكثيرون.

تذوق موران الموسيقى منذ مراهقته الأولى ما دفعه إلى الإعتراف بجميل بتهوفن عليه "تجرأت على إدراج بتهوفن في كتاب فلاسفتي لأنه عبّر أحيانا بشكل مباشر بواسطة إشارة موجزة عن معنى عمله الفني"[2]، بماذا نفهم الإنسان؟ من خلال التعجّب والإعجاب فهي قدرة مفيدة للفرد والمجتمع تجعل الإنسان يعبّر عن انبهاره بعمل ما، وهي ما تحيلنا إلى الفهم الذي اعتبره موران أجمل ما في الذات الإنسانية، يصر موران أنه يجب أن يسهم الفن والجماليات في شعرية الحياة "يتغذى الإنسان على الخبز وعلى الشعر أيضا والحال أن لديه حاجة متزايدة إلى شعر الحياة في ظل حضارة الحساب والربح والتجزيء وعدم الكشف عن الهوية"[3] يدعو موران إلى ضرورة المشاركة في تناول الطعام في مشاهدة فيلم معا، ويصر على أن العزلة تفقد الجمالية كما هو أن تشارك السعادة فتزداد فتنهدم كل أسس الرياضة والكم التي ترتكز على منطق: كلما شاركنا شيء نقص، كما يدعو إلى ضرورة التربية على الجماليات "من اللازم أن ندفع الأطفال إلى حفظ القصائد ويتلونها باعتبارها سحرا سيكون من الضروري تبيان كيف تمثّل الرواية والمسرح والسينما والشعر وسائل لمعرفة كل ما هو إنساني يجب تأصيل الأعمال بالتعليم المستمر في عقول التلاميذ"[4] التربية على الجماليات هو رهان موران من أجل الإنعتاق من أزمة نثرية الحياة وتحريرها يجب أن نتوقف عن اعتبار ان كل شيء خاضع للكم ونبني عهد جديد يتقوّم بالجماليات ويستعين بها، يجب أن نثق أن الجمال هو المخرج من مطبات الحياة هكذا إرتسم موران خطة الخروج من أزمة تعقّد الحياة عن طريق الجمال، إن التطرق إلى هذا المبحث إنما يفتح الطريق أمام توجه موران لبناء ثقافة إنسانية عالمية مشتركة تتميز أنها أخلاقية فكيف بلوّر ذلك؟.

---

[1]- إدغار موران، عن الجماليات، مصدر سابق ، ص 104.

[2]- المصدر نفسه، ص 107.

[3] - المصدر نفسه ، ص110.

[4]- المصدر نفسه ، ص111.

المبحث الرابع : نحو بناء أسس للعيش المشترك

أولا: في تحديد الأزمة الإنسانية:

إن موران قد رسم منذ 1976 الأزمة كمفهوم مركزي في فلسفته ليس فقط لتحديد ماهيتها بل تغلغلها في كل الأطر المعرفية والإجتماعية، وطبيعة الصعوبة في انكشافها بكونها ثاوية في كل المسائل، والإنسانية لا تعدو إلا أن تكون أحدها، إنه من أجل أن نفك هذا الإرتباط بين الأزمة والإنسانية، يستوجب رسم خطاطة توضيحية لبيان مدى التعميق الحاد للأمر، ولتحديد ذلك بات علينا توضيح نتيجة مورانية لافتة للنظر وهي إستخلاصه مايسمه ب"العقل الأعمى"، هذا الاقرار امتشقه موران من التقدم العلمي الصارم الذي نخر وهز أسس الإنسانية وهو ما رسم صورة جديدة للإنسان، حيث أن موران طفق يفتتح هذا المنحى بإقرار قدمه في مفتتح الفكر والمستقبل " هناك جهل جديد مرتبط بتطور العلم نفسه، وهناك عمى جديد مرتبط بالاستعمال المنحط للعقل "[1] إن هذا التنبيه الذي قدمه مفاده أنه على خلاف ما يبدو من غاية العلم فهو ليس تطورا ولا تقدما، فإنسان القرن السابع عشرة كان يمتلك تصورا على أن العلم قادر على انتشال الإنسان من حالة الهمجية ورصد التقدم والرفاه وفتح أفق واسعة للعيش والحياة، بيد أن وعود الحداثة لم يتم الانتباه لمآلاتها ولم يتم التبليغ عن الجهل بأنه فيروس قاهر يتم تغيير شكله ويكون متخفيا في جلباب العلم، وأن العقل الذي ارتضاه الحداثيون كرهان للوصول إلى وعودهم لم يكونو على دراية أنه هو أيضا أعين يمكن أن تصاب بالعمى، ونحن نبلغ الآن إلى وضع إنساني مختزل في مطبات العلم فكيف رسم العلم مسار الأزمة الإنسانية؟ وفيما تتمثل هذه الأزمة؟ إنّ تساؤلا من هذا القبيل يبدو بديهيا فالعقل والعلم رهانان تم الوثوق بهما وبات واجبا الخوض في فحصهما. في 2003 كتب موران نصا مشتركا مع جان بودريار Jean Baudrillard (1929–2007) بعنوان يحوي من الخطورة ما جعلنا نشعر بضرورة دراسته "**عنف العالم**" إهتم موران بظاهرة انبثقت من سقوط الاتحاد السوفياتي [العولمة] هذا المصطلح الذي تم بناء آمال عليه بيد انه لم يتنصل من ما وقع فيه العلم والعقل.

أ: أزمة العلم: كشف أنّ المسالة التي نذرها موران في تدبير العلم الذي غدا واجبا علينا أن نمتحنه؛ لا يخفى علينا مكتسباته وما أسهم به من تيسير أمور العيش والرفاه وتحقيق مبتغى البشرية الاقتصادي ــ وان كان ينحصر ذلك في الغرب دون غيره ــ بيد أنه لا يمكن إغفال الشكل السلبي وعلينا ان نفتح العين الثانية كما اقر موران في متونه إلى مآل إليه من حروب عالمية فتكت بالبشرية ومن أزمات إقتصادية خانقة، انه من الحقيق بنا الإشارة إلى هذا التنبيه الذي قدمه موران إذ أقّر العلم أصبح يصدر منه كل أشكال التخويف للبشرية واستنزاف لإمكانياتها وخطر على وجودها، قدّم العلم الفيزيقي قنبلتي اليابان وفتك بالملايين ومازال يخبئ الكثير من شأنه أن يهدد الوجود الإنساني، إنه في هذا المستوى من الإستشكال تنكشف أزمة العلم وتتحدد

[1]- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص13.

معالمها بيد أن ذلك يحيلنا إلى إستشكال أكثر أهمية: كيف يمكن للعلم أن يشكل خطرا على كينونة الإنسانية في حين أنه إنتاج إنساني؟ هذا يحيلنا إلى الشكل الثاني من الأزمة.

ب: أزمة العقل: إن تغلغل الأزمة إلى العقل الإنساني لم تكن وليدة الصدفة، بل كانت بواكيرها منذ نشأة العلم الغربي المكتمل، إن غرضنا ليس بيان أو توضيح باطولوجيا العقل بل الإشارة إلى كونه أحد نوازل الأزمة الإنسانية التي ارتسمها موران، ولأجل هذا الغرض لن نسهب في تحليل هذا الموقف الذي خصص له موران فصلا كاملا في كتابه الفكر والمستقبل، كما ان تحديدنا لأزمة العقل الإنساني بتهديد الإنسانية كان من أجل إيضاح الخطاطة ورسم كل خطوط الأزمة التي تجذّرت وتغلغلت وحذّر منها موران، ووجه الطرافة هاهنا هو تقديم موران أصبع الإتهام كما سبقت الإشارة إلى ديكارت دون هوادة والذي أسهم في الفصل بين العلوم "صاغ ديكارت هذه المنظومة المسيطرة على الغرب عن طريق الفصل بين الذات المفكرة والشيء الممدود أي الفصل بين الفلسفة والعلم، وكذا عن طريق وضع الأفكار الواضحة كمبدأ للحقيقة"[1] إن هذا الفصل الصارخ بين العلوم وإنتاج علوم نموذجية وضعية تعتمد على التحقق الامبريقي أردفه تخلي واستغناء سافر على إشكاليات الإنسان، هذا أنتج عقلا يدمر المجموعات ويفصل ويختزل كل شيء في العلوم الامبريقية، بينما العلم الحقيقي كما ارتآه موران لن يكون إلا عبر لم شمل المعارف وأن العلم لن يصبح قابلا للبيان إلا عبر الإنسان.

ج: أزمة العولمة: إن غرضنا هنا هو الكشف عن الأزمة الإنسانية في شكلها النهائي فبعد بيانها كما تمحورت في العلم والعقل سنشق طريقنا إلى الأزمة الإنسانية في شكلها الشامل والتي حددها موران في العولمة، إنه من أجل البقاء تحت سقف الفكرة المورانية وجب التنبيه إلى أن موران في كتابه عنف العالم وازن بين مفهومي العولمة والكوكبة وهذا التماهي ليس وليد اليوم بل هو متجذر في بداية الرحلات الأوروبية إلى إفريقيا وأمريكا وما أعقبه من استعباد لشعوبها ونهب لثرواتها وعودة موران إلى تاريخية العولمة لم يجعله يغفل عن العولمة الحقيقية التي إنبجست مع سقوط الاتحاد السوفياتي وانبثاق مايسمى بالأمركة التي ترافقت مع انتهاء الاستعمار وظهور شكل جديد من الكوكبية مرتبطة لإقامة ترابط بين دول العالم عبر انصهار الحدود الطوبوغرافية في رأسماليات باردة صقيعية إستهلاكية ورمزية سلبت ذهنيات العالم وأولجته في شكل جديد من الإغتراب، هذه العولمة التي أغرقت البشرية في حربين عالميتين وبعدهما في سوق الأسلحة النووية إبّان الحرب الباردة، وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي والإقتصادات البيروقراطية غدا العالم سوق عالمية واحدة يُسيّر عبر الاقتصاد الليبيرالي "أصبح سوق الدولة عالميا كونيا وأدير من قبل الليبيرالية فالسوق التنافسي بوسعه ليس فقط ضبط الاقتصاد إنما أيضا معالجة القضايا الاجتماعية الكبرى هذا السوق كجسد إنساني الجميع يدخل إلى دائرة البضاعة ،العولمة ربما تساهم في توحيد كوكبنا؛ في الواقع إنها تروّج في العالم بأكمله إقتصاد السوق، العلم، التقنية إنما أيضا قواعد ومعايير العالم الغربي"[2] لم يغفل موران دور العولمة، بيد أنه ينبغي علينا أن

---

[1]– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص15.

[2]– إدغار موران وجان بودريار، عنف العالم، تر: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2005، ط1، 76.

نضع هذه العولمة موضع مساءلة عميقة فالأليق بنا أن ننبه إلى أن هذه العولمة التي قصد بها موران كل اختراق للحدود في شقّها السلبي هي انصهار للآخر في المركزية الغربية؛ إنصهار إجتماعي ثقافي هووي ما يرسم لنا خريطة عنف مغايرة للمتوقع، فهناك عنف يمارس بإسم العولمة ــ الكوكبة ـ يتم فيها إخضاع الآخر عنف وسمناه أنه هووي [هوياتي] ثقافي واجتماعي ففيما تتمثل تمظهرات هذا العنف الذي أكّد عليه موران؟

د: تمظهرات العنف، أو كيف ننصهر في الكوكبية: خليق بنا أن نشير إلى أن موران عالج ضرب من العنف الإنساني الشامل، ونحن نعثر في مؤلفاته على اتهام خطير قدمه للمثقفين الألمان الذين عجزوا عن احتواء العنف العنصري، إن موران هاهنا رأى أن رأس الإشكال محتوى في العنصرية واعتبرها الرابطة الأولى لقيام كل أشكال العنف، ففي كتابه ثقافة أوروبا وبربريتها الذي صدر سنة 2005 أصرّ على أن هتلر كان نتاج للهمجية والعنصرية الأوروبية المعادية للسامية والغجر والزنوج أنتج ذلك حربا عالمية أولى إفتعلتها الشيوعية وحرب ثانية للنازية لغرض تطهير العرق، غير أن موران سرعان ما ينبه إلى أن هذه الحضارة هي الأساس "لم يتمكن الشعراء الكبار مثل غوته والموسيقيين الكبار مثل بيتهوفن والتقاليد الديمقراطية الموجودة قبل الحرب العالمية الأولى من احتواء البربرية"[1] ولم يضطلعوا بالمهام الموكلة لهم كمثقفين، فأوروبا التي غيّرت قبلة العالم، من ثم فإن الغزوات التي قامت بها إلى أمريكا وإفريقيا وأسيا ناقلة إليها الكوكبية فهنا يمكن أن نستخلص تمظهرات العنف الأوروبي متعدد المرامي، وجدير بنا تتبعنا بحذر هذه المقاربة بحيث نتجنب الوقوع في العبث التأويلي لمراد الفيلسوف[2] بيد أن موران لم يغفل أن الحضارة الغربية حضارة علم فهذه العنصرية التي أسهمت في الحروب حدّد موران ترياقها أيضا في أوروبا، ومن البيّن أنّه خصّص الفصل الثاني – من الكتاب الذي أقامه في ثلاث فصول – لبيان أن الثقافة الأوروبية هي الحل والترياق الذي يقعّد للإنسانية ويسهم للعيش المشترك، نلاحظ ميل موران ميلا لطيفا صوب الإنسانية وهمومها، وقد رسم بكل حنكة فلسفية تمظهرات العنف في أكثر من موقف في مؤلفه نحو سياسة حضارية، فيبدو أنه ذلّل الطريق نحو إستبصار ما أسهمت به الحضارة من تأزمات خانقة، فبربرية العقل أسهمت في إنتاج عقلية أوروبية تندرج ضمن النظريات الإستعلائية التي تقصي الآخر، وتقيم ما يعرف بسياسة الإلغاء، بيد أن وجه الطرافة يكمن هنا أن هذه السياسة لا تطبق على الآخر الذي لا ينتمي إليهم – إفريقيا أسيا أمريكا – فقط، بل أيضا بالآخر الذي ينتمي إليهم " إننا نرى جماعات تم إقصاؤها وضواحي فاسدة ومناطق ينعدم فيها الأمن في مدننا الأكثر تحديثا، أصبحنا نرى إنطلاقا من الآن

---

[1]– إدغار موران، ثقافة أوروبا وبربريتها، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 2007، ط1، ص 48.

[2]– معنى أن نفهم فيلسوف هو أن نجد جذر إشكاليته التي يفكر داخلها وأن نرتئي طبيعة الأطر المعرفية التي يتفلسف داخلها، ومن ثم فمن المشقة بما كان إدعاء ذلك على موران وايجاد صيغة سردية واضحة المعالم للقبض على فلسفته، نفترض هنا أن ما وصلنا إليه في تحليلية العنف عند موران كانت عبر قراءة متأنية لمؤلفاته، ومحاولة إيجاد بيت القصيد من موقفه ، الذي حاول أن يبيّن موقفا رومانسيا من العلم دون مواربة ولعل العلم فضلا عن الطفرات الكبرى التي حققها بيد أنه لم يغفل عن المآلات التي قادت هذا العلم إلى إظهار بربرية الإنسانية وبالأخص في ألمانيا التي لم يستطع مثقفوها من احتواء االعنصرية التي ستنتج الحرب العالمية الثانية وهذا ما أودى بنا إلى إظهار موقف موران من العنصرية.

عاطلين لكن نعتقد أنهم ليسوا مهمشين إلا بشكل ظرفي إن حضارتنا بإمكانها إدراجهم تدريجيا"[1] إنّ هذا الإقصاء والإلغاء الذي يفرده أفراد على آخرون ينتج ردات الفعل التي يقوم بها هؤلاء المهمشين لإستدراك وجودهم وكينونتهم، والخروج من قبضة البؤس التي أولجهم فيها هؤلاء.

إنّ المتأني في قراءة موران يلهمه إهتمامه بكارل ماركس وتحليله للرأسمالية التي سلعنت الحياة وأضحى كل شيء سلعة قابلة للتفاوض بما في ذلك قوة العمل، والمحلل لهذا الكلام يستصيغ أن يغترف مصطلح بيير بورديو Pierre Bourdieu (1930-2002) "العنف الرمزي"، وهو ما يتم ممارسته من طرف حضارتنا، هذا العنف الذي ما فتئ موران يحلله ويفرد له فصول في متونه، إن إقتران هذه الظاهرة بمتتبعات العنف المعاصرة والتي يمكن تبيانها في مجموعة صيغ إفترضنا أنها محددات العنف الراهن.

الإرهاب: إن الجرأة التي حاولنا إلتماسها في أنفسنا من خلال تحليلنا للعنف الرمزي والذي يفضي إلى ردة فعل يقوم بها أولئك الذين تم إقصاؤهم لمحاولة إعادة صياغة كينونتهم، هذه ردة الفعل عادة ما توسم بالإرهاب، علينا أن نقف عند جرأة موران الذي حلّل المصطلح –الإرهاب– تحليلا معمقا يبدو أنه يفترض أن إلحاق الإرهاب بالإسلام ضرب من المغالاة الفكرية، هذه التلميحات نجدها في مؤلفه هل نسير إلى الهاوية "الإرهاب يصح على منظمة يقوم نشاطها على الإعتداء والقتل الجماعي للساكنة المدنية ... لا يمكن أن نختزل الإسلام في القاعدة بيد أن وسائل الإعلام الغربية تختزل كل ما هو إسلامي في ماهو إسلاموي وكل ما هو إسلاموي في إرهابي محتمل"[2] بذلك يصبح هذا الإستئناف لتعريف الإرهاب مشروعا، الإرهاب ليس مشروعا إسلاميا وغير مرتبط بالفوبيا منه ولا بأمريكا ولا بالصراع الضاري الحاصل بينهما، فالأمر يتجاوز كل ذلك، إن مكمن الصعوبة في مفهوم الإرهاب يصدر من تحديد الممارسات المقترفة ولعل أبرزها التي حددت هذا المفهوم – ولعل أبرز من حدّد هذا المصطلح المؤلف الجماعي –ذهنية الإرهاب لماذا يقاتلون بموتهم؟ – المشترك بين جان بودريار وجاك دريدا Jacque Derrida وإدفوليا ميEdfolia Mee وامبرتو إيكو Umberto Eco – ونخص بالتحديد جان بودريار شريك موران في كتاب عنف العالم الذي أقرّ بجرأة أن الإرهاب هو حصيلة تم جمعها من البعد والرؤية الواحدة للعالم، لم يستبعد فرضية أن الإرهاب هو من إنتاج منظمة CIA الأمريكية وطرح أسئلة وجيهة "أليست الدولة قادرة عل القضاء على الإرهاب؟ من يستغل من؟ ما هي رسالة الإرهاب الخفية؟ حتى لو لم يكن الإرهاب موجودا أليست الدولة قادرة على إنتاجه؟"[3] الإرهاب في تحيلاته المعاصرة التي إستهدفت العولمة، الدولة أمريكا، بعيدا عن التوجيهات الإعلامية– بورديو – المسيطرة على عقول الشعوب وصنع ثقافة المخيال ودس السمائم على الشعوب المستضعفة –الإسلام– وتغليط الرأي العام بصدد إعطاء الشرعية في التدخّل على الدول وشؤونها ورسم إقتصادات مهترئة وتقوم بصياغة أيديولوجيات الشعوب

---

[1]– إدغار موران، نحو سياسة حضارية، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ط1، ص11.

[2]– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا للنشر، 2012، ط1، ص108.

[3]– جان بودريار وآخرون، ذهنية الإرهاب لماذا يقاتلون بموتهم؟ تر: بسام حجّار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003، ط1، ص ص 106–108.

وفق المصالح الأمريكية، فمن جهة الموضوع يفترض موران أن لا أحد يولد إرهابيا أو عصبيا، بل يكتسبها مع فساد منظومات التربية، فالحرب والعنف حسب البيان الأول لليونسكو توجد في العقل قبل كل شيء، وشرّح فيها مشكلة الإرهاب وسلّم أن "يتم فيها إستخدام الكلمة في كل مرة للتنديد بكل السلوكات القاتلة، رغم أنها لا تدل إلا على ذعرنا"[1] فالإرهاب عند موران هو وليد الدغمائية المنحرفة المودية للتعصب، بيد أن التساؤل الوجيه الذي فرض نفسه علينا هاهنا: كيف للمرئ أن يصبح متعصبا؟.

قدّم موران صورة واضحة من ثلاث مقامات هي من تقعّد للتعصب، الصورة الأولى هي الإختزال "نزوع العقل نحو الإعتقاد بمعرفة الكل بمعرفة الجزء"[2] أو ما يمكن لنا بوسمه بالمعرفة السطحية وإصدار الأحكام المسبقة –المصادرة على المطلوب– وهو الأية الأولى لحمل فكرة التعصّب فعصر العولمة علّم الإنسان الحكم على الآخر من خلال الإستباق من موقف واحد وهنا بلغة هيدغر [الإنسان القائم] وليس [الإنسان الأصلي]، أما المقام الثاني هو المانوية "لا تقتصر على الصراع بين الخير والشر، بل تضفي الإطلاقية على الرؤية الأحادية الجانب للإختزالية"[3] فإضفاء صفة الشر المطلقة على العدو هاهنا ورسم صورة الكراهية عليه وتحميله المسؤوليات حول العنف والإرهاب سيحمل صورة مماثلة للعدو عنا بهذا الشكل سيقابل العنف بالعنف والكراهية بالكراهية هكذا ترتسم الصورة في الأذهان بإضافة مقام التشيء "تقوم العقول في الجماعة بإفراز أيديولوجيات أو نظرة للعالم كما تفرز ألهة"[4]، على هذا الأساس يحمل الإنسان تلك الأيديولوجيات ويقع في ما يسمى أوهام الكهف –بيكون او حتى مغالطة الإحتكام إلى السلطة – يؤمن بعصبية وإختزالية كل ماتم إنتاجه هكذا تكتمل نظرة موران في رسم هذه الخريطة للإرهاب؛ علينا أن نلاحظ أن جهود موران في رسم هذه الخريطة كانت معمّقة ويمكننا أن نصفها أنها محورية ضمن المشاريع الفكرية الأخرى، على هذا الأساس سيستصاغ لنا طرح إشكالية أساسية ماهي الحلول المقترحة التي قدمها موران لاجتثاث العنف والإرهاب وبناء قيم التسامح والإخاء الكوكبيين؟.

ثانيا: نحو فلسفة للتسامح أو بناء أسس التواصل الإنساني:

علينا أن نسجل أن موران كان أبرز الفلاسفة الإنسانيين في القرن العشرين بمشروعه الساعي لاستبصار المطبات والكشف عن ضروب المشاكل فأرسى أسس التسامح وتخطي العنف وإصلاح المجتمع، بيد أن وجه الطرافة والإشكال أنه قدّم أكثر من ترياق لأزمة العنف التي تختبأ وراء جلباب التقدم والتطوّر من بين تلك العلاجات إقامة مشروع التربية، إن مفتتح مشروع موران في التربية إنبثق من مقال حنا أرندت أزمة التربية الذي صدر 1957 والذي كان تنبيها صارخا للأزمة القادمة من عصر التنوير الذي أقصى كل تراث مفتتحا

[1]– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص.109

[2] - Edgar Morin, Eduquer á la paix pour résister á l'esprit de guerre, débat avec le monde, publier 05 février 2016,lu 30/06/2023, https://www.lemonde.fr/idees/article/2016/02/07/peut-on-prevenir-la-formation-du-fanatisme_4860871_3232.html.

[3] - IBid.

[4] - IBid.

عصر جديد من المعرفة مصدرها العقل، هذا المقال أصدّر ضجّة معرفية[1] وصل مداها موران الذي إستفاد من مدى إرتباط التعليم بالسلطة التي تهيّكل التعليم وما استحدثه موران من هذا المقال إفتتاح صيغ جديدة من التفكير، تعليم العيش والحياة، إن الغرض العام لهذا التنويه هو توضيح مدى إرتباط فكر موران بحنا أرندت، والإلهام الكبير الذي قدمته له ولعل المقالات المشتركة التي تم جمعها في كتاب مشترك بالإضافة لجاك دريدا المعنون بالمصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، يستخلص لنا الإرتباط الكبير بين المفكرين موران وأرندت، حاول موران إجتثاث جذور الإرهاب وإصلاح منظومات التربية وبناء الإخاء الإجتماعي وتفكيك العنف –بشكليه المادي والرمزي–، إن المتعجّل سيقر بمدى التباين في مشروعه وترامي أطرافه وصعوبة إستخلاص الشكل العام لمشروعه، بيد أن المتأني سيخلص إلى أن كل المشروع سينكمش لو طبقنا منهج التعقيد الذي تبنّاه موران.

أ: إصلاح المنظومة التربوية: إنّ غرض موران من الفصل الثالث من كتابه تربية المستقبل هو إستخلاص المقام الذي غدا فيه الإنسان المعاصر، أشار موران إلى أن التعليم بسط المجال للعبث في مفهوم الإنسان[2] وتفتيت جزئياته، إن الإقرار الذي قدمّه موران "إن الإنسان كائن عاقل عامل وواقعي إقتصادي ونثري كما هو منذور للوجدان وللأسطورة وللجنون وللعب وللتبذير وللخيال وللشعر وللحب ..."[3] يشير إلى الوحدة المركبة للإنسان حيث عمد موران إلى إيضاح هذه الفكرة وفتح باب الإتهام للإختزال الذي قدمته العلوم الطبيعية بجعله كائن فيزيائي، إن الفصل بين العلوم هاهنا هو بيت القصيد كون هذه العلوم منغلقة على الإنسان، أضحى من المستحيل تعلّم ما يعنيه الكائن البشري، بيد أنه بات من الملح تعلّم هذا المركب الإنساني، وأن يجعل التعليم غايته هو تحصيل الشرط الإنساني والرهان الذي قدمه موران هاهنا هو لم شمل المعارف المنفصلة التي جزأت الإنسان إلى كونه كائن فيزيائي وهذا ما أشرنا إليه في مبحث التربية.

ب: أسس العيش والتواصل: يبدو أن فتح موران لأفق المواجهة مع تشتت العلوم وتعلّم معنى الإنسان قد أرسى جملة عناصر يستوجب الأمر الإحاطة بها من أجل الإبانة عن أسس العيش وإرساء قيم التواصل والتسامح، ولعل ما خلص إليه في الجزء الأخير من الموسوعة [المنهج] كان منارة لنا نلتجأ إليها، إن موران كان على بيّنة أن بؤرة العنف تستوجب على المراهنة المستقبلية على أخلاق العيش والتواصل والسعي إلى فتح

---

[1]– حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل ستة بحوث في الفكر السياسي، تر: عبد الرحمن بشناق، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2014، ط1، ص237.

[2]– إن التركيز المورانى على المشروع الكانطي وإجرائيته للأسئلة الثلاثة ماذا أعتقد؟ ماذا أعمل؟ ما الذي يمكن أن آمله؟ كان واضحا بإنبجاس سوال موران الكبير ماذا يعني أن أكون إنسانا؟ هذا السؤال الذي إفتك مكانة رفيعة في مشروع موران إستلهم هذا المشروع من كتابه تربية المستقبل 2000 وكتاب العقل المحكم 1999 فالصياغة الكانطية انكشف إزاءها غرض موران بناء إنسان جديد وهو الإنسان الأصلي فكان غرضنا الفحص عن هذا الإنسان وتقصّي مسيرته ونقصد به الإنسان الكوكبي الذي يمكّنه من التعايش مع كل الثقافات على اختلافها.

[3]– إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص54.

الأبواب كافة لغرض تحقيق التواصل، والملفت للنظر أن كتابه برهّن على حس أخلاقي كوكبي، إن الأزمة المعرفية التي إنطلق منها في إصراره على أخلاق كوكبية هي الإنسان المشترك في الكوكب.

يصر موران على الإقرار أن البشرية متعلقة بالكوكب وأن الكوكب متعلق بالبشرية، هذا الموقع كما نعرف مركب بوصفه الدلالة الأساسية للمنهج الموراني، كما يقر موران من أجل تحقيق الإعتراف إستوجب الأمر الإعتراف بشتى التنوعات الثقافية والإجتماعية واختلاف اللغة والعرق، إن خطة موران في تقويم الأخلاق الإنسانية الكوكبية – مصطلح إستعاضه موران من مارتن هيدغر- ليست مجرد إشارة أو ترف فكري، بل مشروع متكامل المعالم ومن أجل ذلك رسم خريطة الأخلاق وافترض تسع وصايا في المنهج " 1- الوعي بالهوية الإنسانية المشتركة من خلال التنوعات الفردية والثقافة واللغة 2- الوعي بجماعة المصير التي تربط حاليا كل مصير إنساني بمصير الكوكب بما في ذلك حياته اليومية 3- الوعي بأن العلاقات بين الناس يدمرها عدم الفهم وأنه يجب أن نتعلم فهم ليس أقربائنا فقط، بل أيضا فهم الغرباء والبعيدين 4- الوعي بالتناهي الإنساني في الكون الذي يقودنا إلى تصوّر ضرورة تعيين الإنسانية لحدود توسعها المادي وتتعامل بموازاة ذلك مع تطورها الأخلاقي والنفسي 5- الوعي البيئي بحالة الأرض التي تشمل علاقتنا الحيوية بالمجال الحيوي، ليست الأرض حاصل جمع بين كوكب فيزيائي ومجال حيوي وإنسانية بل هي عبارة عن كل فيزيائي بيولوجي انتروبولوجي معقد 6- الوعي بالحاجة الحيوية للتوجيه المزدوج للكوكب التوجيه الواعي والإنعكاسي للإنسانية بالتوجيه البيئي المنظم اللاواعي للطبيعة 7- الوعي المدني الكوكبي، أي الوعي بالمسؤولية التضامن اتجاه أطفال الأرض 8- إمتداد أخلاق المسؤولية والتضامن إلى المستقبل مع ذريتنا ومن هنا كانت الحاجة إلى وعي ذو رؤية بعيدة بهدف إلى أبعد وأقصى الحدود في الزمان والمكان 9- الوعي بالأرض وطن المصير الأصل لا ننكر فكرة الأرض الوطن التضامنات الوطنية والعرقية ولا يميل إلى إستئصال كل شخص من ثقافته إنها تضيف إلى تجذّراتنا تجذّر أعمق في جماعة الأرض، تحل فكرة الأرض الوطن محل الكونية العالمية المجردة التي تجاهلت الخصوصيات الثقافية.[1] من أجل ذلك استوجب الأمر بناء سياسة إنسانية يسودها التضامن والأخوة.

إن الإقرار الذي قدّمه موران في بناء منظومة إصلاحية للمجتمع تهتم بـ" **إصلاح المجتمع** إنشاء الهيئات الكوكبية عبر إكمال مزايا الحضارة الغربية **إصلاح العقل** تشمل إصلاح المنظومات التربوية وتعلم الإنسانية الأصلية **إصلاح الحياة** تشمل إصلاح الروابط بين الروح والجسد وتقبّل الآخر والعيش مع الذات **إعادة توليد الأخلاق** تكون عبر أطر مركبة في منظومات التعليم فنتعلم الأخلاق والتضامن وإرساء أسسهما **مساهمة علم المصطلح** عبر إصلاح المعرفة والعلوم بحد ذاتها فنتنج معارف تنتج لنا إنسانا مصلحا"[2] ينبه موران إلى أن المقلق في الأخلاق المعاصرة أنها إنبنت على أخلاقيات السوق والربح ما أسهمت في بناء المجتمع المعاصر

[1]- إدغار موران، المنهج الأخلاق، ج6، مصدر سابق، ص167-168.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 40-60 بالتصرف.

هذه الأخلاق التي وسمها بالمانوية لها الدور الحاسم في العلاقة الإنغلاقية التي إستحوذت على البشرية، إن مجموعة الإصلاحات التي رسمها في الأخلاق والتي أطلق عليها **الأخلاق المركبة** يعتمد موران هاهنا في تبرير الأخلاق المركبة على ما أطلق عليه أخلاق الفهم هذا المصطلح الذي رافق موران منذ مؤلفاته الأولى، فالتربية المورانية إنبنت على الفهم يحصي موران أهم نزعة له وهي فهم الذات لذاتها، بهذا فقط نهتدي إلى فهم الإنسانية بذلك نتحاشى الوقوع في المانوية والإختزالية، بذلك الفهم سنخلص إلى إدراك الغير على أنه ذات يمكن المطابقة معها وإحقاق سبل التضامن والإخاء، فرغم خلاف العرق هناك وحدة الإنسانية الكوكبية، بهذا نخلص إلى الصيغة المورانية التنوع في الوحدة والوحدة في التنوع، بيد أن السؤال الملح هاهنا هو : ماهي الموازنة التي أقامها موران مع الفهم؟ إن الفهم باعتباره المقوّم الحاسم لمشروع موران فهو يستقصي صناعة التسامح، هذه العلاقة التي أقامها بينهما وليدة تقبّل الآخر المختلف وحق الغير في التعبير، وأن الحقيقة لا يضادها الوهم بقدر ما يضادها الحقائق الأخرى والتسليم بدور النسبية في الحقيقة كما دعى موران بالتسليم بدور الأسطورة في بلورة فكرنا وتأسسه كل هذا يسهم بشكل أو بآخر في إقامة الأخلاق.

ثالثا: تعليم الإنسانية وأوامر السياسة الحضارية:

إنّ الدلالة التي تحمل الإنسان في الكون معقدة، فمن هذه الزاوية إرتسم في المجلد الخامس طبيعة الإنسان وكانت دعوته أنه ينبغي أن تكون معرفة الإنسان أكثر علمية بيد أنها تستوجب أن ترافقها المعرفة الفلسفية والمعرفة الشاعرية، رسم موران الطبيعة المزدوجة للإنسان في الكون بقدر ما هو كائن ضعيف وصغير يتصف بالعجز ويتمثّل في كونه نكرة فيه هذا الكون الفسيح، بيد أنه يمثل ركيزة أساسية تتضمن كل صفات الكونية يشتمل داخله على كل ما في البشرية، ومن جهة ثالثة فكل إنسان يشكّل هوية خاصة تميزه عن أقرانه من البشر، ومن الإختلالات التي كانت في الهوية البشرية "بسبب تأرجحها بين الإستمرار والدوام والوفاء من جهة، والحاجة إلى تنويع شروط وجودها وتغيير علاقاتها وإثراء تجاربها بالمختلف والمتعدد والجديد من جهة ثانية"[1]، لقد تم تأصيل الإنسانية من الناحية البيولوجية والفيزيائية وانفتح الإنسان على العالم والغير وتغليبه لغريزة حب العمل والأمل في الحياة على غريزة الكره والتدمير والكسل، حقّق الإنسان إستفاقة –وعي– خطيرة في لحظة إنفجار العلم والثقافة، هذه الإستفاقة لم يتم تمحيصها بالشكل الملائم إذ أنها انفجرت ضد الإنسانية وسلبت الهوية الحقيقية منها، وهذا ما أفضى موران إلى البحث عن تأسيس هوية حقة، وعثرنا في المجلد الخامس من الموسوعة على الإنبعاث الأساسي لهذه الهوية المتعددة، إذ أقر بضرورة تعليم الثالوث البشري: فرد –مجتمع –نوع، والتنبيه المهم الذي صاغه بعدم التركيز على الفردانية التي

[1]– زهير الخويلدي، مستقبل الهوية الإنسانية من خلال أعمال إدغار موران، 2017/12/22، https://kitabat.com/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8F%D9%88%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%A3%D8%B9%D9%85/.

تغلغلت في البشرية، إذ ينبغي الخروج من حالة التيه والعودة للتمسّك باللحمة بين العقول البشرية والهوية المشتركة وإطلاق الحوارية وروح التضامن والتفكير الجمعي الذي بات ضرورة قصوى لما يتهدد مصيرنا المشترك، وبهكذا يجب إنتاج إنسان يشعر بانتماء لهذا العالم، على عادته إنغمس موران في القراءة المتأنية لمكتشفات العلم الحديث وبالأخص هاهنا نيلز بور الذي اكتشف تماثلا معينا بين علاقة الفرد بالمجتمع بالمماثلة باكتشافه للعلاقة بين الجسيم والموجة، "إذ يظهر الجزيء في الميكروفيزياء حسب نوع الملاحظة أحيانا كوحدة قابلة للعزل ومتمايزة أي الجسيم وأحيانا أخرى كمجموعة من العناصر المادية المتصلة أي الموجة، وعلى المنوال نفسه يبدو الفرد جزءا ماديا منفصلا ويبدو النوع مكوّنا متصلا وغير مادي من الواقع عينه، عندما يظهر أحدهما يختفي الثاني والعكس صحيح، من الممكن أن نغذي هذه الفكرة، إن علاقة الفرد بالمجتمع إذا نظرنا للفرد من الناحية النفسية نكتشف استقلاله وخصائصه إلى حد أن المجتمع يختفي في حين ننظر إليه إجتماعيا يختفي الفرد"[1] وهكذا إنه ضرورة ملحة تحليل الثالوث البشري من خلال مكتشف نيلز بور.

نجد أن الإنسان منظور إليه من الناحية النفسية ونلفى أنه يمتاز بكونه فرد له هوية خاصة يمتاز بمجموعة خصائص تفرده علينا، ينصهر المجتمع في هذه الخصائص، بيد أنه إذا نظرنا إليه من الشق الثاني أي الإجتماعي نجد عكس ذلك فنلفى أن الإنسان مجرد آلية تنفذ كل الحتميات الإجتماعية، من هذا الأساس نخلص إلى قاعدة مهمة: الإنسان يحوي المجتمع داخل كيانه كما أن المجتمع يحوي الفرد، كما أن النوع يكون في الفرد من خلال حمله الصفات الجوهرية للإنسان كما أن النوع يحوي الأفراد "يمثل الأفراد منتجات السيرورة المنتجة للنوع الإنساني غير أن الأفراد يجب أن ينتجوا هذه السيرورة ذاتها"[2]، أوضح موران أن المجتمع إنما يتم إنتاجه من تفاعل الأفراد فيما بينهم والنوع الذي ينتج الأفراد الذين بحد ذاتهم ينتجون النوع البشري من خلال كونهم حيوانات تناسلية تتفاعل فيما بينها، إن المغزى العميق الذي خطه موران هنا كان بلورة التعقيد الذي يجمع هذا الثالوث البشري، أشار موران إلى أن الثقافة هي من تجمع الأفراد وتتمم التفاعل بينهم، كما يوضح العلاقة بين هذه الأطراف الثلاثة إنما تتجسد في الحوار الذي من الممكن أن يصبح نزاع "يقمع المجتمع الفرد ويكبحه ويطمح الفرد إلى التحرر من هيمنة المجتمع، يتحكم النوع في الأفراد عندما يكرههم على خدمة غاياته التناسلية وتكريس أنفسهم للتكاثر، غير أن الفرد الإنساني يمكن أن يتخلص من التوالد واشباع دافعه الجنسي والتضحية بذريته في سبيل أنانيته"[3] يرسم موران أن الفرد والمجتمع والنوع بصفتهم متكاملين ومتنازعين، وبهذا خلص موران إلى أن غاية المجتمع وغاية النوع وسيلة كليهما، باختلاف غاية الفرد الذي يستحضر إلى جانب العيش من أجل المجتمع والنوع غايات أخرى من قبيل السعادة والعيش الرغيد والفكر والحب والمغامرة وغيرها.

---

[1]- إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية، ج5، مصدر سابق، ص53.

[2]- المصدر نفسه، ص54.

[3]- المصدر نفسه، ص 54-55.

– **أوامر السياسة الحضارية:** علينا أن نقدّر رغبة موران في إحياء الإنسانية حق قدرها، في متنه نحو سياسة حضارية ***إلتزم*** موران بصياغة مجموعة من الأسس الأخلاقية التي تضمن بناء حضارة إنسانية، خصّ موران هذه الأسس صبغة خاصة وهي تتعلق بكونها عالمية لغرض تحقيق المسعى الأكبر للتواصل وتتعلق هذه الأسس بما يلي:

أ: التضامن: إن المتبصر في طبيعة الفردانية يدرك مدى تغلغلها في روح الفرد فأفضى إلى نتيجة خطيرة وهي انهيار روح التضامن في نفوس الأفراد، إنزوى موران مع ثلة من الفلاسفة من أجل تطبيب هذا الإشكال وإحياء التضامن الذي بات الخيط المنير الذي سيفتح أفق العيش، بيد أنه يستوجب التنبيه إلى نقطة حاسمة هنا، ليس المقصود بالتضامن تلك التسهيلات التي تقدمها الدولة تجاه مواطنيها من تيسير سبل العيش لهؤلاء الذين تعسرت عليهم وأطبقت عليهم الدنيا، بل ذلك التضامن الفردي تجاه أفراد وصوب مجموعات، وتضامن مجموعة تجاه فرد أو أفراد أو حتى مجموعة أخرى "في كل شيء إمكان للتضامن يبرز أثناء ظروف إستثنائية وهناك عند قلة من الناس غريزة دائمة تدفع إلى حب الغير لا يتعلق الأمر بنشر التضامن وإنما بتحرير القوة غير المستعملة للإرادات الخيّرة وسلوكات التضامن كما قال فكلان هافيل: "لا أتوقف عن التوصّل إلى حجج جديدة تؤكد أن إمكانا هائلا من الإرادة الخيّرة"[1] فالسياق الذي جعل موران يدعو إلى التضامن بكونه سبيل إحياء الإنسانية هو يقينه بالطبيعة الخيّرة التي يحويها الإنسان على غرار ما ذهب إليه روسو، ومن الحقيق بنا أن نشير إلى أن موران إنما اجتهد لبناء مجتمع مؤمن بالتغيير رغم كونهم أقلية بالأخص في المدن الكبرى، فهذه الأقلية على وعي بمطبات المجتمع وتكون على استعداد دوما للتضحية من أجل الجماعة دون مقابل مادي.

ب: سياسة جودة الحياة: إن مسعى موران في تجسيد جودة الحياة إنما يكمن في الإنزياح من جودة الحياة بمعناها المادي إلى معناها الوجودي وتتأسس عبر جودة التواصل مع الغير والمشاركة العاطفية الودودة مع الإنسان، هنا يتوجب الإستغناء عن الدولة والتخلي عن فكرة أن السياسة إنما غرضها الأكبر هو تحقيق السعادة، إذ يصّر موران على قاعدة أساسية مرتكزها "لا يمكن للسياسة خلق ما يشعرون به، بل يجب التخلي عن الإعتقاد بأن هدف السياسة هو السعادة، بإمكان السياسة ومن واجبها إقصاء الأسباب العمومية للتعاسة [حروب المجاعة، الإعتداءات ...] لكن ليس بإمكانها خلق السعادة"[2] إنه ينبغي علينا خلق الأفق الذي يجعلنا سعداء وهذا عبر أبواب كثيرة ولعل الباب الأول الذي أشار إليه موران هو بيئي خاصة أن هذا المبحث الفكري قد امتشق لنفسه مكانا مخصوصا لا يختلف فيه اثنان وكذلك نلفى هنا سياسة المؤانسة التي تتضمن مودة تربط شخص بشخص ومشاركة الغير في متعه ولذّاته وكذا النضال ضد التشرذم وتلاشي الهويات وتنامي البعد التقني الذي قهر البشرية.

---

[1]– إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص41.

[2]– المصدر نفسه، ص44.

ج: لنغير الحياة: من أجمل المقولات التي قد تنتجها بنات الفكر بيد أنها أعسر ما يمكن تجسيده، إذ يتوجب علينا التوفيق بين الشكلين الشاعري والنثري للحياة بحيث أن الحياة النثرية "تتكون من مهام عملية ونفعية وتقنية وعقلانية والتجريبية والحياة الشعرية يشكل نمط من الحياة في التشارك الحب والمتعة والإعجاب والتشارك والتمجيد والطقوس والأعياد والشكر والرقص والغناء والموسيقى والبهجة ليبلغ أوجه في النشوة[1] إن الحالة النثرية والشعرية قطبان لحياتنا بحيث يجب ان يرتبط بعضهما ببعض، ويدعو موران إلى التأصل أو التجذّر ورأس الأمر هو البحث عن كينونتنا الحقة في وسط هذا التدهور الذي نعيشه، وكان نتيجة للتجانس والتنميط وتلاشي الهويات الذي تكلّل بالقضاء على التنوّع الثقافي وإتلاف الجذور، وكانت دعوة موران إلى إنقاذ النزعات الثلاث الوطنية القارية والكوكبية، بحيث نجد أنفسنا ملزمين بالدفاع عن هويتنا الوطنية بالتمازج بين الإنفتاح الذي يتقبل ما يفيده من الخارج والإنغلاق الذي يتجسد في الدفاع عن الوطن والذود عنه والنزعة القارية التي عبّر موران عن قارة أوروبا هنا إذا يتوجّب إعتبار أوروبا وطن كل الأوروبيين، واستحضار المبدأ الثالث من الثورة الفرنسية والمتمثل في التآخي وكذا النزعة الكوكبية التي ستشكل منزلنا الكبير الذي لا بد من الحفاظ عليه، هذه هي الأوامر الثلاث للسياسة الحضارية، بقي أن نستحضر محطات موران الأكثر غموضا وخطورة والتي حاولنا أن ندرجها في الفصل الثالث والمرتبطة بالمطبات التي وقع فيها مشروعه الفكري وكانت كما يلي:

[1]– إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص45

الفصل الثالث

ثقب إدغار موران الأسود

- **المبحث الأول: الأخلاق، أو كيف نؤسس لمجتمع أخلاقي؟**
- **المبحث الثاني: إشكالية الديني في فلسفة إدغار موران**
- **المبحث الثالث: الأزمة كعلم ونموذج المخاطر**
- **المبحث الرابع: مساءلة إبستمولوجية لمنهج التعقيد**

الفصل الثالث: ثقب إدغار موران الأسود

تقديم:

إنه علينا أن نتبين في هذا الفصل الخطير كيف أن مشروع موران إنما ينطوي على مطبات إشتغلنا على تعقبها، بيد أننا إنتهجنا الحذر الصارم في اعتراضاتنا التي نعتقد أنها انبنت وفق تحديدات إتكأت على مشاريع قريبة من مشروع موران، عوّلنا على النقاش الشهير بين موران وطارق رمضان في جامعة جورج تاون بالدوحة –قطر– وارتسمنا اعترضاتنا حول الأخلاق وحاولنا التأكيد أن الأخلاق ليست رهانا كما إلى ذلك موران بل هي ضرورة وواجب كما أكّد على ذلك المفكر السويسري –من أصل مصري– وبدون هذه الأخلاق يتعذر علينا أي تصور للمجتمع، موران المفكر اللاأدري الذي صرّح في أكثر من مرة ضرورة تجديد العلمانية بكونها الخيط الهادي للمجتمع، وحاول ارتسام الحلول المناسبة للخروج من أزمة العلمانية –ثقب العلمانية الأسود – إعترضنا على هذا الموقف باعتبار موقف كبار الفلاسفة بكونهم نبهوا إلى موقف قوة الدين في الفضاء العام، بحيث لا يمكن تغافل الدين في تشكيل الحياة السياسية في عصرنا، هذا الإعتبار إنما إنبنى بعودة الديني بعد الحرب العالمية الثانية بالرغم من أن موران لم يشر إلى إنحسار الديني، أما المقام الثالث الذي تمّ إستشكاله هاهنا هو مقام الأزمة الذي كان لب وجوهر مشروع موران بيد أن التساؤل الذي أوردناه هاهنا هو: هل كل ما تعانيه البشرية هو أزمات ؟ هل كورونا أزمة؟ هل يمكن قيام علم الأزمات؟ إستأنفنا مشروع أولريش بيك الذي حدّد أن العالم اليوم يعاني من مخاطر وليس أزمات ففي كتابه مجتمع المخاطر 1986 ارتأينا أنه ليس من الممكن أن نعمم هذا المصطلح متقفين مع الأستاذ عبد الكريم عنيات الذي قدّم قراءة لكتاب لنغير السبيل دروس فيروس كورونا 2020، وقد ألفينا أن موران تطرق إلى هذ الفكرة في 1976، أي إلى تعميم إستعمال مفهوم الأزمة، هكذا حاولنا تتبّع مشروع موران الفكري الذي أسس فيه لفكرة المجتمع المثالي، ثم عوّلنا على كتاب روبين فورتين في نقد المنهج خاصة بعد تعرضنا للمقدمة التي تقبّل فيها موران النقد والإعتراضات المنطقية التي قدمها فورتين على نحو من الإجازة المنطقية، حاولنا الخروج من هذا الفصل بقراءة لمشروع موران تكون خاتمة لهذا العمل من خلال التوضيح أن موران بكونه فيلسوف علم بالمقام الأول وفيلسوف وحشي كما يسم نفسه، قد اتكئ على منتجات العلم في القرن العشرين ليؤسس فلسفته وبهذا سنلج إلى هذا الفصل الخطير عبر طرح التساؤلات التالية: كيف يمكننا قراءة بقية مشروع موران المستقبلي؟ وكيف سنقوّض مشروعه الفلسفي باعتراضات تبدو لنا حقيقية؟.

المبحث الأول: الأخلاق، أو كيف نؤسس لمجتمع أخلاقي؟

أولا: أزمة الأخلاق الفردية:

يتبين لنا من نصوص موران أن مشكلة الأخلاق كانت الركيزة الأساسية التي تقوّم بها مشروعه الفكري، إذ أقرّ أنه علينا أن نستفسر عما توصلت إليه الحضارة من طفرات على أصعدة شتى جعلت منها في وتيرة تصاعدية لا يمكن التنبؤ إلى أين ستصل، بيد أنها كشفت عن دلالة مطموسة وهي الأخلاق التي انهارت مع التطور التقني، إن التحديق المورانى لهذه الظاهرة كان حذقا ولم يختلف كثيرا عن التوجه الفرومي –نسبة إلى إريك فروم– الذي أشار إلى انهيار الإنسانية امام طغيان السوق "لم يسبق في كل حقب التاريخ الإنساني ان احتل إقتصاد السوق الاهمية التي يحتلها في وقتنا الراهن، فلم يعد إقتصاد السوق أداة لتلبية الطلب فحسب فهو يعني للكثيرين معنى الحياة بأكملها"[1] نحى موران هذا التوجه وارتسم طريقا وضّح فيه مطبات الإنسانية التي أولجتنا فيها التقنية، أسست نزعة الإستهلاك لنزعة الفردانية التي إستحوذت على الإنسانية واضمحلّت كل أسس التعاون والتضامن، ولم تعد البشرية تتأسس على قواعد التشارك، بل ولجت ليس في الفردانية فحسب بل في البربرية أيضا يقول موران "نحن نعتقد أننا متحضرون في حين أن مظاهر البربرية تستحوذ علينا من الداخل وتجرّنا نحو الأنانية والحسد والضغينة والإزدراء والنقمة والكراهية"[2] إن خطورة ما وصلنا إليه يتضح في خطورة ما أشرنا إليه، فلم تعد للحياة أي بعد شاعري وفقدت البشرية كل معنى للحياة.

إن النتيجة الصادمة التي انبجست عن العقلية الأداتية هي تلوّث وتسمم العلاقات الإجتماعية بحيث إنبثقت علاقات الجيب العلوي وأفضت إلى تعميم سوء الفهم وانعدام التواصل ليس مع الغير البعيد الذي لا ينتمي إلينا، بل حتى مع الغير القريب الذي نتشارك معه هويتنا وثقافتنا ولغتنا، أودت بنا نزعة الإستهلاك إلى بناء إقتران جديد للإنسان حيث كشفت عن ميله نحو نزعة التملك فسعي الفرد نحو إقتناء المنتجات قد أسست لهذه النزعة، التي لم يتلفّت عنها موران وبيّن وجه خطورتها أنها "يمزّق حب التملّك والغيرة الأزواج والأسر، فالحسد والكراهية لا ينغصان حياة المحسودين فحسب بل حياة الحاسدين أيضا"[3]، إنصهرت كل مظاهر الإنسانية واضطلعت البربرية في إيصاد كل الأبواب التي قد توادي إلى تشكيل إنسان متحضر، هذا الإنسان الذي ما زال يخط رسائل التعاطف والمواساة والأخوة التي كشفت عنها الأديان السماوية –رغم أنه تبنّى موقفا معارضا لها بيد أنه أشار إلى فضلها في كثير من المواقف– والنزعات الإنسانية منذ عهد بيك ديلا ميراندولا Giovanni Pico Della Merandola (1463–1494) وبلغت وجهها الأتم مع إرسموس Erasme (1466–1536) شقّت البربرية طرقا نحو الإبتذالية والإختزالية وكشفت بشكل قدير عن إشارات

---

[1]– إريك فروم، حب الحياة نصوص مختارة، تر : حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2016، ط1، ص27.

[2]– إدغار موران، السّبيل لأجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص365.

[3]– المصدر نفسه، ص366.

خفية كان قد خطط لها أو يتم التخطيط لها، وبهذا تكون هذه الإبتذالية قد جرت الحياة بعيدا عن الشاعرية نحو النثرية فهل أصبح الفرد في وقتنا الحاضر يستثيره خلق طرق للمحبة والصداقة والأخوة ووحدة الشعور واللعب؟.

إن تساؤلا من هذا القبيل جعل مفكرا من طراز موران يأن من هول الخطب الجلل، الإنسان العاقل المتحضر كما تسمه حضارته، إنشغل بالكسب وتحقيق الربح حتى من الأعمال التي كانت شائعة على أنها امتيازات مجانية وهبات وأعمال خيرية، بل غدا يتوجّس من عدم القدرة على جمع المال وهو يعلم يقينا أنه لغة الحياة التي ستفتح كل الأبواب الموصدة، إعتقد إنسان اليوم أنها مشاكل حقيقية متغافلا المشاكل الحقيقية العصية "حب التملّك والإستهلاك أو التدمير التي تحجب طموحاتنا الفعلية ومشاكلنا الحقيقية إذ تصاب روح النجاح والداء والفعالية بالتضخّم وتضخّم هي بدورها الطبع الأناني لدى الفرد"[1] تقتل الرغبة في الربح كل ما هو جميل في الفرد وتميل إلى إستعباد الإنسان عبر ما يسمى الوظيفة، كما يميل الربح إلى إخضاع الأفراد عبر فرض مزيد من الضغط عليهم من أجل السعي وراءه، ينطلق موران في الكشف عن تسممات الحضارة وظهور فتور العلاقات بين الأفراد، إنتبه موران إلى العلاقات الإنسانية بالأخص في المدن الكبرى، التي ما فتئت تتسم بالفتور وعدم الإكتراث والبغض والكراهية.

إن تلك الأعمال الإنسانية لم تعد تقبع في جوف الأفراد "يتم تجاهل المارة والمسنين او العجزة الذين يسقطون في الشوارع كما يتم تجاهل المتشردين ويهين سائقوا السيارات بعضهم البعض لمجرد خطأ يسبب دفعا بسيطا"[2] إنشقت الإنسانية ودخلت في موجة من تدهوّر الأخلاق وفرض الإكتئاب نفسه كمرض للعصر، لم تستطع وعود الحداثة أن تحافظ على الأخلاق رغم النجاح الكبير في المجال التقني، أظهرت الحرب العالمية الثانية فساد الأخلاق مع ظهور الأنانية المفرطة والنزعة الفردانية يُظهران بلا موارية حقيقة الأخلاق التي تضمحل في هذا الزمن، كما ينوه هنا موران إلى خطورة العولمة التي تزامن ظهورها مع 1989 إنما جاءت للتعبير عن التعميم الشامل لثقافة الرأسمالية التي خلقت أزمات لا تنتهي لعل أبرزها السعي وراء الربح وانتهاج مسار الفردانية القاتلة التي فتكت بأخلاق الإنسانية بشكل خطير إستوجب الإلتفاتة.

ثانيا: سبيل إصلاح الأخلاق:

هذا الفراغ الذي شهدته الأخلاق في عصرنا قد خلص موران في متونه المتأخرة إلى انتهاج سبيل إلى إصلاحها ومحاولة إنقاذ البشرية، وهو ما تبيّن من خلال الرباعية البيداغوجية وصولا إلى المجلد السادس والمعنوّن بـ "الأخلاق" 2004، وأطلق حركة الغرض منها إصلاح الفكر، حاول تطبيب الأخلاق والإبقاء على روح الإنسانية بعد الأزمة الصارمة، وإخضاعها لامتحانات الأنتروبولوجية والتاريخ والفلسفة ويقر الدكتور زهير الخويلدي "أنه لا يمكن إستنتاج الواجب من المعرفة، فإن الواجب يحتاج إلى معرفة حسب

[1]– إدغار موران، السّبيل لأجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص366

[2]– المصدر نفسه، 366–367

موران، لا يمكن إستنتاج الضمير الأخلاقي من الضمير الفكري لكن يستدعي الفكر والتفكير، يأخذ موران في بيان التواشج بين المبدأ الأخلاقي لباسكال للعمل على التفكير الجيد، غير أنه ألم يكن أداء المرء ليس بسيط ولا واضحا ولكنه غير مؤكد وغير متيقن ولهذا السبب فإن الأخلاق معقدة"[1]، بدلا من الإستسلام لادعاءه الكلاسيكي لتأسيس الأخلاق يدعو إلى تجديد مصادرها في المجتمع وفي الفرد، إنه يتعامل مع المشاكل الدائمة والمتفاقمة للعلاقة بين الأخلاق والسياسة والعلم، موران لديه فن يجعل المفاهيم ذات التعقيد الكبير في المتناول ومن اليسير الخروج من قراءة كتاب الأخلاق بتأكيد ضرورة توحيد الهوية الإنسانية، وربما إستعار الإتيقا من التبسيط والتشدّد والمانوية والذي يتوجه للفهم والتسامح يمكننا أن نتعرف إلى نوعين من الإتيقا، عقيدة السخط والسخط الأخلاقي للإختزال والتي تغذي بعضها البعض، يؤدي السخط دون تفكير أو عقلانية لتنمية الآخرين في نفس السياق.

إن كل سخط مغلف بالأخلاق لكن غالبا ما يكون مجرد قناع من الغضب الأخلاقي، إن عقيدة الإختزال تختزل الآخرين إلى ما هو أدنى، يدعو موران إلى ضرورة إصلاح الفرد عبر ما يدعوه بأخلاق الربط، فلأن إبليس مفرق لكننا أناس قابلين للربط، ويجادل أنه يتوجّب علينا أن نستبعد الإستبعاد "هكذا تلزمنا أخلاق الغير أولا وقبل كل شيء بألا نستبعد الغير خارج الإنسانية، لا تجتزئوا أحد من الإنسانية"[2] يتوجّب علينا أن نحقق أخلاق التقبّل والإعتراف بحيثث نصل إلى ما يمكن اعتباره نفي النفي، فعلى هذا الأساس يتوجب علينا إستبعاد الإستبعاد، وكراهية الكراهية، وازدراء الإزدراء، يمكن أن نبني وعيا جديدا بعيدا عن كل أشكال الهمجية والبربرية بحيث نحارب الإختزال الذي فرضه التخصيص عبر تحقيق الرضا، إن موران يوحي بأنه إذا ما ابتغينا إنتزاع الأخلاق التي قادتنا إلى الفصل عبر تعلّم إحترام الغير ورفع أسس المجاملة عاليا، يصوّغ موران أسسا يتوجّب أن ينبني عليها الإنسان من أجل وأد أخلاق الإحتقان التي وصلنا إليها بالأخص في المدن الكبرى حيث تظهر تطورات الهمجية الأخلاقية الداخلية.

يجادل أنه من أجل الخروج من هذه البربرية لا يكون إلا بتعلم الكياسة التي سترسم لنا الطريق نحو الحب "إن إلقاء التحية[3] ومصافحات الأيدي والعناقات والقبلات وكذا عبارات التأدب لها رمزية الحضارة المسماة الكياسة، إنها تسعى إلى نزع فتيل العداوة المحتملة لدى الغير وإلى إثارة مودته من خلال إظهار إعتبارنا له، إنها تظهر إحترامنا لشخصه واهتمامنا به، إنها تنسج شبكة من المودة"[4] فمعنى أن نقيم إعتبارا للغير يعني

---

[1]– زهير الخويلدي، فلسفة إدغار موران بين لا تناهي التعقيد والمنهجية العابرة للمعارف والهويات، https://youtu.be/5n-g0mvy5nA.

[2]– إدغار موران، المنهج الأخلاق، ج6، مصدر سابق، ص107.

[3]– التحية هي أول محاولة للإتصال بين إنسان وآخر، سواء كان ذلك لبدء يوم جديد أو لمجرد اللقاء والإتصال، وتعتبر التحية اول مؤشر إنساني لتكوين العلاقات، التحية هي إرث إنساني يتوجّب أن يتبناه الفرد ليعبر به عن أخلاقه= =التي تميزه، وللإستزادة في حقل الكياسة ينظر: فاروق الحريري، الكياسة في المجتمع المتحضر، دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد، 1986، ط1.

[4]– إدغار موران، المنهج الأخلاق، ج6، مصدر سابق، ص109.

أن نتقي شره ونكسب مودته، كما يتوجّب أن نرتسم سبيلا لأخلاق التسامح التي ستضمر أخلاق التعصّب التي أولجتنا في عالم من نفي الغير، كما يلزمنا موران بتقبّل الآخر المختلف عنا أو البعيد.

يبدو لنا أنّ موران يميّز بين ثلاث أنواع من التسامح يمكن أن تعلّمنا ما يجعلنا أفضل مع الغير: التسامح بمعنى فولتير هنا إستأنف رسالة في التسامح التي تقر أن علينا قبول الغير بل ويجب أن ندافع عن حقه في إبداء رأيه حتى لوكان رأيه قد خرج خروجا جديّا عن تطلعاتنا التي نرغب بها، أما الأطروحة التي تقول إن على الرأي الدنيء أن يضطلع السكوت فاعتبره موران ضرب من الدناءة، ولعل التمثيل الذي يمكن استحضاره هاهنا هو ستالين الذي كان يرسم حدود واضحة لحرية التعبير، أما الشق الثاني من التسامح الذي أشار إليه موران بكونه يقترن بالخيار الديمقراطي إذ أنه أقّر أن آية الديمقراطية هو تقبّل الأراء المختلفة حتى المتعارضة منها التي بها تتقوّم، ولا يتسنى لنا الخوض فيها دون إعطاء المختلف حقه في إبداء رأيه مهما كان متعارضا، أما المقام الثالث الذي أعطاه كركيزة للتسامح هو مقام امتشقه موران من العلم وبالأخص من الفيزياء، ونقصد هاهنا نيلز بور، إذ رصد أن كل فكرة عميقة يستوجب أن تكون ضدها فكرة عميقة مناقضة لها، وهذه الحقيقة التي يجب التسامح معها، إرتسم موران ذلك في قوله "بقدر ما يكون التسامح سهلا على غير المبالي والمستخف، يكون صعبا على من لديه قناعة، ينطوي التسامح على المعاناة، أي معاناة تحمل التعبير عن الأفكار المثيرة للسخط دون أن تثير عليها"[1] في أخلاق الحرية آمن موران أنها باعتبارها إمكانية للإختيار، فيمكن تلخيص أخلاق الحرية للغير بكلمات فون فورستر "إعمل بحيث يمكن للغير زيادة عدد الخيارات الممكنة"[2] ويؤطر لأخلاق الربط ونحن نلفى أخلاق الإخلاص للصداقة التي ستؤسس لخلق روح الأخوة وهي عند موران "ليست مجرد علاقة عاطفية من قبيل التعلق والتواطؤ بل الصداقة الحقيقية تؤاخي وتؤسس رابطة مقدسة تماما بين الأصدقاء"[3]، إن من بين محاسن الصداقة كونها عابرة للإثنيات وللطبقات بيد أن موران إعترف أن الحب قد يكون الرابطة الأقوى والأقدس "إن الحب هو التجربة الأساسية لربط الكائنات الإنسانية"[4] بيد أنه حذّر من الحب التملّكي الذي قد يتسبّب في انهياره، نحتاج إلى الحب الذي هو العاطفة الجيّاشة التي تحرّك العقل.

إننا نلاحظ أن موران قد أدرج أخلاقيات إصلاحية في كتاب السبيل 2012 حيث أصرّ على ضرورة بناء إندماج الأنا في النحن بكونه الضمير الجمعي الذي يتوجب على المرء أن يظفر به، إن التربية على هذا التضمين إنما سيؤدي إلى نتيجة مفادها أن هذا الفرد سيتعلم معنى التضحية من أجل هذا "النحن" بهذا ستتصهر كل اسس الأنانوية التي تضحي بـ" النحن" من أجل "الأنا" يتوجب تعلّم الإيثار والصداقة والتضامن وتحت هذه التوصيات فقط يمكن أن نتعلم معنى الأخلاق، بهذا نصل إلى تحقيق الثلاثية المورانية: فرد

[1]- إدغار موران، المنهج: الأخالق، ج6، مصدر سابق، ص110.

[2]- المصدر نفسه، ص110 .

[3]- المصدر نفسه، ص110.

[4]- المصدر نفسه، ص111.

مجتمع نوع، إنه على الرغم من كل هذه التلميحات التي ساقها لنا موران إلى أنه لم يغفل بناء الذات، إن الرهان هاهنا ليس تعويل الفرد على المجتمع من أجل بناء ذاته، بل يجب أن يتكأ على إصلاح ذاته على نفسه وعليه أن يدرك ذلك، يقول موران "لكن إذا ما أردنا الإصلاح الأخلاقي لا يمكننا الإستغناء عن الفحص الذاتي والنقد الذاتي، ويبقى الغير ضروريا لنا لكي نفهم أنفسنا"[1] إن من بين الأسندة التي يمكن أن يسند الفرد نفسه عليها لبناء ذاته أمّا الأخصائيون النفسانييون الذين حملهم موران المسؤولية يبدو أنها ثقيلة من أجل تعليمنا أن الغير الذي ننفر منه إنما يتوجب أن نستكين إليه وأنه ضروري لوجودنا، فمن خلال هذا الغير يتسنى لنا الوصول إلى النقائص التي أسفرت هذا العوز النزر في أخلاقياتنا، يجب على دور السينما والمسرح أن تسهم في تأسيس ذلك من خلال رصد المطبات ومحاولة تطبيبها، يجب أن نرسم سيناريوهات لا تصوِّر المتشرد على أنه ذلك البائس الذي يشكل خطر على المجتمع.

يتوجب أن نعالج أزماتنا التي أولجتنا في عالم عدم فهم الغير، بحيث لم يعد يتسنى لنا أن نقيم تواصلا مع الغير، كما لم يغفل موران عن العودة إلى ثقافة الواجب المهتلكة في المجتمع، إذ ينوهنا بضرورة الإلتزام بالواجبات المفروضة علينا اتجاه المجتمع، يتوجّب كما نطالب بالحقوق أن نضطلع بالقيام بالواجبات لأنها أساس مركزي تتأسس عليه الأخلاق كما أشار إلى ذلك سلفه كانط، رسم موران في 2019 طريق نحو تحقيق المواخاة مستأنفا شعار الثورة الفرنسية "حرية مساواة أخوة" في كراسته الأخوة لماذا؟ وهي كراسة صغيرة لا تتجاوز 60 صفحة إفتتحه موران بتحليل شعار الثورة حيث أوضح أن هذه المصطلحات ظاهريا لا يمكن أن تتكامل مع بعضها "لأن الحرية خاصة الإقتصادية يميل إلى تدمير المساواة، كما أن فرص المساواة يدمر الحرية"[2] وصل موران إلى ضرورة الجمع بينهما، لاحظ أن هؤلاء الذين يسنون القوانين تضمن الحرية أو تفرض المساواة، بيد أنها لا يمكن أن تفرض الأخوة لذا من الواجب أن تأتي الأخوة من سلطة أعلى وهي منا نحن الشعب، يتوجب أن تأتي الأخوة من داخلنا، ونحن نجد أن توسّل علم النفس في تحليله للنفس البشرية لما قسّم الإنسان إلى قسمين، "الأول برنامج متمركز حول الذات، من خلال هذا الأنا يؤكد كل شخص من خلال وضع نفسه في مركز العالم، على الأقل في عالمه هذا البرنامج ضروري، لأنه إذا لم يكن لدينا فلن يتم دفعنا لإطعام أنفسنا والدفاع عن أنفسنا والرغبة في العيش، لكن هناك برنامج ثان يتجلى منذ الولادة عندما ينتظر المولود الإبتسامة المداعبة التأرجح"[3] إن معنى هذا الكلام إنما يعني به ضرورة الجمع بين البرنامجين اللذين ينطوي عليهما الفرد، من الواجب أن يكون الإنسان متمركز حول نفسه، لأن غريزة حفظ البقاء تفرض عليه ذلك، من الواجب علينا أن نوفر الطعام لأنفسنا حتى نبقى على قيد الحياة، كما أنه من الضروري إبقاء أنفسنا بعيدين عن كل الأخطار التي تهددنا كما أننا حتى نتضمن داخل "النحن" من الجيد أن نندمج في حياة مع الأب الأخ الأم، لكي نتعرف على مواضيع مشابهة للذات بهذا نتعرف أولا على الغير

[1]– إدغار موران، السّبيل لأجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص392.

[2] - Edgar Morin, la fraternité pourquoi ? résister à la cruauté du monde, Actes sud, Paris, 2019, p1, p9.

[3] - IBid , p10.

القريب منا الذي ينتمي إلينا وننتمي إليه، بحيث تتولد عاطفة تجاه هذا الغير، بهذا تزدهر هذه الأنا التي يحدث داخل النحن، بهذا تضمر الأنانية تجاه هذا "النحن الصغير" وبهذا هذا النحن تكون أخوة في شكلها الأتم.

أشار موران إلى نقطة خطيرة، وجه الخطورة فيها يتمثل في ضرورة الفصل بين الأخوة المنغلقة التي تفصل كل الغرباء عن النحن القريب وتستبعد الآخر شيئا فشيئا، الأنا القومي تنفي الإنسانية وبهذا يقول موران "تعتبر أمتها أعلى من أي دولة أخرى ولها الحق الشرعي في قمع الآخرين"[1] على هذا الأساس كانت دعوة صريحة بتعلم الوطنية التي تسمح بالأخوة المفتوحة التي تنفتح على الأجنبي بل الأجمل من ذلك على حد تعبير موران أنها تقدم الإنسانية الكاملة للأجنبي مهما كانت صفته مهاجر لاجىء أو إلى غير ذلك، فالإنسانية المنفتحة تعلم يقينا أننا على مصير واحد في هذا الكوكب، إن وجه التمثيل الذي استحضره هاهنا موران كان إحتفال الجماهير بفوز فرنسا في 2018 "نتج عن الفوز في نهائي كأس العالم، كان هناك أخوة في الفرح الجماعي، حيث تم نسيان العنصرية [رغم أن الفريق يضم لاعبين سود واخرين من أصل أجنبي] سكان من شمال إفريقيا يلوحون بالعلم الجزائري والعلم الفرنسي... دعونا لا ننسى أن الأخوة تخرق قانون أي نظام ينطوي على تمييز وقمع"[2] ، يتوجب أن نتعلّم الوطنية التي تضمحّل فيها كل أشكال العنصرية القاتلة، التي تعتبرها السم القاتل الذي نخر ولا يزال جسد الإنسانية المتهالكة.

يعود موران إلى إستبصار المصادر البيولوجيا لانبثاق الأخوة التي تشكّلت كما أشار مع ظهور نظرية التطوّر لداروين، لم تسلم هذه النظرية من القراءات السلبية خاصة مع ظهور الداروينية الإجتماعية، "النضال من اجل الوجود البشري" 1888 لتوماس هكسلي Thomas Huxley (1825-1895)، بيد أن النضال من اجل الحياة لا يمكن اعتباره العامل المحدد للاختيار لصالح البقاء، حيث بيّن المفكر بيتر كروبتكين "إلى أن الأنواع الأكثر تكييفا ليست الأكثر عدوانية ولكنها الأكثر إتحادا، تم إخفاء هذه الأطروحة لمدة طويلة حتى بين علماء الأحياء"[3]، فالأخوة إذن بهذا المعنى تتقوّم بالإتحاد حتى يتسنّى لها مقاومة كل أشكال الخطر الذي يتهددنا ويرسم طريق زوالنا، على هذا الأساس نتعلّم أسس التعاون والتضامن والتكافل، وهي ركائز انبثقت مع نظرية التطوّر التي قرأت على أنها نظرية في الصراع لا في الإتحاد والتضامن بين النوع الواحد بل حتى بين أنواع مختلفة، ترتبط غريزة البقاء بضرورة وجود أنواع أخرى بهذا فالتكافل هو ما يضمن البقاء، يعلمنا هذا النظام الحفاظ على البيئة التي نعتبرها سندنا الأول من أجل البقاء.

تتأصل الأخوة عند موران بالعودة إلى مقولة هيرقليدس "الوئام والخلاف هما أب وأم كل شيء"[4] هذا ما أثبتته الفيزياء المعاصرة، يجب على البشرية أن تتعلّم أن الخلاف لا يشكّل عائق للوئام ولا الوئام يمكن أن

[1] - Edgar Morin, la fraternité pourquoi ? résister à la cruauté du monde, Op Cit IBid, p13.
[2] - IBid, p14.
[3] - IBid, p18.
[4] - IBid, p23.

يقطع دابر الخلاف، بهذا يتوجّب أن نستعين بهما كجوهرين أساسيين تعتمد عليهما كحلول لمشاكلنا، علينا ان نعترف إلى أننا بحاجة إلى النحن في كل مراحل حياتنا وأن نؤسس حيواتنا على الحب والأخوة، يتوجّب على الفرد أن يتخلى عن اهتمامه بالربح باعتباره الإنشغال الوحيد الذي سيضمن استقراره، كما أنه على المستهلك التخلي على فكرة الإمتلاك التي أولجتنا في عالم التقنية، يجب التوجّه إلى تعلّم فن العيش عبر شاعرية الحياة، يدعو موران إلى إضافة تلك الممارسات التعاونية في استخدام السيارات والشراء المشترك حيث تساهم شبكات الدعم في تكوين ونمو واحات الأخوة"[1] يدعو موران إلى ضرورة مجابهة العولمة عبر إنشاء منصات للتعاون الإجتماعي والإقتصادي على المستويات المحلية حتى نكبح العولمة التي همها القبض على الإنسان، والقضاء على روح التضامن، يتوجب السير بتيار معاكس للعولمة، فكلما كانت العولمة أكبر كان التضامن المحلي أكبر، بهذا يتسنى للتضامن القبض على العولمة الذي –التضامن– اعتبره موران المهد الأول للبشرية.

يدعونا موران لدخول المستقبل عبر زيادة قدرتنا على الفهم والحب والأخوة وإثراء الواحات من أجل ذلك، وعلى هذا الإعتبار سيكون السبيل الوحيد لإصلاح حضارتنا "الأخوة لا تتدهور كما أن حزب الأخوة لا ينقطع هو بالفعل حزب التجديد الدائم"[2]، وجه التمثيل الذي استحضره موران هنا هو اعتبار الأخوة كسفينة نوح صغيرة في محيط تقلبّات الزمن، فستكون هذه السفينة مقاومة لهذه التقلبات يدعو موران أيضا إلى "تنشئة وتطوير وعي الإنسانية من تجدّد الإنسانية"[3] لا يقتصر هذا التجديد على تعلّم الأخوة والمساواة بل يشمل الوعي المصير الإنساني والكوكبي المشترك، يجب أن نتعلّم أن الطبيعة هي منزلنا الأول فنحافظ عليها وبهذا يكون مفتتحا أوليا لمقاومة العولمة، إذا في الأخير يدعو موران إلى ضرورة إقامة أخوة ونقف في جانب صف الإيروس لكي نعيش مغامرة رائعة، الأخوة وسيلة لمقاومة قسوة العالم، يجب أن تكون هدفا دوما دونما توقّف بهذا نرسم طريق للتضامن، كانت كراسته مغامرة ممتعة قدمها لإستشراف مستقبل الأخلاق، بيد أن الأخلاق يتوجب أن تتقوّى من الراهن وهذا ما سنلج فيه في المطلب الثالث

ثالثا: نقد سبيل الأخلاق:

عند عتبة هذا التوضيح سنشرع في تقديم بعض الإعتراضات على إدغار موران ليس الغرض منها انتقاصا من مشروعه الفكري ولسنا بصدد إقامة مماحكة معرفية لمفكرنا، فنحن نعرف قيمة موران من حيث هو مفكّر إنساني يؤدي مهامه على وجهها الأتم، كما أننا استبصرنا جيدا معنى النقد "باعتباره يرشدنا إلى مواطن الحسن والضعف"[4] إذ أننا سنهتم بمواطن الحسن في توجهات موران أكثر من توجّهنا إلى مواطن النقص مع تنبيهات قد نختلف فيها مع موران، هذا الإختلاف له مبرراته التي لم نغفل عنها، رغم أننا حاولنا

[1] - Edgar Morin, la fraternité pourquoi ? résister à la cruauté du monde, Op Cit, p50.
[2] - IBid, p56.
[3] -IBid, p56.
[4] – فائق متى إسحق، مذاهب النقد ونظرياته في إنجلترا قديما وحديثا، ج1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دس، دط، ص6.

أن لا نجانب الإختلافات المعرفية لا غير، وسنحاول ان نستشهد بمفكرين تبنوا أفكار تباينت مع أفكار إدغار موران، ولعلنا سنستحضر المفكر السويسري من أصل مصري "طارق رمضان" الذي ناظر موران في مراكش في حدائق المامونية وأدار الجلسة المفكر الفرنسي كلود هنري دي بور وبعد تحدّد معالم الحوار بين الطرفين –موران وطارق– اعترف دي بور –بكونه رئيس للجلسة– أن إدغار موران يعتبر مفكر كبير ومرجعي كما أنه يحظى باحترام كبير في كل أوروبا، عكس طارق رمضان الذي يعاني من تشويه متعمد لسمعته وفكره، وهذا عائد لعدة أسباب منها: كون والده إسماعيل رمضان كان أحد أهم أفراد الإخوان المسلمين في سويسرا وفي أوروبا بشكل عام، هذا ما ورّث نجله نظرة لا تقصّها علو مقامه الفكري ولا الأكاديمي، حيث لم يتمكّن أن ينفّك عن سلطتها الرمزية عليه، ولعل ذلك في عدم الإعتراف به كمفكر من الدرجة الاولى وعادة ما يتم وسمه بكونه أستاذ بسيط، ولعل ما فعله رئيس الوزراء الفرنسي "مانويل فالس بعد رفضه سنة 2012 الجلوس مع طارق رمضان على طاولة نقاش، هذا التصرّف الذي لا يمكن أن نجد له مبرر، وجعل "دي بور" يطرح سؤال العنصرية وعلّق موران أنه إستنكر هذه الظاهرة التي لم ينسلخ منها السياسيين في أوروبا عموما وفرنسا بالأخص التي لا تزال تشيطّن المفكر طارق رمضان كما يتوجّب علينا التنبيه إلى أن طارق رمضان له قضايا في العدالة تم رفعّها عليه وهو ما زاد كمية التهم والإزدراء الذي يعاني منه، كما حضرت صباح أبو السلام التي كانت لها تدخلات في قضايا المرأة وجرت المناظرة عبر يومين 23و2013/06/24 أفضى هذا الحوار إلى ظهور كتاب "خطورة الأفكار"[1] 2014 الذي طبع أكثر من مرة.

كما تجدّد اللقاء بينهما في جامعة جورج تاون بالدوحة قطر حيث عنونت المحاضرة التي قدّمها موران "الأخلاق في عالم اليوم بين التنظير والتطبيق" بعد المناظرة الأولى بأربعة أشهر 2013/10/29 في كتاب خطورة الأفكار أشار موران وطارق إلى إنقلاب المعايير الأخلاقية في المجتمعات الحديثة، أشار موران إلى سلبية إستعمال "تقدم العلم" الذي لم يعد يهدف إلى خدمة البشرية وتطويرها عبر خلق فضاءات حياتية صالحة من خلال توفير البيئة والصحة للإنسان، بل غدا الغرض منه هو تطوير أسلحة الدمار الشامل والهيمنة وإذلال واستغلال الضعفاء، كما يتم تطبيق غرض ديكارت الذي يهدف إلى السيطرة على الطبيعة وإخضاعها وجعلها في خدمة الإنسان، هذا جعل موران يدعو إلى الرهان على الأخلاق كسبيل حقيقي للإنعتاق من العولمة التي جاءت لتشتيت الإنسان بل غدت مهدد لمستقبل البشرية وبهذا توجّه إلى فكرة التضامن، يعود موران إلى فكرة الرئيس الإكوادوري رفائيل كوريا في خطابه "أعجبتني حقا في الدستور الإكوادوري حيث قال الرئيس رفائيل كوريا: إننا نريد أن نعيش في عالم لا يوجد فيه غرباء، هذا لا يعني أن

[1]– ينطوي هذا الكتاب بعد افتتاحية هنري دي بور على تسع محطات رئيسية تم تناولها بالنقاش: 1– الله والرجال والنساء، 2– العلم والضمير والإيمان والعقل والثقافة والمعرفة، 3– معاني الكلمات: الهوية والتاريخ والإصلاح الأخلاق والشعبوية، 4– إعادة التفكير في العالم مغامرات الديمقراطية، 5– من الحميمة إلى العالمية، 6– القضية الفلسطينية، 7– البحث عن طريق جديد، 8– هل أنتم تقولون بالأصولية؟ ، 9– قيم الإندماج والإعتذار القانون والتجاوزات، تمدّد وطال النقاش بين المفكرين على مدار يومين متاليين وبلغت عدد صفحات الكتاب 200 ص والكتاب المترجم عن دار إفريقيا الشرق في حوالي 300ص.

الآخر سيكون مثلنا، لكننا نحن لا يتوجّب أن نعامله كشخص يجب رفضه"[1] هذه الدعوة هي لغرض إثبات إنسانية كل فرد يدب على سطح الكوكب، وهي فضيلة نقبلها من المفكر الفرنسي، دعوة إلى إنسانية عالمية لا يتم فيه إقصاء أحد، دعوة إلى ضرورة حسن إستغلال العلم لصالح البشرية ليس ضدها وهو هنا يرتكز على ما حدث في الحرب العالمية الأولى والثانية التي رسمت المعالم الحقيقية للعلم، وكذا الأزمات الإقتصادية التي مزقّت البشرية، ويصّر موران على أن أزمة 1929 كانت سببا مباشرا لانبجاس الحرب العالمية الثانية وصعود هتلر والنازية إلى سدة الحكم، نحن نجد أن كتاب خطورة الأفكار لم يتناول الأخلاق بشكل مباشر إلا بشكل تنبيهات في القسم الثالث من الكتاب بحيث لم يظهر الإختلاف جليا في الحوار بين موران وطارق رمضان، إلا في مواطن لا نظن أنها تستوجب الإشارة إليها هاهنا، بيد أنها كانت بوابة للمناظرة التي سنتكأ عليها والتي تمّ إجرائها في قطر.

أقرّ موران بأننا فرقّنا بين المشاكل العلمية والمشاكل الأخلاقية وبيّن أنه من الضروري تعليم الفهم الإنساني وتدريسه لأنه يشكّل نواة العلاقة بين البشر؛ ويعلمنا كيفية فهم الآخر، كما ألحّ على ضرورة الإشتغال بالفكر لكي نصل إلى الأخلاق، يتوجب علينا مراقبة العلوم التي أقصت الأخلاق من سياقاتها، هذه العلوم كانت منتجة للقنابل النووية، والمخاطر البيئية، وكذا يصّر موران على ضرورة مراقبة السياسة، إن التزام موران بالأخلاق نابع من درايته بأهمية ضمير النحن الذي يتوجّب أن ينصهر فيه الأنا، إن الطابع الأناني الذي تغلغل في الفرد بسبب انشغاله بمسألة الربح لا ينبغي أن نغفل عنها، كيف لا وهي الأفق الأساسي الذي يتقوّم به الفرد المعاصر، إذا أن قول موران بضرورة تطوير مبدأ النحن إنما كان الغرض الكبير منه هو كونه مصدر للأخلاق –ونقصد الأنا المفتوحة– وبهذا تبنّى نظرة إجتماعية مماثلة لتلك التي تبناها دوركايم، فالنحن هنا هي المدار الذي يتوجّب أن ندور فيه، إن النحن تجعلنا نحس أننا متعاضدين في أكثر من شكل، فالآخر الذي تعرفنا عليه وأقمنا علاقة معه فمن حيث أنه يختلف عنا في العادات والتقاليد والدين، بيد أنه يتشابه معنا من ناحية العاطفة والإنسانية، إن التوجّه الإجتماعي للأخلاق إنما يؤسس لعلاقة تواصلية ترتبط بداخلية الإنسان، وهنا بالضبط ينبثق معنى للشرف الذي يقصد به موران " أن لا تحبط نفسك وأن لا تخيب ظن نفسك بنفسك"[2] بهذا لا يجب أن نهوى في مطبة الحقد حتى نبقى مضطلعين بالدفاع عن معنى الشرف، ومن أجل أن التجربة التي تجعلنا نتخيل أننا في مجتمع معقد ينطوي على الحريات المطلقة لمراكز السلطة "الجيش، الشرطة ..." بيد أن هذ الحريات ستؤسس مشكلة من حيث أنها ستصطدم ببعضها، بيد أن المجتمع يبقى في حاجة إلى الجيش وإلى الشرطة، فهنا الأخلاق لا بد أن تكون مثل المحرار والعامل الذي ينظّم حياة الفرد.

---

[1] - Edgar Morin et Tariq Ramadan, Au péril des idées les grandes questions de notre tempe, Presses du Chtelet, Paris, 2014, p90.

[2] – إدغار موران وطارق رمضان، الأخلاق في عالم اليوم بين التنظير والتطبيق، 2013/10/27، https://youtu.be/W-rQlb7lasg?si=vcrYaJaV7hwQf.

يعتقد موران أن النية الطيبة لا تكفي كما كان يعتقد "كانط"، إنما بمجرد قيامنا بعمل نعتقد أنه مفيد للآخرين بيد أن هذا العمل سيتطور ولهذا سينفلت من يديّك لأنه سيدخل إلى مدار التخاطب والتعامل البشري بين الأفراد، إن هذه العملية من الممكن أن تتغيّر ولا تخضع للإتجاه الذي آملناه، فكم من أشخاص حاولوا أن يفعلوا أشياء جيّدة بنية طيبة بيد أن النتائج لم تكن تلك المأمولة، ولعل الثورة الفرنسية أفضل مثال على ذلك، يعتقد موران أن هناك أساس أخلاقي يمكن أن تتبنى عليه الأخلاق وهو العفو والتسامح، إن هذا الخلق يتطلب أن يكون القلب نزيها فالعفو يجعل من المذنب يستحضر شعور الندم، هذا هو الرهان الذي عوّل عليه موران، لا بد أن تكون قويا أخلاقيا وإنسانيا حتى تتمكّن من الوصول إلى هذا المقام السامي، هنا الأخلاق لا بد أن تكون لها الغلبة، إن هذا يفرض علينا أن نطوّر من سيطرتنا على اتجاهات التحركات التي نقوم بها لنرى إن كان العمل الذي تقوم به يسير وفقا لإرادتنا، كما أنه يتسنى لنا أن نعدّل من حركاتنا والأعمال التي نقوم بها من حسن لأحسن بعد نشرها وسط المجتمع، والتي تكون تبعيات من فهم خاطئ أو تطبيق خاطئ فهذا هو الرهان الأخلاقي اليوم.

ينوّه موران إلى الفصل الصارخ بين المعرفة العلمية والأخلاق، إن ظهور السياسة قد طغى على كل النواحي –الميكيافيلية– حيث غدت تسير الإقتصاد، بيد أنه حدث إنفلات لم يتم التنبؤ به، أصبح الإقتصاد اليوم طليقا بل يسيّر العالم بأكمله والتزاحم اليوم أصبح الإقتصاد دون بقية القطاعات، فلم يعد هناك سوق بالمعنى الأخلاقي للكلمة ولا حتى الأدبي فالمصالح اليوم تقضي على كل شيء، فالسياسة سيطرت على الأفكار وتهب الإقتصاد الأولوية المطلقة وكانت النتيجة التي لا مناص منها هي اعتقاد الجميع، إن الغاية الكبرى للسياسة هو تحقيق تقدّم للإقتصاد ليستحوذ على كل مناحي الحياة، بيد أن موران قد نحى منحى إختلف عن ذلك فكانت دعوته صريحة بعودة السياسة للأخلاق بحيث لا بد أن تستمد السياسة قوتها منها، كما أنه لا بد من ربط المعرفة بالأخلاق، إن الواجب الذي يلزم هاهنا هو عودة الأخلاقي للسيطرة والتحكّم على الساحة المعرفية، لا بد للأخلاق أن تكون رقيبا للعلوم حتى لا تخرج عن السيطرة بحيث تبقيها في خدمة الإنسان والكوكب، لأننا نتجه إلى كوارث حقيقية كبرى إن لم تعدو وجهتنا الأخلاق على هذا اعتبرها رهانا مستقبليا.

نقد طارق رمضان: إن الإعتراض الذي وجده طارق رمضان مناسب هاهنا هو إلحاح موران على كون الأخلاق رهانا، ولعل هذا النقد وجيه إلى حد بعيد فكيف يتسنى لنا أن نضع الأخلاق رهان المستقبل؟ إختلف المفكر المصري مع موران في اعتبار الأخلاق ضرورة راهنية، يتوجّب علينا أن نقف عليه اليوم قبل الغد، إن الأخلاق[1] إذا ما تمّ اعتبارها رهان فهاهنا لا يتسنّى لنا الخروج من السياق النظري إلى السياق التطبيقي، بهذا

[1]– نحن نتجاوز الإشتقاق اللغوي الذي وجدناه في كلمة الأخلاق فكلمة la éthé باللغة الإغريقية تعني العادات الأخلاقية و Mores باللغة اللاتينية تعني الأعراف وهما تتحليان في الواقع بدلالات يقرّب بعضها من بعض غاية القرب، بيد أن هذا القرب ف éthique تجهد لتفكيك قواعد السلوك التي تشكّل الأخلاق وأحكام الخير والشر التي تتجمع وسط الأخلاق فهي تعني أخلاق، أي جملة قواعد خاصة بثقافة بل ما وراء الأخلاق، أي مذهب يقع خلف الأخلاق، نظرية معقلنة عن الخير والشر=

فإن المشروع الذي يسعى إليه موران في تجديد الأخلاق الإنسانية لن يجد نورا في العالم إذا ما قبع تحت غواش النظرية لا التطبيق، يمكننا أن نعتبر هذا الإعتراض مشروعا في خضم هذا الرهان، نحن نعتقد أن موران قد قطع شوط أساسيا في بلورة الأخلاق، كما أنه قطع خطوة إلى الأمام لعله كان يتجنبها لو أنه ارتسم سبيلا تطبيقيا وعمليا للأخلاق.

إن موران لم يكن ليخاطر بالقول بعدم ضرورية الأخلاق، بل أبان عن مدى تعلّق الرهان بالضرورة، ومن بين الإعتراضات التي نجدها في اشكالية الأخلاق هي قوله بعدم كفاية النية الطيبة، بيد أنه يتوجب الإشارة إلى أهميتها فمن غير المجدّي الخوض في أي عمل أخلاقي إذا لم تكن النية الطيبة الركيزة الأساسية فيه، فأي عمل أخلاقي إنما يتقوّم بالنية الطيبة، فلو استحضرنا فكرة موران أن كم من عمل كانت نيته طيبة أفضى إلى نتائج غير مأمولة باستحضار قولة الإمام علي "كلمة حق أريد بها باطل" فكم من عمل كان ظاهره نية طيبة بيد أنه خدم المصالح وأفضى إلى نتائج مأمولة بيد أنها كانت برغماتية، إذا فالنية الطيبة تبقى الركيزة الأساسية التي لا يمكننا التخلي عنها وهي التي تؤسس للعمل الأخلاقي.

إننا نجد عند موران النزعة الأوروبية التي يتبناها على حساب النزعة الكوكبية التي يدعو إليها: اتضح ذلك في كتاب أن نتفكر أوروبا 1987 قبل سقوط جدار برلين ومعاهدة ماستريخت، أسئلة حول فكرة أوروبا ووجود هوية أوروبية من خلال النظر في التاريخ والثقافة والنظر في الأزمات المختلفة التي تعترض أوروبا في مجالات الإقتصاد وكذا التركيبة السكانية والهوية، يسعى لتحديد مسار المعرفة وسط تعقيد الواقع الواقع الأوروبي يتكوّن الحجر الأساس لمقاربته من عدد من الأفكار أهمها، إن موران مقتنع بعمق بأن أوروبا يجب أن يكون لها مصير مشترك قبل رؤيتها على أنها تمتلك أجندة مشتركة، ثم إن موران يرفض أي تبسيط لفكرة أوروبا ويجب صياغتها وفقا للتعقيد متعدد الأوجه وبشكل شامل، وحوار التعددية في أوروبا هي الشرط بامتياز لوجود أوروبا، يعتبر موران أيضا مشاكل البناء الأوروبي بمثابة تجسيد لفكرة أوروبية فوقية، مما يؤكد هشاشة هذا المفهوم الذي حافظ على الدولة القومية في شكلها السيادي غير المشروط، ويحدد التهديدات من خارج أوروبا وما تطلبه أوروبا من شعبها نتيجة لذلك، وكذلك ردة فعل السلطات الأوروبية، أخيرا يعرّف الهوية الأوروبية الجديدة في إدراكها لنقاط الضعف والقوة، والمخاطر المختلفة والشكوك الفرص المختلفة في جميع دول أوروبا، أوروبا اليوم أصبحت كوكبية –عصر كوكبي– على نحو تتناقض فهي إلى جانب كونها كوكبية فهي إقليمية في نفس الوقت، في مقال لحوار موران كتبه ماتيو ماليك في تاريخ 2019/09/08 المعنون ب"إستجابة لأزمة الفكر حوار مع إدغار موران يقول إدغار موران "من ناحيتي لم أنضم إلى الفكرة الأوروبية حتى أوائل السبعينات وكنت في البداية عالميا، كنت مهتما جدا بإنهاء الإستعمار في العالم الثالث

=ويمكن القول أن morale هي المبادئ الأخلاقية المقبولة في المجتمع بغض النظر عن مدى قبولها قانونيا، أولا يبدو أنها تختلف من مجتمع لآخر، بيد أن éthique هي قواعد تؤثر على سلوك الفرد وكما لا يتوجب أن لا نغفل عن القواسم المشتركة بينهما منها صحة وخطأ السلوك بحد ذاته، للإستزادة ينظر: جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001، ط1، ص11–12.

كانت أفاقي مناسبة في المقاومة، لم تكن الفكرة الأوروبية جزءا من تفكيري في ذلك الوقت لأنني رأيتها كمشروع إقليمي للغاية، يركز بشكل كبير على الغرب، أصبحت أوروبيا في مطلع السبعينات لسببين تاريخيين، أولا بدأت أزمة النفط الأولى التي فرضت فيها الدول العربية ضغوط على أوروبا التي كان يُعتقد حتى ذلك الحين لا يمكن المساس بها في تغيير الوضع، أصبحت هذه أوروبا العظيمة التي سيطرت على العالم في المخيلة نوعا من مريض المستشفى الذي كان ينتظر التسريب حتى لا يموت، أصبحت أوروبا المتعجرفة شيئا قديما مريضا وفي عام 1974 لم تعد البرتغال قوة إستعمارية"[1] إن وظيفة موران كمثقف هو إرتسام طريق الإنقاذ من أجل الوصول إلى أوروبا الحلم، التي إشتغلوا عليها منذ 1957 والتي كانت بداية التمهيد لإنجاز نمط جديد من الحياة الغرض منها الترابط، موران تبنى فكرة أوروبا وانشغل عن فكرة الإنسانية الأنتروبولوجية التي كانت جوهر مشروعه.

ومن بين الإعتراضات التي ألفيناها في تمعننا في المشروع الموراني سكوت موران عن الأزمات الأخلاقية التي ولجت الإنسانية فيها، ولعل الجامعة تمثّل الدور الحاسم في المجتمع، إن التنبيهات الخفيفة التي قدّمها في كتابه تعليم الحياة في قوله "أن الطلبة كانوا مهددين بالسيدا"[2] ونحن نلفى التحفّظ الموراني تجاه هذ الخطر داهم الذي بات يهدد الجامعات خاصة في إقامة علاقات جنسية ستؤسس لأمراض السيدا وانتشارها في وسط الجامعات، كان من المفترض على موران أن يقدم النصح باعتباره عالم الإجتماع إلى الطلبة الذين غاصوا في تجارب لا تحمد عقباها، كما أننا نجد تجاهل موران للتصاعد القوي للمنظمات المثلية في أوروبا خاصة وتجنب التعقيب عليها[3] تبقى نقطة تعجّب في مسيرة فيلسوف أخلاقي بدرجة موران، بيد أننا نجد له تنبيهات حول قضية المرأة ونجد دفاعه عن حقوق المرأة وعقد قران بين إصلاح الحياة الذي لا يكتمل إلا بإصلاح المرأة "يفترض أن يأخذ إصلاح الحياة بعين الإعتبار إصلاح وضع المرأة وحالتها"[4] وهو موقف ليس غريبا من مفكر ينتمي إلى الجيل الذهبي الفرنسي الذي يدافع عن المرأة على شاكلة دريدا وفوكو.

[1] - Mathéo Malik, Répondre à la crise de la pensée : conversation avec Edgar Morin, 08/09/2019, legrandcontinent.eu

[2]– إدغار موران، تعليم الحياة بيان لتغيير التربية، مصدر سابق، ص58

[3]– على عكس جوديث بتلر التي خصصت لذلك كتاب ينظر : جوديث بتلر، قلق الجندر النسوية وتخريب الهوية، تر: فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2022، ط1،

[4]– إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، مصدر سابق، ص404

المبحث الثاني: إشكالية الديني في فلسفة إدغار موران

أولا: قراءة موران لمسألة الديني:

إن الحقيق بنا أن نشير إلى أن موران يقف في الطرف بشأن الدين، رغم أنه يجهد في إبراز أهمية الدين في الحياة في بعض الأحيان، وأهمية الأسطورة في تكوين ثقافته كما أشار إلى ذلك في كتاب في مفهوم الأزمة 1976، لاحظ موران أن الدين له حضور قوي في كل أشكال الحياة، حتى لمّا اعتقد المعاصرون أنهم بلغوا المرحلة الوضعية العقلانية، بيد أن الأديان لا تزال قائمة حتى مع تعميم العلمانية في فرنسا مع انبثاق 1905، إلا أن الميثولوجيا مازالت تغزو الأفلام والسينما كما أوضح في كتابيه "السينما والنجوم" و"روح الزمان"، يلمح موران في أكثر من موضع إلى أن الديني قد أسهم في تأسيس الحضارات القوية "لقد حققت الحضارات القديمة تطورات هائلة في تشييد مآثر عظيمة وإنجازات علمية مرموقة كما هو الحال في الفلك وأنجزت تطورات أسطورية كبيرة في أديانهم وأيديولوجياتهم في الوقت ذاته"[1] لا يمكن إغفال دور الدين في أي لحظة تاريخية، فكان له الدور الحاسم في تأسيس الذكاء البشري واكتسابه للمعارف، تقترن الأسطورة مع العقلانية في تبلوّر العقل التقني المعاصر كما أوضح إلى ذلك أوجيست كونت.

يشير موران إلى الأهمية الكبرى التي يحظى بها الدين والمكانة الأساسية التي خصصها له "يكتسي إبداع عالم متخيل والفيض المنهل للأساطير والمعتقدات والأديان الأهمية نفسها التي تحوزها التقنية بالنسبة إلى الإنسانية التي عجزت التطورات التقنية والعقلانية خلال التاريخ إلى يومنا هذا عن إقصائها"[2] لعله يلتقي هنا مع المفكر الإنجليزي أرنولد نوينبي (1889-1975)، يستعين موران في معظم مؤلفاته وملتقياته بالمصطلحات الدينية، يستحضر رمزية آدم باعتباره أول بشري رغم استحضاره للوسي أيضا، يشير إلى رمزية سفينة نوح، عارض نسب الإرهاب إلى الدين الإسلامي كما فعل في كتابه هل نسير إلى الهاوية؟ يبرز أهمية ومكانة النبي محمد في أكثر من موضع وإلى السيد المسيح، وإلى الكثير من الرموز الدينية وإلى حدود ما اطلعنا عليه فإن موران لم يتهجم على الأديان باعتبارها مصدر خطر أو إرهاب للبشرية إلا في مسألة الأخلاق كما أوضحها في كتاب السبيل " لكن الأديان التي بشرت بمحبة اولي القربى قد أطلقت عنان الحقد عليهم وكرههم، وكانت ديانات المحبة [يبدو أن موران هنا يقصد الديانة المسيحية على وجه الخصوص فهي من تحمل هذا الإسم] قادرة على اقتراف أكثر الأعمال وحشية وبدورها لم تكن الحركات الإنسية العلمانية قادرة على التخلّص من سلطة الدين وعرّفت نزعتها الأخلاقية العديد من أوجه القصور والعمى"[3] فيما خلى الأخلاق لم نعهد موران متطاولا ولم نعثر على تحذيراته فيما يخص مسألة الديني، إنشغل موران بالبوذية باعتبارها ملجأ فكريا من غطرسة التقنية التي قضت على الحياة الحقيقية، فالبوذية هي الوسيلة الروحانية

---

[1]- إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية، ج5،مصدر سابق، ص43.

[2]- المصدر نفسه، ص42.

[3]- إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، م س، ص390.

التي يمكن اللجوء إليها، بيد أن موران يبدو أن يتوسّل اللا أدرية "الأغنوستيكية"[1] في توجّهه الديني، وقد عولنا في التماس هذه الخلاصة على ثلاث مرتكزات أساسية إشتققناها منها، خاصة أن موران يفصح عن توجهه الديني صراحة ورأينا أن المقامات الثلاث كافية لكي نجازف بإطلاق هذه الفكرة والحكم على عقيدة موران:

أولا: هنا ولنبدأ بهذه المحاججة التي اعتمدنا عليها لاطلاق حكم اللا أدرية على توجه موران الديني كان على مقال المفكر اللبناني "مشير باسل عون" المعنوّن ب"إدغار موران يخشى مصير الأرض بين الكارثة والروبوتية" مقال لمسنا فيه الإتزان المعرفي رسم فيه الخطوط العريضة لمشروع موران الفلسفي، إن وجه الإبانة هاهنا كانت إعلان موران موقفه "اللا أدري في غير نص من نصوصه ولكنه كان من مناصري فلسفة اللاعنف والسلام وكانت البوذية تستهويه من جراء غياب فكرة الإله عن تصوراتها"[2] إن تعويلنا على مثل هذه فكرة إنما كان الغرض منه إثبات موقفنا تجاه قضية حساسة مثل هذه حتى يتسنى لنا أن نجد التطابق بين فكرتنا مع شراح الفكر المعاصر، وبالأخص أن مشير باسل عون يعتبر من شراح الفكر الغربي المعاصر الثقاة.

ثانيا: غير بعيد عن التوجّه الذي سلكه "مشير باسل" نجد المترجم اللبناني القدير والمفكر في مجال السينما "إبراهيم العريس" في مقدمته للترجمة التي قدمها لكتاب موران نجوم السينما الصادر عن المنظمة العربية للترجمة ونحن نجد أن العريس إلتقى إدغار موران وتبادلا أطراف الحديث يقول في هذا الصدد "خلال العشر الأيام التالية تحدثنا كثيرا عن إسرائيل وفلسطين، وخاصة عن المعارك التي شنّها أنصار الصهيونية ضده في فرنسا وعن البوذية التي يعتنقها تقريبا..."[3] لا نجد موران يحتفظ بأصوله اليهودية كما أنه لا يمحو أشكال الروحانيات التي ظلت تلاحقه.

ثالثا: وهنا نخلص إلى مؤلفات موران المتأخرة، من البيّن أن موران له أصول يهودية سفادرية إسبانية كانت عائلته تتكلّم ما يطلق عليه اليهودية الإسبانية بيد أن موران نحى منحى آخر بعيد عن اليهودية كما يعترف هو بذاته "اكتشفت أنني يهودي، فعلى الرغم من أن أبواي كانا علمانيين فقد كانا يشركاني في عشاء عيد

---

[1]– الشك، وهي كلمة تمثّل مذهب يقول أن معرفة الحقائق في هذا العالم لا يتسنى الوصول إليها، تمّ افتتاح هذا المذهب مع السفسطائيين –جورجياس– وانبثق هذا المذهب في العصر الحديث مع هيوم الذي أبان أن الوسائل المعرفية كالعلة والمعلول ليست إلا وهما وخداعا ينظر في هذا: زكي نجيب محمود وأحمد أمين، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1935، ط1، ص187، في بداية القرن التاسع عشر بدأ مصطلح اللا أدري يأخذ شهرته مع توماس هكسلي وذلك يتضمن مسألة وجود الله ويستخدم المصطلح ليشير إلى مبدأ معرفي معياري، واللا أدري هو الشخص الذي لديه إهتمام بفرضية أن هناك إله غير أنه لا يعتقد ببطلانها ولا بصحتها المصطلح يشير إلى الأشخاص الذين لا ينتمون إلى جوهر الدين ولا إلى هؤلاء الذين يمكن اعتبارهم ملحدون لا يؤمنون بوجود إله فاللا أدري لا يثبت ولا ينفي وجود الله ينظر: موسوعة ستانفورد للفلسفة، الإلحاد واللا أدرية، تر: عبد الله الحميدي، إصدارات دار حكمة الإلكترونية، ص7 –8.

[2]– مشير باسل عون، إدغار موران يخشى مصير الأرض بين الكارثة والروبوتية، 2022/09/12، www.independentarabia.com.

[3]– إدغار موران، نجوم السينما، مصدر سابق، ص8.

الفصح على الطريقة الإسبانية، لقد سئلت عن ديني من قبل رفاقي في المدرسة كنت يهوديا لكن هذه الهوية كانت خالية من أي محتوى ثقافي لقد ضمر وعيي اليهودي خلال بحثي عن وعي سياسي إنسي، بقيت محبا للسلام متشوقا للحفاظ على وجهة نظر عالمية" [1] إن تبني هذا التوجّه اللا أدري لا يعني بالضرورة الحاجة إلى تغيير مبادئ التفكير الإنساني، كانت الإنسانية الأنتروبولوجية هو التنبيه الأعم الذي سعى إلى تحقيقه، ارتكز في مشروعه إنقاذ الكوكب والبيئة وإعادة إصلاح الإنسانية، فهو يصرّ على أن الإنسانية دين يجب أن يتم اعتناقه "أنا شخصيا لا أستطيع أن أؤمن بالأديان السماوية ولا بفكرة إله مجسّد"[2] فموران بقي هنا إعتنق الإنسانية ثم راود البوذية وبقي في حالة اللا تعيّن، الذي لا يهبنا أي ضرب من التوجّه صوب دين معين باستثناء دين الحب –فروم– ودين الإنسانية الذي خصه موران بدلالة عالمية بحيث تشمل الكوكب–هيدغر– فالإنسانية ليست دين بالمعنى الثيولوجي إنما هي رتبة يصل إليها بعض البشر –سقراط– فيتوجب اعتناق الإنسانية ثم اعتناق ما شئنا من الأديان –بوذا – هكذا تمكنّا من ارتسام الحكم على العقيدة الإنسانية الداعية إلى السلام واللاعنف عند إدغار موران.

ثانيا: العلمانية كأفق ورهان سياسي:

يتّضح لنا مما سبق أن موران إنغمس في العلمانية وألفى أنها السبيل الذي التمسته البشرية، كما أفصح ذلك في المناظرة مع "طارق رمضان" 2013 في مراكش التي كانت كما بيّينا المخاض لكتاب "خطورة الأفكار" 2014، إذ يقر موران بالعلمانية معتبرا اياها أعظم مكاسب إنسان القرن العشرين "العلمانية جزء مشرق لا يتجزأ من مكتسبات الإنسان في القرن العشرين"[3] العلمانية التي حفظت السلم الإجتماعي وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية وفقا ما يسميه الفرنسيون الثلاثون الذهبية –الثلاثون سنة– يرى موران أنه ينبغي علينا أن نضع يدنا على العلمانية بكونها ملاذ إنساني آمن، ونحن نجد أن هناك رباط وثيق بين العلمانية والمسيحية عند "غرايم سميث" في قوله "العلمانية لا تمثل نهاية المسيحية، ولا تدل على إلحاد الغرب يجب من باب أولى أن نفكر في العلمانية باعتبارها التغيير الأحدث عن المسيحية، العلمانية هي الأخلاق المسيحية مفصولة عن عقيدتها، إنها الإلتزام بعمل الخير"[4] وهاهنا قد يعترض عليه موران بكون العلمانية منتج إنساني "عظيم"، يقر غرايم سميث أن الأخلاق المسيحية إنسلخت عن عقيدتها في عصر التنوير.

يتم إرجاع الظهور الأول العلمانية إلى الفترة اليونانية وبالأخص عند أنكساغوراس (500ق.م–428ق.م) الذي كان ينتمي إلى التقليد العلمي والعقلاني الأيوني، إشتهر في الأوساط العلمية، ماقاله عن الشمس

[1]– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، مصدر سابق، ص13–15.

[2] - Edgar Morin et Tariq Ramadan, Au péril des idées les grandes questions de notre tempe, Op Cit, p17.

[3] - IBid, p17.

[4]– غرايم سميث، تاريخ موجز للعمانية، تر: مصطفى منادي إدريسي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021، ط1، ص14.

والقمر، إعتبر أن الشمس لم تكن الإله هيليوس، إنها صخرة حمراء عملاقة ملتهبة، وأكد أن القمر تكوّن من الأرض ويعكس ضوء الشمس، رغم وجود شخصيات على شاكلة أنكساغوراس بيد أن التاريخ الحقيقي للعلمانية يبدأ بعد العصور ***المظلمة***، في عصر النهضة بدأ تهديد هيمنة المسيحية بظهور النزعة الإنسانية مع بيك ديلا ميراندولا وإرسموس، "جاء العلم وكان العلماء العظام الوائل كيبلر وغاليلي وديكارت ونيوتن رجالا متدينين ولم يتخيلوا أن أفكارهم سوف تدفع بفكرة الله خارج المجال العام"[1] بيد أن العلمانية كمصطلح ظهر اول مرة بعد نهاية حرب الثلاثين عام (1618–1648) عند توقيع صلح وستفاليا، وتعني هنا نقل ممتلكات الكنيسة إلى سلطات سياسية غير دينية، بيد أن "جورج هوليوك George Holyoake (1817–1906) يمكن أن نعتبره أول من سكّ هذا المصطلح في عام 1851 وجعله مصطلح سياسي، بيد أن هوليوك لم يكن يتمتع بحس فلسفي إذ عرفها أنها: الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو بالرفض فجوهر العلمانية يرفض الخوض في مسألة الديني"[2]

ظهرت في هذا العصر النزعات الإلحادية المعادية للإكليروسية فتغلغل العلم والعقلانية وهذا ما أودى إلى زحزحة الديني من المجال العام وحصره في عالم الرأي الخاص، بسبب أن المسيحية لم تعد قادرة على مجابهة ومقارعة الحياة الحديثة وسنلفى أن العلمانية مفهوم مجاور للتسامح على حسب الباحثة كاترين كنسلر "لكي يتحقق التسامح يكفي ألا تكره الدولة أحدا فيما يتعلق بالإعتقادات، ولو أن الدولة تعلن بنفسها عن نوع من الإنتماء يجب عليها ان لا تكترث للإنتماء الديني للمواطنين بشرط إحترامهم للقوانين"[3]، فالعلمانية ليس الغرض منها إبعاد الناس عن الدين، بل إبعاده عن السياسة بحيث تعمل على فصل السلطات، فالغرض الكبير للعلمانية هو التسامح وهي فكرة ضمان تعايش الطوائف الدينية من المؤمنين مع غير المؤمنين، بعد أن كانت هذه إشكالية مستعصية لأن غير المؤمنين كانو يشكلون تهديد للرابط الإجتماعي وتحدّ لأي جماعة ممكنة، ويمكن التمييز بين العلمانية والتسامح عبر "تتمنع السلطة السياسية مطلقا عن التصريح بأي موقف إيماني أو غير إيماني، وهذا يعني إقصاء أي دين رسمي حتى لو كان مدنيا، لا تشترك الطوائف سواء دينية أو غير دينية في تشريع القوانين، ويجب أن يكون مصدر القوانين من خلال ممثلي القوانين كأفراد وليس كطوائف"[4] وبهذا فالعلمانية من حيث هي توجّه أو سواء تم اعتبارها أيديولوجيا أو رؤية كونية أو موقفا من الدين أو إطارا دستوريا أو مجرد جانب في مشروع آخر إلى أنها يتوجب التفكير فيها مليا، إن اعتبارها قمة التفوق العلمي الإنساني وبالأخص في القرن العشرين.

---

[1]– غرايم سميث، تاريخ موجز للعمانية، مرجع سابق، ص37–40.

[2]– عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج1، دار الشروق، القاهرة، 2002، ط1، ص54.

[3]– كاترين كنسلر، ما العلمانية، تر: محمد الزناتي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017، ط1، ص15.

[4]– المرجع نفسه، ص21.

إن النقطة الأساسية التي تشكّل جوهر الإعتراض على موران هنا هو أنه بالرغم من انتصار العلم لم يختف الدين نتيجة لذلك، وهنا نجد أن موران إستفاق إلى نقطة خطيرة، وهي تغلغل الأزمة في العلمانية خاصة أن تأويلها كما يرى في كتاب خطورة الأفكار أصبح سببا في صراعات محمومة وخاصة للطائفية وذلك لسبب وجيه، يعتقد موران أن العلمانية فقدت جوهرها وهذا الفقد جعلنا نتعلّق فقط بأشكالها، فجذور العلمانية عند موران موضع جدل، كما ترجع إلى فكر الأنوار، هذا الفكر الذي كان يسائل قضايا عديدة من قبيل الطبيعة، العالم، الإله، الإنسان والمجتمع، بيد أننا اليوم لم يعد العالم وحده موضع تساؤل بحكم النقائص التي تعترينا، إن الفكر العلماني كما تشكّل في فرنسا قد تمّ إفراغه من فحواه، ذلك أن التاريخ لا يتجه بشكل آلي إلى التقدّم، كما أن العقل لا يعتريه النقص فحسب، بل تتملّكه أمراضه التي شجبها واستنكرها مفكرون على شاكلة تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر –جدل التنوير– ويعتقد موران أن العلمانية الفرنسية لم تتجدد إنطلاقا من جذورها التاريخية التي تتجلى في المساءلة، إن المساءلة المستمرة للأسس التي بني عليها العالم والفكر والحقيقة تعتبر من قيم الفلسفة الأوروبية لا سيما الفرنسية منها منذ القرن السادس عشر بيد أن هذه القيم لم تعد موجودة في العلمانية المعاصرة المأزومة، التي غدت تهتم بالمظاهر الخارجية فقط كالحجاب الإسلامي، وهنا نستحضر مقالة موران ثقب العلمانية الأسود[1] 1990، يرى موران أنه في مسألة الحجاب إنما تتشكّل جميع الأراء المتضاربة مشرعنة بإسم العلمانية، بهذا فقد السياسيون الفرنسيون ما تشير إليه لفظة العلمانية، إذ غدا الكلم يقتصر على شتات الأمر دون إدراج المواضيع التي تستلزم أن تعالجها العلمانية وبهذا تبلوّر ثقب أسود تحت هذه الكلمة "كذلك فإن اللائكية وهي فضيلة أساسية للتعليم والجمهورية لهي في أزمة أيضا، فالمساجلات حول الحجاب الإسلامي والرموز الدينية في المدرسة، تبيّن أن أنصار اللائكية منقسمون فمنهم من يدعو للتسامح الناجع في شأن إدماج الفتيات الحاملات للحجاب في التعليم اللائكي ومنهم من ينادي بالصرامة"[2] إنما يطرح إشكالية موضع النظر فيها أننا يتوجّب علينا ان نرتب هؤلاء على معاني الكلمة الحقيقية وأن مثل هذه المشاكل ليست الجوهر الحقيقي لها، فعلينا أن نضع في الحسبان أننا بهذا نُفقد العلمانية أصالتها خاصة في المدرسة –الفرنسية– التي اعتمدت التعليم اللائكي منذ سنة 1905 ويشير موران "العلمانية التي قدمها نموذج 1900 هي اليوم منهكة، فالمعلم في بداية القرن العشرين كان حاملا لفكرة الأنوار، وإن صراعه ضد الديني إنما هو صراع من أجل الفكر الحديث وكانت عقيدة المعلم الإيمان بالتثليث اللائكي: العقل العلم التطوّر، الذي كلما طوّرنا احد عناصره أدى إلى تطوّر العنصرين الآخرين"[3].

هكذا ارتسم موران عقيدة اللائكية بحيث أنه علينا أن نفهم الأزمة التي ولجتها، إن المتأمل في ظاهر المصطلح يلفى أن معناها واضح، إنها العقلانية النقدية التي تتعارض مع العقائد، إنها التوجه إلى إخراج ضبط المعرفة في حقيقة واحدة والإنزياح إلى معاني التعدد وبهذا تتوجّه إلى معارضة الكنيسة الكاثوليكية،

---

[1]– أدرج موران هذا المقال في ملحق كتاب العقل المحكم 1999.

[2]– إدغار موران، تعليم الحياة، بيان لتغيير التربية، مصدر سابق، ص58.

[3]– المصدر نفسه، ص59.

التي فرضت نفسها على الدولة والتعليم وأطبقت عليهما ملامحها الخاصة حتى في الفضاء العام، إذن نخلص ظاهريا أن العلمانية ردة فعل لا فعل، إنكشفت أزمة العلمانية من التوجّه اللا عقلاني إليها "كانت تستمد طاقتها ليس من مجرد فكرة تسامح وتعددية، إنما في دين غامض كانت تتضمنه والذي كان مستترا بقناع العلموية والعقلانية لقد كان ذلك الدين الكاثو-لائكي الذي يقوم على ثالوث العلم العقل التقدّم"[1] إن موران يعتبر الخوض في العلمانية وتقديسها هو ما أشكلها، إن نظرة التقديس الدغمائية إلى العقل والعلم بكونهما جالبين للخير والثراء إلى البشرية جمعاء قد أسهم في إخفاء مواطن العلة فيها، أوصلتنا في شكل جديد يرفض الإعتراض على مرتكزاتها فالعلم والعقل يؤديان للتقدم فكرة ضرورية تم الإيمان بها دغمائيا فلماذا سنفكر في غيرها؟ يقول المدافعون عنها، يشير موران إلى نقطة مهمة هنا "لم تعد الكنيسة الكاثوليكية اليوم كما كانت من قبل إذ باتت تتسامح مع التعددية الفكرية... أجبر عصرنا على اكتشاف ان مفهوم العقل كان يستطيع إخفاء ليس فقط العقلانية النقدية بل أيضا العقلانية البليدة ... وما جرى في هيروشيما يؤكد ذلك"[2] كان توجها صارخا ودغمائيا نحو العقل التي صنعت منه دينا جديدا، قد يكون متجاوزا للدغمائية التي كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك بها.

يقرّ موران أن العلمانية القديمة توهمت أنها ستتمكّن من إيجاد الحلول لثغراتها "عندما تدحر العدو الطائفي المتمثل في الإسلام، لكن الإسلام بخلاف الكاثوليكية لا يحتل موقع في التعليم، إنه غير هجومي على الإطلاق"[3] على هذا الأساس ألفى المعسكر العلماني نفسه وجهين في ما يتعلق بالهوية الفرنسية وكل قضايا التعايش الثقافي واندماج المهاجرين وبهذا ينكشف ثقب العلمانية الأسود، بيد أن التساؤل الذي يستوجب طرحه ولا مناص منه هاهنا ما مستقبل العلمانية؟.

هذا التساؤل الواجب الخوض فيه يصر موران على العلمانية بكونها المعيارية السياسية التي لا ننفصل عنها "برأيي لا يجب أن نتخلى عن العلمانية، يجب علينا إنعاشها وتأصيلها، لا يجب علينا تحديث العلمانية بل تعبئتها في مواجهة التوحش والأوثان الحديثة، إن العلمانية التي تعني منذ الوهلة الأولى تشكيل فضاء للتعددية وتداول الأفكار والتسامح والدفاع عنه"[4] فالعلمانية إنما انبثقت لهذه الأغراض، والمرام الكبير الذي تهدف إليه هو ارتسام طرق جديدة وإعطاء الحرية للأفراد وعدم إخضاعهم لمبادئ الحقيقة الواحدة، يتوجب على العلمانيين أن يتعلموا طرق التعدد لا الإجبار بهذا نصل إلى مرتبة التسامح الذي سيصل في نهاية المطاق إلى مرتبة العفو، يتوجب أن لا نبقى داخل الدين العقلي الذي انجلى بسبب أن العلمانية حادت عن طريقها التسامح الذي انبثق مع نهاية حرب الثلاثين عاما إنما يشكّل كما يقول موران جوهر الثقافة الأوروبية،

---

[1]- إدغار موران، ثقب العلمانية الأسود، تر: عماد أيوب، مجلة الإستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد الثاني، بيروت، شتاء 2016، ص162.

[2]- المرجع نفسه، ص.162.

[3]- المرجع نفسه، ص163.

[4]- المرجع نفسه، ص163.

يتوجّب العودة إلى مبدأ فولتير، "سأحارب على حقك في إبداء رأيك"، يتوجّب علينا محاربة التوحّش والظلاميات التي نتجت عن الحداثة التي تتحالف مع التوحّش في أشكاله القديمة، وبهذا تتدفق على قرننا الحالي فماسبب ذلك؟.

دوما ما يقف موران على اليسار في قضية العلم التقني والنمو المفرّط للدول التي أفضت إلى نتائج خطيرة تقنوقراطية بالإضافة إلى التخصص المفرط المعمم وأفضت إلى الإختزال المعمم للموجودات وحتى تجزئة الأفراد، أودتنا هذه الحقائق إلى "الإنحلال البيئي والأخلاقي، كل ذلك خلق عمليات التقدم الحقيقي والتي واجهت تهديدا من جراء ذلك حالة خاصة من التوحش في حضارتنا وحالة من الظلامية في عقولنا التي تعتقد نفسها عقلانية"[1] إن المآلات التي أوصلنا إليها العلم كانت مؤلمة ولم تكن كما تمّ التخطيط لها، قد أبانها موران في غير ذي مرة، ويدعو العالم العلماني إلى ضرورة التعرّف على العدو الحقيقي للعلمانية الذي يقبع عادة داخلها، داخل الثالوث الذي ترتبط به: العلم، العقل، التقدم لم تعد الضرورة مقتصرة على توجيه هؤلاء الثلاث صوب مزيد من الرفعة، بل قد آن الأوان لمساءلتهم والغرض من ذلك تقويمهم بعد الإعوجاج الذي كشفت عنه الحرووب العالمية والإنفجارات النووية والكوارث البيئية والتعديلات الجينية في انتظار التلاعبات الدماغية، ينبه موران "مذّاك يصبح الصراع الجديد للعلمانية صراع من أجل ديمقراطية إدراكية، هنا كان يكمن بالضبط مغزى رسالة المعلمين في بداية القرن العشرين هذا هو الصراع بالضبط الذي يجب استئنافه"[2].

إنطلق موران من تدبير جوهر الديمقراطية التي استخدمتها النظم الشمولية التي ألغت دور الجماهير واحتكرت القرار السياسي وحتى الإقتصادي، إنفلت جوهرها المتمثل في إشراك المواطن وادراكه بما يحدث حوله وإسهامه في خلق القرارات، وبالأخص المصيرية منها، تمكّن العلم من صناعة القنبلة النووية ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟ تمّ إخراج كل الشعب من سلطة القرار واحتفظ –الجهاز– السلطة بأحقية اتخاذ هذه القرارات يدعو موران "إن الدعوة إلى الديمقراطية الإدراكية ليس فقط دعوة لحضور دروس مسائية أو الحضور في مدارس صيفية أو جامعات شعبية إنها دعوة إلى من أجل ديمقراطية لا تكون المناقشات فيها حول القضايا الجوهرية حكرا على الخبراء وحدهم فيما تنقل وقائعها إلى المواطنين"[3]، يحتاج هذا إلى بدء جديد وانبثاق يتجاوز التجزيء ويدعو إلى إحلال نظام التعقيد داخله وهو جوهر ولب مشروع موران الفلسفي، يتوجب إصلاح الفكر يدعو موران المعلمين إلى ضرورة الإلتزام بدورهم، إن الإبانة التي قدمّها "للمعلمين دور أساسي يلعبونه في هذا الصراع، عليهم أن يؤدوا دورهم في حركة إصلاح الفكر عبر إدخال أفق ما هو كلي ومعقّد في تصوراتهم"[4]، وينبه موران إلى الدور الخطير الذي تؤديه وسائل الإعلام التي باتت تجابه المعلمين في توصيل المعلومات إلى الثقافة الجماهيرية إلى الأطفال فأصبحت الأنترنت تشكّل كما هائلا تتحكّم فيه

---

[1]– إدغار موران، ثقب العلمانية الأسود، مرجع سابق، المرجع نفسه، ص164.

[2]– المرجع نفسه، ص165.

[3]– المرجع نفسه، ص165.

[4]– المرجع نفسه، ص165.

السلطة وتوجهّه للجماهير لمّا تعتقد أنه أصبح جاهز لما يخدم مصالحهم، أصبحت وسائل الإعلام حلقة تلتف على التعليم الأساسي إستشعر موران خطرها الداهم فحاول إقرار التوصيات بضرورة تعليم الجماهير حقيقتها ولحسن الحظ بدأت تتكشف، إن إصلاح العلمانية مهمة شاقة بيد أنها ممكنة، طويلة بيد أنها ستعالج الثقب الأسود الذي يعترض الثقافة الجماهيرية والتعليم، ويؤسس الأيديولوجيا الثيو–لائكية فهذه إشارات موران للكشف وتطبيب ما يمكن الوصول إليه من أجل أننا بحاجة إلى العلمانية.

ثالثا: حضور الدين في الفضاء العام:

لا تفتئ العلاقة بين العلمانية والدين في المراوحة، إتهامات متبادلة غداة عقود طويلة، إن المتأمل لتطوّر الدراسات حول الدين من ماكس مولر Max Muller (1823–1900) إلى إيميل دوركايم يلفى أنها تتفق على أن الدين يزداد بمرور الزمن ضمورا وهامشية بيد أنه مع ذلك لم يستطع الفكر العلماني إلغاء الدين وهي النقطة يمكن استحضارها للإعتراض على إدغار موران، فبدت المشاريع الفكرية في الغرب مصرة على نقطة مهمة وهي قدرة الدين على البقاء والإستمرارية، خاصة مع سبعينات القرن العشرين الذي شهد على طفرة صعود الدين لم يتوقعها أحد من المفكرين العلمانيين في الغرب، حتى أنها أفضت إلى تغيير بعض المفكرين لمشروعهم الفكري والذي سنجازف ونسمه ب"المنعرج الديني " للخروج من مآزق الإنسانية والفكري ولعل أبرز هؤلاء الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس:

ولو تتبعنا إهتمام هابرماس بالقضايا الدينية سنلفى أن مشروع تطوّر وفق الخطاطة التالية:

1– ينشر هابرماس عام 1961 مقال بعنوان "المثالية الألمانية والتصوف اليهودي" فهاهنا نجد أن المفكر الألماني يكتفي بعرض توثيقي للعلاقة بين الفلسفة والدين وتأثير أحدهما في الآخر، بيد أنه لن نجد أي موقف له اتجاه الدين ونلفى في هذه المرحلة التي نشر فيها مجلدي الفعل التواصلي (1978–1984) الذي يميل فيه إلى التفسير المادي، فتطور المجتمع إنما قسمه إلى ثلاث مراحل أسطوري – ديني– ميتافزيقي–.

2– ينشر مقال "الإستعلاء من الداخل الإستعلاء في هذا العالم" هاهنا يحمل تحذيرات هلموت بوكرت على محمل الجد وأقر بالتسرع في مواقفه الدينية، وأبان أن ضمور الدين في عصر الحداثة يؤدي إلى التحلل من أي مسؤولية سوى في مقابل بعض المبادئ الأخلاقية العلمانية.

3– نشر في العام 1991 مقال يؤكد ما توجه إليه ألفرد أشميدت حول هوركهايمر بعنوان "السعي للنجاة دون التسليم لله سعي بلا طائل تأملات في مقولة حول ماكس هوركهايمر" .

4– عالج في كتابه "الفكر ما بعد الميتافزيقي" مقالات فلسفية 1992 مباحث دينية، أبعد في خضمها قدرة الغرب إدراك المفاهيم، الأخلاق، الحياة الأخلاقية... دون العودة إلى الديني وربما هي أقرب إلى الشهود الأفلاطوني .

5- نشر هابرماس 1997 كتاب بعنوان "السلطة المحررة للرموز، مقالات فلسفية" ويخصص هذا الكتاب للبحث في الأراء والنظريات التي تدور حول الدين لبعض الفلاسفة.

6- قدّم محاضرة 2001 في مراسم جائزة السلام حول الإيمان والعلم وأعاد تحريرها في كتابه "مستقبل الطبيعة البشرية نحو نسالة ليبرالية".

7- زار إيران في 2002 أقام فيها أسبوعا وقدّم محاضرات عن التحوّل الديني، وألقى محاضرتين في طهران "نهاية التمييز بداية المداراة" و"التديّن في بيئة العلمنة".

8- نشر العام 2002 مجموعة مقالات ترتبط بالدين والعلاقة بينه وبين العقل في كتاب "الدين والعقلانية، مقالات حول العقل الله الحداثة".

9- نشر كتابه "الفلسفة في عصر الخوف" 2003 وهو حوارات مع بورادوري.

10- نشر هابرماس كتابه 2003 مستقبل الطبيعة البشرية وهي اسئناف لجائزة السلام وهو مجموع مقالات أهمها الإيمان والعلم.

11- ألقى هابرماس 2005 محاضرة "الدين في الفضاء العمومي" تحدّث فيه عن إحياء الدين والتدين في العالم بأسره في مؤتمر جائزة هولبرغ.

12- نشر عام 2006 مقاله في المجلة الأوروبية الفلسفية "الدين في الفضاء العمومي" بمزيد من البسط والإسهاب.

13- نشر أيضا 2006 كتابه جدل العلمنة وهو حوار بينه وبين الكاردينال جوزيف راتيسنجر أجراه في ميونخ 2004.

14- نشر سنة 2008 كتاب "الطبيعانية والدين".

15- في سنة 2010 نشر كتاب الوعي بما هو مفقود: الإيمان والعقل في عصر ما بعد العلمانية تضمّن مقالين لهابرماس.

16- نشر سنة 2010 مقاله المعنى العقلاني لميراث اللاهوت السياسي المريب وكان ردا على كارل شميث ونشر في كتابه المشترك مع تايلور وجوديث بتلر "قوة الدين في المجال العام" .

17- نشر عام 2013 مقالة "الرد على منتقدي" ردّ على بعض الفلاسفة الذين انتقدوه [1].

[1]- حسين غفّاري ومعصومة بهرام، دور الدين في الفضاء العمومي دراسة في تطوّر رؤية هابرماس الفلسفية، مجلة الإستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد الثامن، بيروت، صيف 2017، ص88-89-90 بتصرف.

إن كثرة المستغيثين بالدين فعلى سبيل التمثيل "ترى الباحثة الباكستانية صبا محمود –أستاذة أنتروبولوجيا في جامعة كاليفورنيا، أن العلمانية سادت العالم الإسلامي في حقبة ما بعد الإستعمار في أعقاب الحرب العالمية الثانية متخذة أشكالا متنوعة، قومية، يسارية، ليبرالية، (سوكارنو في اندونيسيا وعبد الناصر في مصر وشاه إيران) لكن الثمانينات شهدت إنعطافة غير متوقعة نحو الإسلام، رفضت ربط الحداثة بالمنظور الغربي حصرا، وهي انعطافة ارتبطت بإخفاق الأنظمة الديكتاتورية ما بعد الكولونيالية من جهة وإخفاق المشروع التنويري الغربي في تحقيق وعوده الكبيرة من جهة أخرى"[1] شكّلت عودة الديني إلى الفضاء العام مقاما للمناقشة في مدينة نيويورك في عام 2009 بين مفكرين: يورغن هابرماس وجوديث بتلر، كورنيل ويست وتشارلز تايلور، أفضت إلى انبثاق كتاب "قوة الدين في المجال العام" إذ يقر هابرماس بأهمية الدين في إثراء النقاش الذي يؤسس لتسيير الشأن العام، بيد أنه ركّز على ضرورة ارتكاز المساهمون في هذه النقاشات بلغة المنطق "بحسب هذا المقترح لا بد أن يكون كل المواطنين أحرار في تقرير إن كانو يرغبون في استخدام لغة دينية في المجال العام أم لا؟ فإن رغبوا في ذلك فإن عليهم قبول أن محتويات الحقيقة المحتملة في الملفوظات الدينية لا بد أن تترجّم إلى لغة مقبولة على نطاق واسع"[2] إنتقل هابرماس من معارصة الدين إنطلاقا من تبنيه الماركسية كمرجعية للتفكير ووصل به الأمر في نهاية المطاف إلى ضرورة إبقاء الدين داخل دائرة العمل السياسي ويجب القبول به في تسيير الشأن العام، يصرّ هابرماس هاهنا على لزوم إنفتاح الفضاء العام للمتدين والعلماني على حد سواء، بعد أن غلقت الحداثة على الدين بشكل تام.

ينبهنا تشارلز تايلور من خلال أعماله إلى ضرورة عودة الدين إلى الفضاء العام، بعد أن إعترض على منتجات الحداثة في سلسلة من المحاضرات 1991، حدّد تايلور ثلاث مقامات حداثية تمثّل عدم الراحة اليوم وهي كما يلي:

1) النزعة الفردية والأنانية: التي أوصلتنا إلى حرماننا من كل الأسس الأخلاقية في مجتمعاتنا.

2) أسبقية العقل الأداتي: والذي عبّر كجوهر للإشكالات الأساسية التي أنتجتها الحداثة وارتسمه وفق ما أقره هابرماس.

3) الإنسحاب إلى المجال الخاص: وهي من منتجات الأنانية الفردانية وتشكّل نوعا من الإغتراب الإنساني.

في كتابه عصر علماني الذي اشتغل على النحن –الغربية– وقسّم تاريخ العلمانية إلى ثلاث حقبات أساسية وهي كما يلي:

1) حقبة تم إفراغ الدين والإيمان بالله من الوسط السياسي باعتباره ينتمي إلى عصور خلت.

---

[1]– يورغن هابرماس وآخرون، قوة الدين في المجال العام، تر: فلاح رحيم، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، 2013، ط1، ص13.

[2]– المرجع نفسه، ص59.

2) عصر يمثّل دور العلمانية العامة التي لا تقف ضد إستمرار الحياة الدينية.

3) لعله الخيط الهادي في مشروع تايلور "أعتقد أنه من المهم اليوم إعادة النظر في علمانية عصرنا إنطلاقا من معنى ثالث يرتبط إرتباطا وثيقا بالثاني من دون أن يعني ذلك أنه لا علاقة له بالأول، يسلط هذا المعنى الضوء على أوضاع الإيمان ويتمثل التحوّل إلى العلمانية بهذا المعنى من بين أمور أخرى إلى اعتبار الإيمان بالله خيارا من بين الخيارات"[1].

نحن اليوم في عصر علماني يكون فيه الدين محايثا ومتضمن في عصر العلمانية الجديد، إن مراد تايلور هو إعادة إحياء الحداثة التي تأزمت بسحب كل الأشكال الميتافزيقية من مقوماتها، بالعودة إلى أصولها وإدخال الديني من جديد، ليس غرضنا شرح فكرة تايلور في هذا الصدد بل مجرد التنويه إلى فكرة إعادة تايلور الديني إلى الفضاء العمومي، كما تجدر بنا الإشارة إلى أن تايلور يتوخى الحذر في سياق تعريفه للدين بحيث رفض صياغة تعريف خاص بالدين.

إنّ الفيلسوفة النسوية جوديث بتلر نحّت على هذا المنوال في هذا المؤتمر "قوة الدين في الفضاء العام في نيويورك 2009" قضية ذات حساسية في طابعها السياسي الخطير بيد أن موقفها العام يصب في خانة البحث، إذ أثارت مقاربة بين موقف الصهيونية بوصفها عقيدة سياسية علمانية وموقف الديانة اليهودية باعتبارها عقيدة فوقية إلهية من مسألة التعايش، باعتبار مفهوم التعايش لا بد أن ينتصر في ثقافة أصبحت البشرية محط تهديد وجودي إذا لم نستحضر هذا المفهوم في حياتنا، إذ تقر أن الميراث الديني اليهودي يوفّر أفقا أوسع للتعايش مع الآخر على خلاف الصهيونية السياسية الذي تغلق كل أبواب الإنفتاح من خلال الممارسات التي وسمتها بالتعسفية للصهاينة في حق الشعب الفلسطيني الأعزل، تقول جوديث بتلر: "آمل أن تغفرو لي النبرة المستخفة التي بدأت بها لكنكم سترون الحيرة التي أحاول مقاربتها إن لاحظتم أن المرء إذا ما انتقد عنف إسرائيل فإنه معاد للسامية، لكنه مطلبا أخلاقيا من داخل الأطر اليهودية ... ما أرمي إليه ليس القول إن اليهود ملزمون بنقد إسرائيل، على الرغم من اعتقادي أنهم كذلك"[2]، إن الخلاصة التي إنتهت إليها بتلر أن الصهيونية تغلق كل أسس التصالح والتعايش بين فلسطين وإسرائيل، في حين أن الميراث اليهودي يفتح الأفق السليم للتعايش والتفاهم مع الآخر، إن علينا أن نفهم ثقافة العيش المشترك بين كل الثقافات والقوميات والإثنيات العرقية والديانات، فقبول الاخر غذا شرطا أساسيا في العيش الآمن، فتقبّل الآخر يعني انني سأجبره على أن يتقبلني "في الواقع على اليهودي قبول علاقة مع غير اليهودي"[3] ففي معرض بيانها إنما تشير بتلر إلى ضرورة إقامة علاقات مع الغير الذي لا ينتمي إلينا دينيا، فهذه الصياغة إنما رجّحت قوة الدين في إقامة علاقات مع الغير، لعلنا نكتفي هاهنا في عرض أفكار الفلاسفة الذين يؤكدون على وجوب

---

[1]– تشارلز تايلور، عصر علماني، تر: نوفل الحاج لطيف، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2019، ط1، ص16.

[2]– يورغن هابرماس وآخرون، قوة الدين في المجال العام، مرجع سابق، ص118.

[3]– المرجع نفسه، ص137.

عودة الديني إلى الفضاء العام، وادخاله إلى دائرة النقاش السياسي، كما ان هذه الدعوة لا تستثني العلمانية ولا تقصيها.

إنّ المفكرين الذين استحضرناهم هاهنا إنما ينتمون إلى حقل العلمانية ويدافعون عنها، بيد أنهم إقتنعوا بالديني الذي استغاث به الجمع منذ سبعينات القرن المنصرم، إن رهان موران على العلمانية في فرنسا إنما يؤسس لمزيد من التطرّف الفكري كما أوضح ذلك جون بوبيرو في كتابه العلمانية المزيّفة واصبحت قناعا يرتديه اليمينيون المتطرفون ولعل مارين لوبين أول هؤلاء "ففي خطابها 2010/09/10 في ليون بعد أن أحالت إلى الحرب العالمية الثانية قارنت الصلوات التي يؤديها المسلمون في شوارع بعض المدن الكبرى بالإحتلال"[1] من العسير على العلمانية أن تهتم بالشأن العام، يستوجب على موران الإقرار بضرورة إسترجاع الديني إلى الفضاء السياسي لكي يتسنى له بلوغ معاني أفضل في مشروعه السياسي فالدين بات ضرورة ملحة وجب الوقوف عليه، إن الترقيعات التي أقامها موران إنما تنطوي على أفكار ممهدة لعلمانية جديدة نفترض أنها ستكون أكثر اكتمالا باستحضار الديني إليها.

[1]– جون بوبيرو، العلمانية المزيفة، تر : عبد الله المتوكل، مركز نهوض للدراسات والنشر، لبنان، 2020، ط1، ص19.

المبحث الثالث: الأزمة كعلم ونموذج المخاطر:

أولا: الأزمة كعلم لمواجهة الإختلالات:

يؤكد موران هنا أن محاولة إستبصار الأزمة من زاوية علمية، إنما الغرض منه هو إحداث توافقات بين النظام والإنتظام، لم يتغافل الفلاسفة عن موضوع الأزمة بعد أن طرحه موران 1976، إستأنف فيه مشروع كان قد افتتحه إدموند هسرل في مؤلفه "أزمة العلوم الأوروبية والفينومنولوجيا الترنسنتندالية" الذي تم التقديم له بعد وفاته[1] (1950) صدر النص الأول كاملا لأول مرة 1954 ضمن المجلد السادس من هوسرليانا، بيد أن الكتاب تمّ تأليفه بين 1934 و1937، أولى هسرل هنا معنى الأزمة انطباقا على العلوم دون أن يشير إلى دلالتها كمفهوم يقول في هذا الصدد "كثيرا ما نسمع أن العلم ليس له ما يقوله لنا في المحنة التي تلم بحياتنا، إنه يقصي مبدئيا تلك الأسئلة بالذات التي تعتبر هي الأسئلة الملحة بالنسبة للإنسان المعرفي في أزمتنا المشؤومة لتحولات مصيرية"[2]، إن الإنبهار الذي أولاه الإنسان إلى الإنفجار العلمي الذي كشف عنه القرن التاسع عشر أولجتنا في حالة من الغوص في اللامبالاة عن الأسئلة الحاسمة للبشرية، فالعلوم التقنية رغم صرامتها بيد أنها تمكث ملتزمة الصمت ب"الموضوعية" التي تميزها، بيد أن قضايا الإنسان التي تؤسس لمعنى الحياة إنما تبقى دون كشف، ففي أفق العيش تبقى النزعة الموضوعية على نسيان هذا العالم بصفته الأفق الذاتي النسبي لكل إمكانيات تجربتنا، وعلى هذا الأساس كان غرض هسرل الكبير تأسيس الصرامة في العلوم الفلسفية الروحية حتى تلتزم بمعالجة قضايا الإنسان التي يعتبرها هسرل حاسمة في هذا الصدد.

إن ترددنا على الأزمة يجعلنا نكشف عن كتاب الأزمة للمفكر بول هازار الذي يؤرخ للتحولات العميقة التي حدثت للوعي الأوروبي لعله في أخطر مراحل تبلوّر الفكر الأوروبي (1680-1715) إن عملية الإنتقال من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر إنما كانت محفوفة بالمخاطر ونستشهد بالتوصيف المذهل الذي قدّمه هازار في هذا الصدد بقوله: "ما هذا التباين ما هذا العبور المفاجئ، كان الناس في القرن السابع عشر يحبون التراتبية والإنضباط والنظام الذي تتعهد السلطة بتأمينها والعقائد التي تنظم الحياة بثبات، وكان من خلفهم مباشرة في القرن الثامن عشر أناسا يرفضون الإكراه والسلطة والعقائد، الأولون مسيحيون والأخرون مناهضون للمسيحية، الأولون يؤمنون بالحق الإلهي والأخرون يؤمنون بالحق الطبيعي، يعيش الأولون

---

[1]- لم نتغافل الكراسة التي وضعها فردريك لينين في شباط -أيار مايو 1904 والمعنونة ب"خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الخلف: الأزمة في حزبنا" لكن لن نورده هاهنا لأن المقصود الذي قدمه لينين كان الصراع والخلاف وليس الأزمة بالمعنى الذي نريد ان نتناوله هنا "حين يتصل صراع مديد عنيد حامي الوطاس فإن النقاط الأساسية التي يدور حولها الخلاف تبدأ في البروز عادة تتراجع حيالها سائر فصول النضال" فالمعنى هنا ايديولوجي لا يعبر عن المسعى: لينين، خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء الأزمة في حزبنا، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1958، ط1، ص5.

[2]- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، تر: إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ط1، ص44.

بطمأنينة في مجتمع يقسّم إلى طبقات غير متساوية ولا يحلم الأخرون إلا بالمساواة، إنها ثورة"[1] فمراد هازار أن هناك تحوّل، وإنبثقت ثورة وتجرأ البحارة على السفر واستكشاف كل الأفاق، أصبح كل شيء فجأة قابلا للفحص والتقصي، هؤلاء الرحالة لم تتوقف أعمالهم على التقصي عن العالم بل كانوا أدباء وشعراء، أحدث كل ذلك أزمة وعي لم يكن يدركها الغرب، قبل فترة زمنية لا تتعدى 35 سنة لم تعد أوروبا تفكر على نفس السياق الذي شغل فكرها، إنبجست أفكار جديدة هاهنا يستوجب على الأوروبي ممارستها، بيد أننا نجد هاهنا أيضا أن بول هازار لم يتناول الأزمة كمفهوم، وإن كان مثل هسرل على بيّنة تامة بالمعنى الذي تؤديه هنا لفظة الأزمة على اختلاف ضروبها، بيد أن الإنبثاق الحقيقي للفظة إنما تحقّق مع موران سنة 1976، الذي ساءل مفهوم الأزمة الذي غدا يتردد على الألسن بوصف الإنسان على أنه كائن أزمي، حلّل موران هذه اللفظة معرضا اياها للمساءلة طارحا سؤالا وجيها من مفكر حقيقي: أليست الأزمة في أزمة؟ تساؤلا لم يعد وجيها أن نصرف عنه أقلامنا بل سنجتهد في في تحليل ماهيتها وكان الغرض الحقيقي من كل ذلك هو تاسيس علم للأزمات كما نبه إلى ذلك.

إن تناول موران لموضوع الأزمة إنما شكّل بداية حقيقية لانطلاقة اعتمدها الفلاسفة في هذا الشق ونحن نلفى هاهنا بول ريكور Paul Ricoeur (1913–2005) يستحضر المفهوم بنوع من التناول ففي مقال "هل الأزمة ظاهرة حديثة على نحو خاص؟" 1988 الذي إستانف في أفكار مؤتمر قد عقد في 1986/11/03 بجامعة نوشاتيل بصدد حصوله على الدكتوراه الفخرية في اللاهوت، إذ إشتغل على الأزمة بشكل لا يبتعد عما فعل موران بيد أن وجه الإختلاف أن ريكور إنما عرض للأزمة من باب أنها أزمة الحداثة نفسها التي اختلجها التشويش، يقر ريكور بخمس مرتكزات إنما تتكأ عليها الأزمة "1–نقطة الإرتكاز الطبية عبر تحديد سياق المرض ونوبة المرض والتشخيص والعلاج، 2–الجانب النفسي الأزمات النفسية والجسدية مع امكانية المداواة، 3–الإنتقال من الأقليات إلى الأغلبيات، 4– النموذج العلمي وهنا نستحضر نموذج كوهن، 5– الأزمات الإقتصادية ليس العامل الوحيد للأزمات واعتبر النموذج الطبي كبديل ليكون مرجعية فالألم الذي يحدد الأزمة وليس الكم، كما بينتها أزمات الإقتصاد وبالأخص أزمة 1929 وكذا أزمة التغذية فشتان بين من يرمي فائض الإنتاج ومن يتضوّر جوعا"[2] إن الإنشغال الريكوري على الأزمة إنما كان محوريا ليؤسس بديلا عن النظم الإقتصادية بكونها الأول لتحديد معنى الأزمة، بيد أن الإنسان لن يتسنى لنا الكشف عنها إلا في سياقات الطب، فصوّر الإنسان ممزقا بين القوى الحيوية فدعى إلى إيجاد مكان له في الكون، ليس غرضنا نحن هاهنا عرض موقف بول ريكور بل سنكتفي بالإشارة إلى هذه التنبيهات التي ستوضح إنشغال الفلاسفة بالأزمة.

---

[1]– بول هازار، أزمة الوعي الأوروبي 1680–1715، تر: يوسف عاصي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ط1، ص7.

[2]– بول ريكور ، هل الأزمة ظاهرة حديثة على نحو خاص، تر: عومرية سلطاني، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 36، المجلد 9، ربيع 2021، ص123–125.

ثانيا: أزمة الصحة، أو إمتحان الأزمة:

ولعله يتوجّب علينا الإشارة إلى "زيجمونت باومان" باعتباره تناول الأزمة في كتابه حالة الأزمة 2014 والذي تناولنا موقفه مع موقف موران في الفصل الأول، أما وجه التأكيد هنا فهو موران الذي تناول الأزمة في متونه وجازف في الحكم الذي قدمه في كتابه إلى أين يسير العالم في توصيفه للقرن الذي نعيش فيه واسما اياه ب"قرن الأزمات"، بحيث توسعت سمة كلمة الأزمة وغدت تطلق على الإقتصاد إن وقع في اختلالات كمية وفي الأسرة البيئة المجتمع العائلة، بيد أن ما لفت انتباهنا هنا هو أحد كتبه المتأخرة الذي ألفه سنة 2020 بالإشتراك مع زوجته المغربية صباح أبو السلام والمعنون ب"لنغير السبيل دروس فيروس كورونا" إستهله موران بالتأكيد على أنه أحد ضحايا الأنفلونزا الإسبانية في الفصل الأول الذي أطلق عليه "مائة عام من التقلبات" الذي افتتحه بالأنفلونزا الإسبانية 1918-1921 التي فتكت ب50 مليون ضحية وهو عدد يتجاوز بكثير ما أحدثته الحرب العالمية الأولى ويقترب من ضحايا الحرب الثانية، كما عصفت الأزمة العالمية 1929 التي تسببت في فوضى سياسية واجتماعية، حرص موران على استرجاع ذكريات الثلاثينات بعد تولي هتلر إستشارة ألمانيا 1930-1933 وانتفاضات 1934/02/06 التي أفضت إلى تعرفه على السياسة التي شغلت العالم خاصة بعد خروج هتلر من عصبة الأمم 1933 وبدأ في إعادة التسليح في أكتوبر 1935 وغزو إيطاليا الفاشية لأثيوبيا في 1936، هذه الأحداث التي أولجتنا في الحرب العالمية الثانية، كشف موران عن الأزمة الفكرية الكبرى 1956-1958 التي انبثقت من تناول خروتشوف للحكم في الإتحاد السوفياتي والإنقلاب الذي تمخّض عن الإطاحة بالجمهورية الرابعة ووصول ديغول للحكم في خضم حرب الجزائر –الثورة التحريرية- كما أشار إلى أحداث ثورة الطلاب ماي 1968 وإلى الأزمة البيئية التي كشف عنها البروفيسور "ميدور" 1972 حول تدهور الطبيعة، بعد هذه الأحداث عقد موران العزم على المقاومة ضد كل أشكال البربرية القديمة "الهيمنة والإزدراء والإستعباد والتي تتصاعد أكثر فأكثر في إفريقيا والبربرية الباردة الجليدية للحساب والربح"[1].

إعترف موران في خضم تحليله لفيروس كورونا أن هذه الأزمة قد فاجئته كشخص فلا أحد كان ينتظرها، بيد أنها لم تفاجئه في طريقة تفكيره بل أكدت عليه أي على تعقيد الواقع بحيث يتوجب علينا توقّع اللا متوقع فهذا درس قد توصّل إليه بعد 99 سنة، رصد موران أن الفيروس قد تسبّب في شلل 177 دولة عبر العالم، إن ما علينا ان ننتبه عليه هنا هو إطلاق موران لفظة الأزمة في تحليله لهذا الفيروس "يجب أيضا أن ينظر إلى الأزمة العامة والعملاقة الناتجة عن الفيروس التاجي على أنها عرض قاتل لأزمة أعمق لنموذج الحداثة"[2] ونحن نعرف أن هذه الأزمة التي حذرنا موران من عواقبها وحتى في حالة الخروج منها ستكون

[1] - Edgar Morin et Sabah Aboussalam, Changeons de voie, edition du Denoél, Paris, 2020, p1, p14.
[2] - IBid-, p15.

أعسر من الأزمة الحالية، نقصد لحظة كورونا، لذا يستوجب أن نتهيأ للمستقبل من أجل أنه سيكون الأمل في غد أفضل.

أرسى موران دروسا خمسة عشر لهذا الفيروس كشف عنها كما يلي:

درس في: كيف نعيش[1]: إستأنف موران التساؤل الذي طرحه في فيلمه 1961 مع جان روش، فخلاصة هذا الدرس تكمن في ضرورة إبقاء أعيننا مفتوحة صوب هؤلاء المضطهدين الذين يعانون الفقر وحصر الحياة، إن تجربة الحجر الصحي تعلمنا ضرورة فتح كل أشكال الحبس عن المظلومين والمقهورين من هؤلاء الذين يستمتعون بالحياة.

درس عن الشرط الإنساني[2]: يستوجب على الإنسان أن يستحضر هشاشته أمام العالم وضعفه أمام أدق عناصر الطبيعة، رغم اعتقاده لسنين أنه تمكّن من التغلب على الطبيعة واخضاعها له وفقا لإرادته، بيد أن هذا الفيروس المجهري إنما أتى ليبين مدى هزالة الإنسان، كما دعى موران إلى وجوب التخلي عن كون فكرة الأزمات الصحية أضحت أسطورة من الماضي ونبّه إلى ضرورة الإستعداد لمثل هذه الإختلالات التي تخلقها الطبيعة.

درس في لا يقين حياتنا[3]: إن الدرس الذي استخلصه موران هاهنا إنما يتمحور حول لا يقينية العواقب التي سنضحي إليها، إن الفيروس التاجي إنما أظهر معنى الحياة على وجهها الأكمل، وهذا الدرس الذي كان يدعو إليه موران منذ أمد بعيد وقد ظهرت بوادره عبر حجز كل البشرية في مواجهة كورونا ولا دراية لهم في طريقة القضاء عليه.

درس في كورونا تذكرنا بالموت[4]: إن الطفرة العلمية التي كانت نتيجة للحداثة ومنتجاتها إنما كانت تؤسس إلى زيادة أمل الحياة خاصة في الدول المتحضرة –الغرب– بهذا ارتسمت ملامح الحياة في الإنسان الغربي متجاهلا الموت الذي غدا على هامش الحياة ولم يعد يسمع حسيسه، بيد أن كورونا كانت منبها للموت وأن خطره بات يهدد الجميع دونما استثناء، حتى أن تلك المراسم الجنائزية التي كان يغادر بها أحبابنا قد اضطررنا للتخلي عنها، أجبرتنا كورونا إلى إعادة إيلاج الموت في منظومتنا الفكرية مرة أخرى.

درس حول حضارتنا[5]: إنتبه موران هاهنا إلى الطريقة التي كان الإنسان الغربي –باعتباره الأفق الذي يفكر داخله– يعيش بها والتي تتمحوّر حول الخارج عمل سفر مطاعم ... إستحوذ علينا الإستهلاك بحيث لم ننتبه إلى تسمّم هذه الحضارة التي دفعنا إليها أنفسنا، بيد أن إجراءات الحجر الصحي إنما فرض على الإنسان

[1] - Edgar Morin et Sabah Aboussalam, Changeons de voie, Op Cit, p18.
[2] - IBid, p19.
[3] - IBid, p20.
[4] - IBid, p21.
[5] - IBid, p22.

الإلتزام بقواعد جديدة يعود فيها إلى المنزل ليتعرف على حياته من جديد، لعلنا ندرك قيمة وجمالية الحياة بعيدا عن الأسى الإستهلاكي.

درس حول ضرورة التضامن[1]: لا يكاد يخلو مقام لم ينبه فيه موران إلى خطورة ما أنتجته حضارتنا ومن تسرب النزعة الفردانية إلى ذهنيات الأفراد والتي كشفت عن ضروب الأنانية المفرطة التي قضت على كل أشكال التضامن، غدا الإنسان –الغربي –لا يتضامن إلا مع نفسه بيد أن فيروس كورونا كشف عن الوجه الحقيقي الذي يجب أن يكون عليه الإنسان، بدت ملامح التضامن تظهر وتنكشف من جديد خاصة مع التكافل من أجل تغطية نقص الأقنعة وكذا التوصيل المجاني للمواد الإستهلاكية والمساعدة بين الجيران، التضامن الإنساني الذي أبدته دول تجاه أخرى، إنما ينم على الطينة الحقيقية للإنسان، علمتنا كورونا ما كنا نعلمه وعلى دراية به لكن لم نكن نضعه في اهتماماتنا.

درس عن التفاوت الإجتماعي[2]: بيّنت كورونا كل أشكال التفاوت التي كان الإنسان يعاني منها وكشفت كذلك الستار المخفي الذي يتستّر به بالأخص هؤلاء الذين يشكلون جيش المجابهة –نقصد الأطباء والممرضين– ذوي الدخل المحدود، كما أظهرت لنا أنه ليس لكل مواطن منزل في الأرياف يلتجئ إليه هربا من ضجيج المدينة، يدعو موران إلى ضرورة رد الإعتبار إلى هؤلاء الذين إمتهنوا مهن تجابه الموت.

درس عن اختلاف الأوضاع في مجابهة الوباء[3]: كانت هذه النظرة الدولية التي أقرها موران في اختلاف الأوضاع في العالم حول مجابهة جائحة كورونا متزنة من فيلسوف إنساني، لقد شهدت دول العالم التي تعاني من كثافة سكانية مرتفعة أزمات خطيرة إرتفعت فيها نسبة الوفيات مثلما حدث في إسبانيا وإيطاليا بيد أنه على خلاف الدول التي كثافة سكانها أقل فالضرر كان أقل مثل أيسلندا.

درس عن طبيعة الأزمة[4]: إن طبيعة الأزمة التي تتقوّم باللا يقين قد بدت جلية هاهنا في فشل النظام الصحي أي في قمع الإنحرافات [ردود الفعل السلبية] فأولجتنا في أزمة صحية.

درس في العلوم والطب[5]: كشفت هذه الأزمة عن أزمات انطوى عليها المجتمع دون ان ينتبه لها، تبيّن للمواطنين أن هناك من يشتغل وفق مصالحه في عملية صنع الأدوية، كشفت هذه الجائحة أن العلم ومهما بلغ من تقدّم إلا أن الإختلالات تبقى تتغلغل فيه في كل الحالات، وكانت فرصة مواتية لموران ليعيد تذكيرنا بخطورة التخصصات التي آل إليها العلم.

[1] - Edgar Morin et Sabah Aboussalam, Changeons de voie, Op Cit, p22.
[2] - IBid, p24.
[3] - IBid, p25.
[4] - IBid, p26.
[5] - IBid, p27.

درس في أزمة الذكاء[1]: كشف لنا القصور الذي أشرنا إليه أنه ثقب أسود هائل سيطّر على أذهاننا، إنطفأت منارة التعقيد في عقولنا وجعلتنا نتخصص أكثر، هذه التخصصات كشفت عن أزمة المعرفة، وبيّن موران أن البعد الحسابي للحياة قد إنصهرت فيه الحياة الروحية للإنسان التي تعبر عنه بشكل أصدق، إن هذه الأزمة التي تشكّل مشروع موران قد اتضحت بشكل أوسع مع هذه الجائحة التي أبانت عن الوجه الحقيقي لمعنى المفهوم.

دروس عن أوجه القصور السياسي[2]: كشفت كورونا التي لم يتم التحضي لها عن أزمة الإختزال في السياسة وأبانت عن كل أشكال الضعف الذي يعاني منه السياسي اليوم إذ ظهر ضعف التسيير في الحالات الحرجة وعن ضعف في التنبؤ والرؤية الإستبصارية والتشخيص، أظهرت كورونا أزمتنا السياسية على حقيقتها.

درس حول التبعية[3]: إنتبه موران في هذا الدرس إلى تبعية الدول للصين لإنتاج الأقنعة، لأجل أن العمالة هناك أقل من أوروبا، إنتبه إلى خضوع فرنسا في الصناعات الصيدلانية إلى الصين كما هو الحال مع دول العالم الثالث.

درس في أزمة اوروبا[4]: يعود موران هنا إلى نزعته القومية، يبدو أنه شقّ عليه تشظي أوروبا إلى وحدات ضيقة تسعى فيه كل دولة إلى مصالحها باستثناء بعض المساعدات الخجولة ولعل ما حدث لإيطاليا قد أوضح ذلك بشكل بيّن.

درس في أزمة الكوكب[5]: كشفت كورونا على أن العولمة لا تنقل إلينا الخيرات فقط بل حتى الأمراض والعلل، وهنا نستحضر خطورة الإقتصاد الذي سيطر على الكوكب بشكل كامل، إذ أصبحت البشرية تحت رحمة مؤسسات إقتصادية وأصحاب رؤوس الأموال .

عرض موران في الفصلين الأخيرين من الكتاب "تحديات ما بعد كورونا ولنغير السبيل" مجموعة من الإرشادات سبق ان أشرنا إليها وتناولناها، فعلى هذا الأساس لن يتم التعرض لها، بيد أننا سنعرض تناول بعض الفلاسفة لهذه الجائحة وأبرزهم نعوم تشومسكي الذي كان حذقا في تعامله مع جائحة كورونا، ففي حواره الذي أقامه مع كريستينا ماجدالينو بتاريخ 2020/04/21 إنتقد نعوم الطريقة التي تعاملت بهاالولايات المتحدة الأمريكية مع الفيروس حتى قبل ظهوره ويقول في هذا الصدد "نواجه خطأ فادح آخر للرأسمالية النيوليبرالية، إذا لم نفهم هذا فسيكون الأمر أسوأ في المرة القادمة من الواضح بعد ما حدث في أعقاب إندلاع السارس 2003 عرف العلماء أن المزيد من الأوبئة ستأتي، كان من الممكن تحضيره وعلاجه كما هو الحال

[1]- Edgar Morin et Sabah Aboussalam, Changeons de voie, Op Cit IBid, p-29.
[2] -IBid, p 31.
[3]- IBid, p 33.
[4]- IBid, p 35.
[5] -IBid, p 35.

مع الأنفلونزا لكن لم يتم ذلك"[1] يستوجب التحضير لكل أشكال الخطر، كما أن تشومسكي قد قدّم أصبع الإتهام مباشرة إلى السياسيين في أمريكا الذين اعتبرهم جوهر المشكلة وليسوا الحل الذي يجب أن يكونوه باعتبارهم مسؤوليين فهم من يلومون الكل باستثناء أنفسهم، كما لم يتوارى تشومسكي في نقد ترامب وطريقته في التعامل مع الوباء التي وسمها بأنها سريالية –فوق واقعية– "الطريقة التي تمّ بها التعامل مع الوباء هي طريقة سريالية بحلول شباط كانت مستعرة بالفعل ... ربما يكون أكثر الرجال ثقة بالنفس على الإطلاق، إنه قادر على حمل لافتة بيد واحد كتب عليها أنا أحبك أنا مخلصك، ثق بي لأني أعمل ليلا نهارا من أجلك، وباليد الأخرى تطعنك في الظهر"[2].

إن جرأة تشومسكي في تناول إشكاليات المجتمع الأمريكي بكونه المثقف الذي يقوم بمهامه، ووصف القادة الذين يتحكمون في زمام الأمر في الولايات المتحدة بالمرضى النفسانيين الذين يقدمون كل أشكال الإتهام إلى الصين وإلى منظمة الصحة العالمية، وبقي تشومسكي يحذّر من الرأسمالية الطاغية واسما اياها بالكيان الذي لا يستسلم أبدا، فهي تبحث عن مزيد من الربح ولو على حساب أرواح الناس، وعلى شاكلة موران لم يغفل تشومسكي عن انتقاد الكيان المسمى الإتحاد الأوروبي "حسنا انظروا إلى ألمانيا التي تتعامل مع الأزمة بشكل جيد، الأزمة في إيطاليا حادة .. هل يتلقون المساعدة من ألمانيا؟ من حسن الحظ أنهم يتلقون المساعدة من قوى عظمى مثل كوبا التي ترسل الأطباء أو من الصين التي ترسل مواد ومساعدات، لكنهم لا يتلقون مساعدات من الدول الغنية"[3] كان تشومسكي صريحا وحاسما في اعتبار أن كوبا دولة عظيمة ومازالت تعلّم العالم الأممية، رغم الحصار الإقتصادي التي تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية عليها، دولة بالكاد تبقى على قيد الحياة وتفرض عليها عقوبات بانتهاك حقوق الإنسان، بيد أن أمريكا تقوم بما هو أسوأ وأخطر في كوبا في حد ذاتها في معتقل غوانتانامو حيث تتخلى أمريكا فيه عن كل أشكال الإنسانية فيه.

لا يختلف إثنان على اعتبار جائحة كورونا في حقبتنا ونحن نلفى سلافوي جيجيك Slavoj Zizek وآلان باديو وهابرماس وأندريه كونت سبونفيل وجورجيو أغامبين وغيرهم من الفلاسفة الذين تناولوا جائحة كورونا بالقراءة الفلسفية المميزة[4] إن الكشف الذي قدمناه حول منظور موران للأزمة بكونها اختلال النظام في الصحة، وبهذا سنجد أنفسنا أمام ضرورة أخرى وهي التوجّه نحو توجيه اعتراضات تبدو لنا وجيهة تتمظهر فيما يلي:

---

[1]– زهير الخويلدي، التفلسف في زمن كورونا حوارات فلسفية حول الجائحة، دار رقمنة الكتاب العربي، ستوكهولم، 2021، ط1، ص14.

[2]– المرجع نفسه، ص15.

[3]– زهير الخويلدي، التفلسف في زمن كورونا حوارات فلسفية حول الجائحة، مرجع سابق، ص16.

[4]– آلان باديو وأخرون، كورونا من منظور فلاسفة العصر، تر: جميلة حنيفي وأخرون، كتب كوة الرقمية، www.couua.com 2021/05/06.

ثالثا: من علم الأزمات إلى علم المخاطر:

إن علينا أن نقف على مجموعة الإعتراضات التي قدمت لموران في هذا الصدد، ونحن نحاول أن نقسم هذه الإعتراضات إلى قسمين:

أولا: إمتحان كتاب "لنغير السبيل" وهنا سنستند إلى مقال د. عبد الكريم عنيات الذي قدّم قراءة في هذا الكتاب في العدد 36 ربيع 2020 في مجلة عمران، إذ ينبهنا إلى أن موران ورغم تحليله المضبوط والدروس التي أدرجها بيد أن كتابه إنطوى على نقيصتين أساسيتين "أولا: صدر الكتاب بعد أربعة أشهر من انتشار فيروس كورونا في ماي 2020 مقدما نظرته إلى أصول الفيروس وأبعاده ومصير العالم بعده، والحق أن هذه الإستجابة السريعة لموران تجاه هذه الجائحة هي نقطة ضعف هذا الكتاب، لقد استعجل في استخلاص النتائج من هذه الجائحة، أخذ يحدد نتائجها المباشرة وغير المباشرة"[1] إن التعجّل الذي وقع فيه موران خاصة في ظل ظروف خاصة، حيث أنه لم تتحدد المعالم الكبرى لهذه الجائحة، ثم نجد أنفسنا مع الدكتور عنيّات نستحضر مقولة سبق وأن أشرنا إليها سلفا وهي أن الفلسفة لا تنبثق إلا بعد إنتهاء الجائحة "**إن بومة منيرفا لا تبدأ في الطيران إلا بعد ان يرخي الليل سدوله**" كيف للمتأني ولفيلسوف العقل ان يؤسس هذه المعارف في حين أن جائحة كورونا مازالت قائمة –حتى إلى يوم الناس هذا– بعد أربع سنوات من إنبجاسها في نوفمبر 2019، فهذه التحليلات التي قدمها موران بالرغم من أهميتها بيد أنها تبقى ثقب أسود في فلسفته، وكذا إن الأمر يتعلق هنا بلفظة الأزمة عبّر بها للكشف عن الجائحة.

نتفق مع الدكتور عبد الكريم أيضا هاهنا في أن لفظة الأزمة إستحضرها في غير جوهرها الحقيقي "أما الإشكالية الثانية فترتبط باستعمال مفردة الأزمة فرغم أن موران من المفكرين الأوائل الذين خصّصوا دراسة مستقلة لعلم الأزمة ، فإنه في الكثير من المناسبات يستعمل لفظة الأزمة من دون حذر أو تدقيق، فلا نجد يقدّم الإحصاءات اللازمة لإثباتها، إذ ليس كلّ تغير أزمة وأن اعتبار جائحة كورونا أزمة صحية أو اقتصادية أو سياسية إشكالي على اعتبار أن الجوائح متكررة في التاريخ وستتكرر في المستقبل، ما يجعلها مكوّنا طبيعيا لحياة الإنسان وليس وضعا مأزوما"[2] إن علينا أن نشير إلى الدكتور عنيات أننا لم نفهم المقصود من الكثير من المناسبات إن كانت توحي إلى الكتاب أو إلى متون موران التي لا تكاد تخلو من اللفظة، إذ أننا سنقسم هنا الأمر إلى شقين، الشق الأول الذي سيتعلّق بالكتاب: إذ أن كورونا لا يمكن ان نعتبرها ازمة صحية إذ أنها نتيجة حتمية للسارس كما أشار إلى ذلك تشومسكي، وغذا تأملنا الإحصائيات فإننا نلفى أن عدد الحالات إلى غاية 2023/08/21 في حدود 525.5 مليون وعدد المتعافون في حدود 519 مليون فرد أما عدد الوفيات فلا يتجاوز 6 مليون حالة، في غضون أربع سنوات: فهل يستدعي هذا ليكون أزمة؟ إذا ما قارناها بالأنفلونزا الإسبانية في 1918–1920 [التي كانت سبب في وفاة والدة إدغار موران بعد أن أصيبت

---

[1]– عبد الكريم عنيات، فلنغير السبيل دروس فيروس كورونا، مجلة عمران، مرجع سابق، ص148.

[2]– المرجع نفسه، ص148.

بها بعد 10 سنوات] حيث أن عدد الإصابات 500 مليون حالة وعدد الوفيات تجاوز 50 مليون حالة، أي أكثر بعشر أضعاف من فيروس كورونا [وهذا يعود بالتأكيد إلى التقدم في مجال الطب] بيد أن ما يهمنا هنا هو أن الجائحة المرضية دائما ما تكون حاضرة، حيث شهد التاريخ هذه الكوارث ومن غير المستبعد أن يشهد مثلها في المستقبل، أما الشق الثاني فنلفى موران إنشغل بلفظة الأزمة إنما كان غرضه الأسمى من ذلك أن يؤسس علم الأزمات وهذا يستدعي استحضارها حتى لو كان الموقف لا يستدعي ذلك، كونها تتغلغل في النظم المعرفية بهذا إن معنى أن نؤسس علما إنما يتقوّم من خلال الإلحاح على مدى فاعلية هذا العلم، بيد أن محاولة موران لم تلقى الإهتمام المناسب، وبهذا بات واضحا أن مراد موران إنما يتأجل إلى من سيجد فحواه كونها يستعسر أن تحمل مقام العلمية ولن تجد من يراهن على ذلك، خاصة أن العلم اليوم يقف على مساند صلبة كالمنهج والموضوع والنتائج تعوز الأزمة.

ثانيا: إن علينا أن نرتسم الآن بقدر من الحذر نوع من الإعتراض على أهم فكرة في مشروع إدغار موران ونقصد هنا علم الأزمة، في مقاله المعنون ب"من علم الأزمات إلى علم المخاطر" في مجلة التواصل Communication الفرنسية في السداسي الثاني من سنة 2012 في عددها رقم (91) قال "جان فيليب بويو Jean –Philippe Bouilloud " أن ما نحى إليه موران كان نموذجيا في أكثر من طريقة، إهتم موران بالتعقيد لتأسيس علم الأزمات مستعينا بكل "العلامات التجارية الفكرية" من الأنتروبيا والديناميكا الحرارية واللا يقين ، إنتبه موران إلى الأزمات التي ظهرت في بداية السبعينات، ولعل أزمة النفط النقطة التي أفاضت الكأس إذ شرع موران بإصرار على تبني مفهوم الأزمة منذئذ وكانت أزمة النفط بمثابة الإعلان الرسمي أو مراسيم الجنازة لما يطلق عليه الثلاثون الذهبية أي بعد 1945، إن موران إنما امتشق مفهوم الأزمة ليغطي به مزالق أوروبا وإجبار الدول المنتجة للنفط على التبعية، وقد ألّف لهذا الصدد توجّها أوروبيا إنكشف مع كتاب أن نتفكر اوروبا، من هنا يقر بويو "بالتالي فإن فكرة الأزمة ليست بالضرورة في حد ذاتها تقدم طابعا واضحا يمكنها أن تخفي حقائق أساسية أخرى قليلة الإدراك تحت الأرض ولكنها مع ذلك في العمل وتعطي طابعا من الحداثة إلى الإنقسامات التي تطيل التطورات السابقة، إنها إحدى خصائص البحث عن الأزمات لتعقّب بدايات الإنقطاع التي شوهدت أو خضعت لها في الثباتات الحقيقية التي سادت سابقا"[1].

حاولنا أن نقف على ما نحى إليه موران من رغبته في بلورة لعلم الأزمات بالنظر إلى التطبيقات العملية في العلوم الإجتماعية التي تكشف صراحة عن اختلالات للأنظمة والإنتكاسات وانقطاع الروابط الإجتماعية وكذا الصدمات والإنهيارات الإقتصادية وسقوط مسارات البورصة وغيرها لا يتسنى لنا حصرها هاهنا، بيد أنها تعبّر حقا عن أزمات بالمعنى الذي قصده موران، سواء أكانت هذه الأزمات تميل إلى المستوى الإجتماعي والنفسي والإقتصادي أو حتى السياسي، بيد أن الإعتراض المهم الذي يمكن أن يعترض مرام موران هنا، هو أن هذه الأزمات التي تنتمي إلى الحقول المشار إليها سلفا لا تستحضر المصطلحات التي

[1]– جان فيليب بويو، من علم الأزمات إلى علم المخاطر، تر: زهير الخويلدي، 2022/11/11، m.ahewar.com.

أشار إليها موران في تحليليته في كتاب الأزمة، ولا نجد أي أثر لمواضع الديناميكا الحرارية ولا تستحضر نماذج من الفيزياء الحديثة، إن المنزلق الذي وقع فيه هنا موران إنما كان إلتجائه غير المشروط إلى أفق العلم الذي اعتقد أنه سيكشف عن مواضع الزلل التي تقع التنظيمات فيها، " لا تشير تحليلات هذه الأزمات إلى نظرية إعادة التنظيم الذاتي الإيكولوجية، التي اعتبرها شرطا لا غنى عنه لامكانية نظرية الأزمة، إستمروا في وجهات نظرهم وقاموا بتوسيع وتطوير التيارات الفكرية الموجودة مسبقا وإجراء التحديثات اللازمة وإثراء أنفسهم بمقاربات جديدة، ولكن دون امتلاك وحدة الفكر التي يفترضونها"[1] ولعل من الأمثلة التي تبرز هنا التوجّه إنما نستحضر مع بويو أكثر أنظمة التنظيم حداثة التي تعوّل على المنظمات المعقدة، حيث أنها أصبحت القاعدة الكبرى في المؤسسات والشركات الكبرى، فنلفى أن "هربرت سيمون" صاحب نظرية القرار الإداري أو تشارلز بيرو الأعمال الحالية لمن هم مراجع في هذا المجال مثل أعمال "هاريديموس سوكاس" فنجد أنها لا تستخدم نماذج من الفيزياء الحديثة بقدر ما تدمج التقاليد المختلفة لنظرية المعرفة كـ "إمري لاكاتوس" و"كارل بوبر" فإن الإدراك المعاصر للتعقيد هو في حد ذاته مزيج معقد يضاعف وجهات النظر ويجمع المواقف المتناقضة أحيانا ويتعامل معها بصيغة الجمع، طريق واقع يؤثر في كثير من مجالات الحياة الإجتماعية ويهتم بمعظم العلوم الإجتماعية"[2] بهذا الأساس نلفى أن الأزمة نظرية ورغم صرامتها المعرفية بيد أنها لا يمكنها أن تؤسس الحلول اللازمة التي تجابه بها تعقدات العالم، وهنا نقف إلى جانب صف بويو الذي أعلن صراحة "ومع ذلك فإن ما ظهر هو مركزية المخاطرة بالانتقال من أزمة إلى مخاطرة، نتطور من الظاهرة إلى امكاناتها، من الملاحظة إلى الفرضية، من التفكير في التمزق الملحوظ إلى دراسة الدراما المحتملة وغير المحتملة وغير المؤكدة لقد إنتقلنا أيضا من تحليل الحاضر إلى محاولات فهم المستقبل"[3] لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة هنا، إن الإقرار الذي أخذناه من بويو إنما كان الغرض من التوجّه من مجال اهتم به موران وهو علم الأزمات إلى مجال استحضر فيه فيلسوف المخاطر "أولريش بيك Ulrich beck (1944-2015) الذي نجد أن موران استدعاه في متونه، نشر بيك كتابه مجتمع المخاطر 1986، ومجتمع المخاطر العالمي 1999.

نشر كتابه الأول في وقت كارثة تشرنوبل، إنما كان المقصد الذي تبناه بيك هنا أن المخاطر تتجدد باستمرار: نلفى كارثة 11 سبتمبر، لا نستدعي هذه إلا من باب التمثيل لا المساءلة، أزمة الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2008 بالنسبة إلى بيك فإن أواخر الحداثة كان الإنتاج الإجتماعي للثروة مرتبط بشكل منهجي بالإنتاج الإجتماعي للمخاطر، إنها معادلة لزومية تعاقبية، إنه غدا اليوم التفكير في توزيع الثروة يستوجب استدعاء ضرورة أخرى لا تقل أهمية عن الضرورة وهي توزيع المخاطر بكل أصنافها ونقصد هنا المخاطر البيئية والصناعية والإقتصادية التي تشكّ إنتاجات الحداثة الملموسة، يحلل بذلك من

---

[1]- جان فيليب بويو، من علم الأزمات إلى علم المخاطر، مرجع سابق المرجع نفسه.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- المرجع نفسه.

وجهة نظره التاريخية "التي تركز على تطوّر المجتمعات الصناعية فإن الفردية الحديثة لها تأثير في ربط حياة كل فرد بمتطلبات كيانات أو مؤسسات متعددة (الأسرة، العمل، التدريب، النشاط المهني)"[1] إن علينا أن نتوجّه إلى تبني ذهنية المخاطرة التي تفوق الثروة فبيك إسترشد هذا المنحى، إن هذا التحوّل في الحياة الإجتماعية والإقتصادية التي أنتجته الحداثة إنما أسست المجتمع من الخوف والتوجّس الذي أرسى معالمه على مقامات الحياة الكبرى، فأصبحت البشرية تخاف من مخاطر الحروب العنيفة التي هي موضع قراري قد يكون عن مرضى نفسانيين بحجج في الأغلب تكون واهية ولا أساس لها من الصحة، نستحضر هنا تمثيلا مهما وهو غزو أمريكا للعراق 2003/04/08 وكذا إنشغال الإنسانية بالمخاطر الإقتصادية التي تفتك بالدول وصولا إلى المخاطر الإجتماعية والنفسية في العمل حتى أن الشركات اليوم "في المؤسسات يسعى مديرو المخاطر إلى تقليل المخاطر التي يمكن أن تواجهها مؤسساتهم"[2].

إن المخاطر قد تعمّمت إلى كل المجالات: الأوبئة غدت البشرية تخاف من انتشار الأوبئة التي قد تظهر في اي لحظة كفيروس كورونا كمثال حي، تعمل الطبقة السياسية على طمأنة السكان الذين إستحوذ عليهم القلق في شتى مجالات الحياة، فنجد ترابط هنا بين القلق والخوف والخطر وهذا ما رآه "أولريش بيك" جيدا وبهذا أرسى مجتمع المخاطرة "ربما يكون الإنتقال من مجتمع الأزمات إلى مجتمع قلق بشأن المخاطر هو أيضا تطوّر طريقة التفكير في مواجهة الشدائد وحتى الشجاعة حيث يكون السؤال هو التأقلم مع فكرة الخوف، حيث تمّ إستبعاد أي عامل مزعج وممرض في البحث المحموم عن وسائل حماية جديدة"[3] ونحن نجد أن هذا التوجه إلى الحماية من الخوف إنما يتبلوّر في انفجار كل أشكال التأمين في الدول الغربية فأصبح كل شيء مؤمن، من نتاج المزارعين وأرجل الراقصين اللاعبين، إنه هروب من الموت، ظهرت المناطق السكنية المحمية والتي أسستها الطبقات الثرية لحماية أنفسهم من كل المخاطر، سيؤسس مجتمع الخوف هذا مجتمعا من الإنغماس أكثر مما كان عليه في أوقات الأزمة، إن الخطر عند بيك هو توقّع الكارثة أو الأزمة بحد ذاتها التي أشار إليها موران يقول بيك "مجتمع المخاطرة لا يعني مجتمعا عصريا نجح فيه على الأقل من حيث المبدأ التحكّم في التهديدات والأخطار الناتجة عن الصناعة والتي تستلزم اتخاذ قرارات بمساندة منطق المخاطرة"[4].

إن المخاطرة إنما كانت نتيجة حتمية للتقدم العلمي الناتج عن الثورات الصناعية، يحذر بيك من أن القرارات السياسية أصبحت تتخذ من طرف قنوات متعددة على سبيل التمثيل: من طرف الشركات وكذا التشكيلات غير البرلمانية التي تتحايل على جميع الإجراءات الخاضعة للرقابة البرلمانية وأصبح التوجيه يمر

---

[1]– جان فيليب بويو، من علم الأزمات إلى علم المخاطر، مرجع سابق.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– المرجع نفسه.

[4]– أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي، تر : علا عادل وهند إبراهيم وبسنت حسين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ط1، ص29.

عبر وسائل الإعلام وليس المحاكم والبرلمان، في مجتمع المخاطرة من الممكن ميلاد السياسات الفردية ومخاطر سياسية جديدة حيث يتم توجيه الأملاك –الرهون العقارية– إلى مصالح خاصة، يقر بيك أن الحداثة من الممكن أن تغير نفسها فيرى أن المجتمع الصناعي ليس الحالة النهائية للتحديث، حيث يقر أن عملية تحديث المجتمعات مازالت مستمرة من خلال العولمة، اليوم تظهر مجتمع المخاطر العالمي مع العرض العام للشرور الداخلية، يقدّم بيك لعبة موازنة بين السلطات والسلطات المضادة التي اعتبرها ضرورية، بحيث تشيّع إدارة المخاطر الناشئة عن كل القطاعات، كانت أراء بيك مهمة في استشرافه للمخاطر التي تعترض البشرية، ويصر على وجود سلطة مضادة في المجتمع "في الرأي العام كما في العديد من الدراسات لا يؤول دور السلطة المضادة تجاه رأس المال الذي يقلب القواعد إلى الدول، بل إلى المجتمع المدني العالمي وإلى فاعلية المتعددين في اللعبة القديمة حيث رأس المال ضد العمل، والتفكير في العلاقات بين السلطة والسلطة المضادة بعبارات جدل مثل السيد والعبد، إن السلطة المضادة للعبة تتحصل بفعل قدرته على حرمان السيد من قوة العمل من خلال الإضراب المنظم"[1] إن غرضنا نحن هاهنا إنما يتمثل في محاولة الكشف عن مزالق علم الأزمات الذي دعى إليه موران والكشف عن مواطن الضعف والقوة فيه، بالإستناد إلى مجتمع المخاطر، من المهم التفطّن إلى أن مشروع موران يكتسي أهمية لا ينقص من قيمته هذه الإعتراضات التي أولجناها التي تشكل الضرورة المعرفية والأكاديمية، فحتى الدعوة المورانية إلى علم الأزمات تكتسي أهمية خاصة فهي تحاول رسم المآزق فالأزمة الحالية ترسم مخاطر الغد ، فمجهود موران الإنساني كان مخلصا رغم بعض النقائص التي نفترضها في مشروعه، بقي أن نشير إلى المبلغ النهائي لهذه الطروحة الذي سنكشف فيه عن وجه موران الحقيقي وبالأخص في منهج التعقيد فكيف ذلك؟.

[1]– أولريش بيك، السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، تر : جورج كتورة وإلهام الشعراني، المكتبة الشرقية، بيروت، 2010، ط1، ص44.

المبحث الرابع: مساءلة إبستمولوجية لمنهج التعقيد:

أولا: إشكالية التعقيد:

إن علينا أن نوضح أنّ موران يعتبر رائدا في الترويج لمفاهيم النظام والتنظيم والفوضى ... والتصدي لكل أشكال الإختزال الذي أشكل على الحياة منذ لحظة ديكارت، إلتزم موران بمهمة تعليمية، فهو يسعى إلى تسليح المواطنين فكريا من خلال تعليمهم التفكير في التعقيد أو ما يسمى –الثقافة الجماهيرية– بيد أن ذلك المسعى النبيل الذي آمله موران قد يشكل خطر التخفيف بالمعرفة والتوجه نحو استخدامها أيديولوجيا، إن الغرض السامي الذي حدّده موران إنما كان تهيئة العقول للإستجابة للتحديات "بمعنى عدم الملاءمة الواسعة التي تزداد عمقا بين معلومة مجزاة إلى عناصر غير مترابطة .. وعدم مواءمة أسلوبنا للمعرفة والتعليم الذي يعلمنا الفصل لا الربط"[1]، ومواجهة عدم اليقين وكذا تعليم الناس وتثقيفهم من أجل التفاهم بين المواطنين والجماعات، وكذا الإنتماء للوطن والدفاع عن الثقافة، كان غرض موران تجهيز كل الوسائل لمواجهة التحديات الإجتماعية وكبح التدهورات السياسية التي تمخضت عن توسع سلطة الخبراء وهذا ما يضيق على المواطنين التدخل في تسيير الشأن العام، عكف موران على التنبيه إلى تغيير التطلعات الإقتصادية التي "لم يعد الإستلاء على الموارد الطبيعية نفس الأهمية التي كانت له في الماضي فالسيطرة الإقتصادية لا تتحقق بالإستلاء المادي على هذه الموارد بل هناك أساليب عديدة غير منظورة مثل التأثير في الأسواق المالية والبورصات العالمية وتحركات رؤوس الأموال والإستثمارات عبر الحدود من خلال الشركات متعددة الجنسيات"[2].

بات العالم معقد على نحو يتطلب نباهة في ربط المعارف حتى يتسنى لنا فهمه وهو ما يؤصل عمل موران على هذا النحو، إن ما تطارحه موران إنما يستوفي هذا التعقيد الذي تسلّل إلى العالم ولا يستقيم تجاهله، يقدم موران في كتاب الأزمة –وحتى قبله– أفكاره حول النظام والفوضى والتعقيد يمكن ان نعتبرها تمهيدا من أجل تطبيقها على الواقع برمته، ولعل الإجتماعي يكون السياق الذي ينبغي علينا أن نطبقه عليه، إن أهمية هذه المفاهيم التي اغترفها موران من البحوث التطبيقية في علم الإجتماع تكمن في أنها ترابط وتشابك للنظم الثقافية والإجتماعية كما أشار إلى ذلك تالكوت بارسونز،، في فهم العالم يستوجب ربط المبادئ العدائية للنظام والفوضى من خلال إضافة مبادئ التنظيم، وبهذا استحضر موران مفردة التنظيم

[1]– إدغار موران، تحديات القرن الواحد والعشرين تواصل المعارف العلمية، ج1، تر: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، دط، ص16.

[2]– إدغار موران، تحديات القرن الواحد والعشرين تواصل المعارف العلمية، ج2، تر: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، دط، ص658.

الذاتي[1] التي ظهرت منذ الخمسينات من قبل علماء الرياضيات والمهندسين وعلماء الأنترنت، ورغم تبني "هنري آتلان" لمفهوم التعقيد في حقل البيولوجيا بيد أنها لم تستقر في هذا الحقل إلا في التسعينات.

إن علينا الآن تبيّن المشكلة الأساسية التي كان موران بصدد معالجتها ونقصد هنا نظرية التعقيد التي جعلت أعيننا مغمضين ولعل ما يبرز ذلك الخلافات المعرفية بين "كارل بوبر" و"توماس كوهن" و"إيمري لاكاتوس" و"فاير أبند" التي تمّ تمريرها بصمت، فما هو التعقيد إذا "المعقد فيكون من أجزاء مترابطة أو متجانسة، التعقيد حالة تقع بين بين النظام والفوضى فالمنظومات المعقدة ليست منتظمة وقابلة للتنبؤ كحالة ثبات الجزيئات في البلورة، ولا هي عشوائية كجزيئات الغاز، إنها تظهر مزيجا بين الحالتين فهي قابلة للتنبؤ إلى حد ما وعصية عن ذلك في وجوه اخرى ومن عوامل نشوء التعدد، الوحدة والتنوع، الحركة والتغير، المكوّنات والعلاقات، اللا خطية، المعلومات والتفكير المنظومي"[2]، يمكن ان نفترض أن التعقيد هو محاولة لفهم العلاقات بين الجزء والكل، بيد أن معرفة الجزء لا تكفي لمعرفة الكل فموران يضع خطا بيّنا إن علينا أن نتجه ذهابا وإيابا لنتحقق من معرفة الكل بمعرفة كل أجزائه، وهكذا بالنسبة إلى الإختزال فإننا نستبدله بمبدأ يتصوّر علاقة التضمين المتبادل بين الكل والأجزاء، الكل يحوي الجزء، كما أن الجزء يحوي الكل.

يدعو موران إلى ضرورة ترقيع مبدأ الفصل بين التخصصات وربط المعارف والتي يحيلنا إلى المعرفة كما لا يجب أن نغفل ضرورة ربط المفاهيم بين الذات والموضوع وإصلاح الشرخ المعرفي الذي أقامه ديكارت، يتوجب أن نصلح المعرفة عبر تأسيس مبدأ يحافظ على التمييز بيد أنه يحاول إقامة علاقة مشتركة ونقاط إلتقاء بينهما، أما مبدأ الحتمية المعمّمة فيتوجّب أن نستبدل مبدأ تصوّر العلاقة بين الإضطراب والنظام والتنظيم، إن ما تعلمناه من نظرية الشواش أن النظام لا يعني فقط القوانين لكن أيضا الإستقرار والإنتظام والدورات المنظمة، وكذا الإضطراب لا يعني فقط التشتت فيمكن أن يكون عازلا فيخبرنا موران أن عمله النقدي نشأ من عدم ارتياحه الذي شعر به في مواجهة النموذج في العلوم الإنسانية، فهو أوصلنا إلى – البربرية والهمجية– التي يتوجب علينا مجابهتها، يعود تاريخ الصياغة الأولى إلى كتاب العلم مع وعي الذي يقول فيه أن الهدف من البحث عن منهج ليس إيجاد مبدأ موحد لكل المعرفة لكن الإشارة لظهور فكر معقد لا يمكن أن يختزل للعلم أو للفلسفة، لكن يسمح بالتواصل بينهما بتشكيل حلقات حوارية، إن ما اعترض موران عليه حقا هو تربيتنا على الفصل بين المعارف وبين المفاهيم، حيث أنه في ضوء ذلك فقدنا قدرتنا على التواصل والإرتباط والإقتران، بهذا فإن منهج موران المعقد هو مزيج بين كلتا العلاقتين الفصل والإقتران،

---

[1]– يسمي موران التنظيم الذاتي البيئي الذي يعتمد على بيئته، لأنه يستمد طاقته منه وكذا معلوماته فالمنظمة تعمل على الحفاظ على نفسها، فإن تعمل على تدهور الطاقة من خلال عملها لذلك يجب ان تستمد الطاقة من بيئتها كنتيجة معرفية = = للتعقيد ، إن عملية التنظيم الذاتي من الممكن أن تكون تلقائية وهو ما يريد موران إيضاحه بيد أن ذلك لا يكون إلا في حالات محددة خاصة في العلوم الإنسانية التي تجد مقاومة شديدة يستعسر فيها ذلك.

[2]– فياض محمد شريف، علم الحياة الكمومي، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، 2023، ط1، ص19 وما بعدها.

لأنّ في أصلنا فإن العلاقة التي تجمعنا هي علاقة فصل ووصل في الآن ذاته، نتصل في الإنسانية والعلاقة التي تجمعنا وفي الكثير من البيولوجيا، بيد أننا ننفصل في العادات والتقاليد واللغة والثقافة.

إن التعقيد لا يقسم الدراسات إلى مجالات معرفية متخصصة تهتم بموضوع ما، وهنا يصر موران على توجيه أصبع الإتهام إلى ديكارت الذي فصل المعارف، وهو ما جاء التعقيد لمداواته، ويأسف لرفض البعض لهذا المنهج لأنهم لم يصنعوا الثورة المعرفية والنموذجية التي يتطلبها التعقيد، التعقيد يرتبط بكل المجالات التي نشترك فيها كبشر فمن الضروري ربط الكائن بالموضوع والكائن ببيئته، فالفكر المعقد فكر متعدد التخصصات يسعى لنسج الأفكار مع بعضها البعض، بيد أن ذلك يمثّل مشكلة حقيقية لأن التعقيد الذي اغترفه من حقل نظرية الشواش يتوسع شيء فشيء لدرجة أنه سيصبح غامض كما أشار إلى ذلك محمد شريف فياض، إن مراد موران في جعل التعقيد مفهوم فلسفي إنما يشكّل إشكالا وخطراً، رب خطورة تتمثل في ضرورة إبقاء إستخدامه دقيقا إذا ما أردنا أن تبقى له مصداقية، لأن موران قد خاطر في إخراج المفاهيم من مجال التخصص والإبقاء عليها في الأشكال العمومية للتفكير، إنه من العسير علينا أن نبقى نتتبع مكتشفات التعقيد في تخصصات جد معقدة وإخراجها إلى الفضاء العام للتفكير إن علينا أن نتبيّن مشقّة ما توجه إليه موران سواء في دفاعه عن الثقافة الجماهيرية ودعوته إلى تضييق المجال على المتخصصين في تسيير الشأن العام.

ثانيا: عوائق منهج التعقيد:

إنطلق موران من تشخيص التعقيد بكونه منهج يجمع بين الفصل والإقتران الغرض منه الجمع والربط بين التخصصات قد يظهر أن موران أفلح في تقديم منهج يسمح بقراءة العالم من خلاله ذلك أنه رسم معالمه الكبرى على مدى يقرب الستة عقود متتالية، تدبّر فيها موران كل التناقضات الموجودة في العالم وبيّن الطريقة المثلى في إقامة الحوار بينها منطلقا من كل الفلسفات الجدلية بدءا من هيرقليدس وصولا هيغل وماركس، بيد أن ذلك لا يعني أن منهجه اتسّم بالكمال، بل أننا نلفى في مؤلف روبين فورتين فهم التعقيد مخرجا في استبصار بعض العوائق المنطقية التي تحول بين التعقيد كمنهج ورؤيا للعالم، والذي حملنا على الإستشهاد بموقف شارح موراني هو اتكاءنا على تلك المقدمة التي قدمها موران بحد ذاته في كتاب فورتين، إننا نجد أن موران أثنى على فورتين وعلى قدرته على الكشف السليم عن منهجه، رغم صعوبة فهم ضرورة هذا التفكير الذي بات ضرورة اليوم، خاصة بعد أن تمّ تربيتنا على الفكر المجزأ، وأصر أنه لا يمكن إختزال مشروعه في عناصر بسيطة لأن ذلك لا يمكن إلا أن يعبر على سخافة لا معنى لها، لأن المعقد كما يصفه "يعني استحالة الوصف الدقيق والشرح بوضوح"[1] كما أكد موران على هؤلاء الذين "لا يريدون قراءتي ويعتقد البعض منهم ويتصور أنني أحتقر المعرفة التخصصية، وأنني أؤيد موت التخصصات في حين أنني أتغذى على هذه المعرفة وأنني أرغب فقط في إعادة تأسيس التخصصات ودمجها كما يحدث بالفعل في عدد معين

[1] - Robin Fortin, Comprendre la complexité, Op Cit, préface.

من المشاهد الجديدة"[1] إن التعامل مع هذا التعقيد يتطلب شجاعة لا بد منها في مقارعة الكسل الذي اتصف به الأساتذة وأورثوه لطلبتهم، ما تسبّب في طمس الإنجلاء الذي وصل إليه التعقيد.

ونعتقد أن فورتين انكّب على تخريج العوائق الثلاث التي تعيق الطريقة، ويتعلق الأمر هنا بفحص موران لهذه العوائق التي أجازها ويقول في هذا الصدد "يظهر روبين في الفصل الأخير العوائق العميقة والمنطقية والمعرفية التي تمنع إعادة ظهور نموذج التعقيد الذي يفرض على العقل بدلا من الإنفصال والإختزال""[2] يأتي هذا الإقرار في حق شارح يضاهي شراح بقيمة جون لويس لوموانى وآنا سانشيز وسايسا آلمايدا فماهي هذه الإعتراضات التي أخرجها فورتين هنا؟

1- إن علينا أن نبصر العائق الأول الذي تدبّره فورتين في هذا الشأن، وهو العائق المنطقي المتعلق بالسببية الدائرية التي قدمت نفسها كعائق منذ الوهلة الأولى وهاهنا نستذكر منطق العود الهيومي، وهي ما جعلها تتبوأ موقعا مهما في اعتراضات فورتين إذ يقول هاهنا "لنتذكر أن العقبة الأولى أمام طريقة التعقيد كانت مشكلة الدائرية، وفتحت نفسها على النحو التالي: هل من الممكن تطوير طريقة ومنطق يتجنب التبسيط عن طريق الفصل والإختزال قبل التحدي الذي واجهه لقد اقترح فكرة المنطق الدائري الذي يتكوّن من مرجعية متبادلة في الإفتراضات"[3] بيد أن الرهان المورانى على فكرة السببية الدائرية سيكون مشروعا وسيكون من الممكن تجاوز هذه العقبة والتغلب عليها بشرط أن تكون محتوياتها التكرارية ذات أفكار عميقة [النظام/ الفوضى، الكل الأجزاء، النظام/ التنظيم، الفعل/ التنظيم ....] هنا يؤمن فورتين مع موران بامكانية قيام سببية دائرية، بيد أن وجه الإشكال هو احتواء السببية الدائرية على أفكار تتصف بالبساطة بحيث لن يكون لها القدرة على العودة إلى الأصل الأول وبهذا ستكون هذه الحلقة مفرغة من كل أسسها، بيد أننا نجد أن فورتين متفائلا في هذا الصدد بامكانية تجاوز هذا العقبة.

2- علينا أن نظهر العائق الثاني الذي قدّمه فورتين في هذا الصدد والذي وسمه بالعائق الموسوعي ويسعى من خلاله إلى العودة إلى العائق الأول يشير فورتين هاهنا "تمثلت في صعوبة ربط المعرفة المفككة ولا سيما العلاقة المادية البيولوجيا الأنتروبولوجيا الإجتماعية وهي معرفة تتطلب معرفة موسوعية مستحيلة أن تقدم نفسها من حيث تراكم المعرفة"[4]، وهو حكم صارم قدمه فورتين هنا، خاصة أننا في عصر تنحو التخصصات صوب التخصص أكثر فسيكون من المستحيل أن نلم شمل هذه التخصصات المتناثرة بين الفيزياء والبيولوجيا والأنتروبولوجيا وعلم الإجتماع والعلوم الإنسانية كما لوّح إلى ذلك موران، أدرك موران أن فكرة العودية يستوجب أن تتجسد ضمن نظرية التنظيم حتى تتشكل فالمنطق العودي هو بالضرورة منطق التنظيم الذي يربط ما هو مفكك ومنفصل في دائرة نشطة

[1] - IBid, p161.
[2] - Robin Fortin, Comprendre la complexité, Op Cit, p161
[3] - IBid, p161
[4] - IBid, p162

3- إن العائق الثالث الذي قدمه فورتين بالمعنى الإبستمولوجي للتعقيد والذي ارتسم من خلال العائقين الأولين لأن نموذج التعقيد الذي حاول موران بناءه "لكي يتجسد ويزدهر يحتاج إلى نظرية التعقيد، إنها نظرية التعقيد المعقّد وفي الوقت نفسه يحتاج إلى منطق التعقيد الذي يستجيب له المنطق العودي وهو منطق التنظيم حيث يكون التنظيم ذاته نموذجا للحلقة العودية"[1] إن مقصود موران من نموذج التعقيد إنما كان إقامة ثورة على نموذج التبسيط الذي سيطر على العالم منذ القرن السابع عشر، أي منذ اللحظة الديكارتية إلى عصرنا الراهن، حيث أن الغرض الأقوى للتبسيط كان تخفيض الجمل الحياتية إلى أدنى مستوياتها وبهذا يستبعد كل الفوضى والصدفة، إذ يتبنى رؤية حتمية تقوم على مبدأ "لكل سبب مسبب" وبهذا يرتكز منهج التبسيط على الفصل، يفصل بين الكائن وبيئته، بين الذات والموضوع، ويتجاهل كل ما هو تناقض وعدم يقين، بيد أن موران تجاوز هذا المنطق لكن ليس تجاوزا نهائيا بل كانت مهمة موران على مشقتها هي دمج نموذج التبسيط بشكل حواري في علاقة تكاملية وتنافسية إذ يقوم نموذج التعقيد على دلالة أصيلة قوامها: نتجنب الإرتباك بالعزلة ونتجنب الإبتعاد بالإرتباط، فهو يستحضر الفوضى محضر النظام بكونها ضرورة لا بد منها، ومن هنا عرف موران كيف يؤسس نموذج بديل يستطيع المقاومة، بيد أن التساؤل الذي لا بد منه هاهنا هو هل يمكننا تناول مشكلة التعقيد اليوم دون تشويهها؟.

إن التعقيد يواجه صعوبة في التأقلم مع لغة الحياة، إذ سيعسر عليه أن يكون النموذج البديل إذ يشير فورتين إلى تعارض لا يمكن تجاهله "لا يمكن إنكار أن البحث عن التعقيد أصبح من المرجح الآن أن يحفز تطوّر المعرفة أكثر من أي وقت مضى لكن السؤال لا يزال مفتوحا: من الصعب إضفاء الطابع الرسمي على التعقيد كما أن إضفاء الطابع الرسمي عليه غالبا أو دائما هو إختزاله"[2] إن التكشيف عن هذه المفارقة تجعل من الضروري على مفكري التعقيد السعي إلى البحث عن الطريقة الأصوب من أجل إبانة نموذج التعقيد على وجهه الأتم، وهذا ما يحتاج وقت وجهد ليسا بالقليل من طرف جميع الباحثين الذي إنشغلوا في بلورة نموذج التعقيد، ومع ذلك نلفى أن شارحنا متفائل في هذا الصدد "ومع ذلك فإننا نعتقد أن نموذج التعقيد سوف يسود في نهاية المطاف، وبطبيعة الحال بمجرد تأسيس النموذج وطريقة التعقيد لن يكون الكلمة الأخيرة للمعرفة فليس هناك كلمة أخيرة كما يقول موران إلا في الموت، الإستبعاد المطلق، إن نموذج التعقيد سيكون نصرا ربما يسمح لنا بتجاوز أزمة قرننا وهي أزمة أتعبت موران كثيرا"[3] فنموذج التعقيد سيكون مفتاحا لقراءة العالم وأزماته والخروج من مشاكله دفع موران إلى قراءة متأنية للواقع ومحاولة بيان المسعى الذي اجتهدنا في تحصيله وهو استبصار مستقبل البشرية والخروج من عصر الأزمة الذي ولجنا فيه، إن موران إنما هيأ نفسه لهذا الغرض فكان مشروعه بحق يستحق هذه الإلتفاتة.

[1]- Robin Fortin, Comprendre la complexité, Op Cit, p165
[2] - IBid, p166
[3] - IBid, p167

ثالثا: إدغار موران في عين الميزان، أو خاتمة عامة:

يستعسر علينا أن نجد نقطة البدء، بيد أننا سنبدأ من حيث إنتهينا، وسنحاول أن نبرز مدى أصالة موران التي لا تتوقف عند إعادة الإعتبار للفوضى بكونها لها مكان معتبر في نموذج التعقيد الذي توسّله موران لإعادة قراءة الواقع، إننا نجد أن العلم الحديث نفسه ساهم في بلورة الفوضى، من خلال المبدأ الثاني للديناميكا الحرارية وقوانين الصدفة في علم الأحياء، إن الفوضى جزء لا يمكن إستبعاده من الواقع تماما مثل النظام، ولا يمكن أن ينفصلا، أشار موران إلى أنه بدون الفوضى لا يمكن أن يكون هناك نظام، وعلى العكس من ذلك دون النظام فإن الفوضى لن يكون لها وجود، إن موران إنطلاقا من نموذج التعقيد إنما أعاد تشكيل مفهوم جديد عن الفوضى التي كانت في العلم الكلاسيكي مطبة يستوجب الإبتعاد عنها، كما تكمن أصالة موران في إعادة الإعتبار لفكرة التنظيم التي تم استحضارها في القرن التاسع عشر، إن أصالة موران تكمن في تحويل المسار من أن ينجذب التنظيم نحو النظم، المعلومات ... كما إنجذبت هذه النظم إلى فكرة التنظيم، فالتنظيم عند موران هو ما يعطي الإستقرار والبنية للعلاقات المتبادلة بين العناصر، أما النظام فهو وحده منظمة من العلاقات المتبادلة بين العناصر أو الأفعال أو الأفراد كما يقر بذلك فورتين، كما أن فكرة التنظيم تجعل فكرة النظام أفضل وتعطي له هويته وتجعل منه أكثر متانة وأكثر كفاءة كما لا يمكن أن يحتل أي من المفهومين داخل الآخر، إن التمييز بين فكرة التنظيم وفكرة النظام جد دقيق فالنظام "ينطوي على بعض الجمود، وأما التنظيم على العكس من ذلك يفترض مرونة معينة، فالتنظيم مفهوم أكثر ثراء وتعقيدا من النظام"[1] .

إنطلق موران في بناء مشروعه من القراءة المتأنية لمنتجات العلم وبالأخص المعاصر الذي إنبثق مع الديناميكا الحرارية 1824 ثم مكتشفات ماكس بلانك 1900 وظهور النسبية الخاصة 1905 والعامة 1916 ومتتالية "بول ديراك" و"لويس دي برولي" "وشرودنغر" و"هايزنبرغ" الذين أسسوا القواعد العامة التي تقوّمت بها ميكانيكا الكم فيما بعد، أدرك أهمية ما توصّل إليه علماء التعقيد في نظرية الشواش ونظرية النظم الأنساق العامة والمعلومات مع "شانون"، إنشغل موران بالمصادفة كمصطلح إغترفه من جاك مونو، ورافقه منذ بداية مسيرته كما اعترف بذلك في كتابه دروس قرن من الحياة، كما إهتم بالسيبرنطيقا كعلم انبثق لغرض تسهيل التحكّم، كان موران متابعا حصيف للتقدم العلمي الذي كان يقوم بخطوات عملاقة يستعسر تتبعها إلا من مثقف من طينة موران، إستطاع أن يتبنى التعقيد وأن يقدم محاولة تستوجب الإشادة في ربط هذه المعارف المتراكمة.

نستحضر أنموذجا فكريا كان قد تبنى فلسفة مكتملة المعالم من انتباهه للمكتشفات العلمية التي عاصرته، نقصد هنا الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط الذي تابع بشغف شابهه شغف موران اليوم مكتشفات الفيزياء النيوتونية التي تبلورت في كتاب الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية وأسست للفيزياء الحديثة، إنشغل بها

[1] - Robin Fortin, Comprendre la complexité, Op Cit, p47

دفيد هيوم أولا، وأردفه كانط في كتابه نقد العقل المحض 1781 الذي اجتهد في تعديل الأخطاء التي صدرت عن العقل "وأنا أمالق النفس بأنني تمكنت من القضاء على جميع الأخطاء التي جعلت العقل حتى الان ينقسم على نفسه خلال استخدامه بمنأى عن التجربة"[1] في سبيل بناء مشروعه الأكبر الذي نختصره ب: كيف يمكن بناء ميتافزيقا علمية؟ إن القفزة التي قام بها نيوتن في مجال الفيزياء إنما أسس لفكرة الحتمية مستوحاة من القوانين الثلاث التي قدمها نيوتن، إن النتيجة الحاسمة التي اكتنزتها الفيزياء يومئذ كانت فيزياء علمية متقوّمة بأسس متينة، إستعاض هيوم هذا المنهج الذي إبتغى تأسيس فلسفة علمية التي اكتمل مشروعها مع كانط ، بعد أن طلب العون من فيزياء نيوتن.

إستطاع كانط أن يجازف بالقول أنه قد تمكّن من التخلّص من كل عوائق العقل التي كانت تعكر صفو التفكير من أفلاطون إلى هيوم وبناء مقومات العودة، وبالعودة إلى بومة منيرفا الهيغلية؛ نستطيع أن نقول أن الفلسفة تتقوّم بتقوّم الفيزياء، إن كانط إنما أسّس فلسفة نسقية اتسمت بالمطلقية، إن ما نريد قوله هنا هو تأثير الفيزياء على الفلسفة ، وهنا يأتي موران ليكون عديلا لكانط فقد نقل المكتشفات العلمية وبالأخص المبدأ الأهم في الفيزياء المعاصرة عدم اليقين إلى الفلسفة "حقق علمنا تقدما معرفيا عظيما غير ان تقدم العلم الأكثر تطورا أي الفيزياء يقربنا من مجهول يتحدى مفاهيمنا ومنطقنا وذكائنا ويضع أمامنا مشكل ما لا يقبل المعرفة، إكتشف عقلنا الذي كان يبدو وسيلة المعرفة الأكثر أمانا في ذاته مهمة عمياء: ما هو عقلنا؟ هل هو كوني؟ عقلاني؟ ألا يمكن أن يتحول إلى ضده دون أن يعي ذلك؟ ألم نبدأ في اكتشاف أننا تجاهلنا واحتقرنا وهدمنا كنوز المعرفة باسم محاربة الجهل؟ ألم نبدأ في فهم ان الإعتقاد في كونية عقلنا يخفي عقلنة غريبة متمركزة تشويهية؟ أليس علينا أن نفهم أن عصر الأنوار يوجد في الليل وفي الضباب"[2] إن موران إستعاض العلم المعاصر وكشف عن مشروعه بالمصطلحات الأساسية التي تؤسس تلك العلوم، المصادفة، اللايقين، مستعينا بها للكشف عن مطبات الواقع الذي نعتاشه، لا تكاد تخلو مؤلفاته من مصطلحات اللا يقين والأزمة التي شهد على تغلغلها في النظم المعرفية وتم دسّها في كل عصرنا، إن قراءة الواقع وفهمه ومعرفة أزماته أفضى إلى ابتكار منهج التعقيد الذي شكّل عصارة فكره نحو ارتسام السبيل لمستقبل البشرية، وهذا المسعى الذي جعلنا نتتبع هذا المشروع وبلورته من خلال هذه الأطروحة، إن قراءتنا لموران قد أفضت بنا لإيجاد مشروعا إنسانيا يحمد له وقفات مع الإنسانية ومع الشعوب المضطهدة –فلسطين– أسس المقاومات ضد استغلال العمال، تبنى الماركسية والإشتراكية التي ابتغاها رغم خروجه من الحزب الشيوعي مبكرا.

إن اهتمام موران بالاسئلة الكانطية الثلاثة كما أشار إليها في "دروس قرن من الحياة" قادته إلى السؤال الأهم: ماهو الإنسان؟ أو ما هو الإنساني؟ إجتهد موران على خطى كانط ليؤسس فلسفة قويمة يمكن لها أن

---

[1]– إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، مرجع سابق، ص21

[2]– إدغار موران، أنتروبولوجيا المعرفة مدخل إلى المنظور التعقيدي للمعرفة، تر: يوسف تيبس، مجلة رؤى تربوية، مؤسسة عبد المحسن القطان، فلسطين، العدد 38–39، كانون الأول 2012، ص91.

تصيغ الواقع، وهنا نستحضر باشلار الذي طلب من العلماء أن يسهّلوا له من استخدام المفاهيم الكانطية دون أن يكون كانطيا، ونحن نجد أن موران كانطيا دون أن يستخدم مفاهيم كانط، إن المقصد الأخير الذي انتهى إليه موران هو تبنيه الإنسانية ومحاولة ارتسام سبيلها المستقبلي، ووجدنا مشروعه متقوّم إلى حد مقتدر مستعينا بالعلوم المنبثقة في القرن العشرين تماما كما فعل كانط في لحظة انبثاق فيزياء نيوتن.

الخاتمة

خاتمة:

لقد حاولنا في هذه الأطروحة في نحو من التفكير مع موران أن ندرس ازمات الإنسانية من خلال إقتفاء متونه التي ارتسمها لذلك، واتبع في ذلك منهجية صارمة لتحديد هذه الأزمات تمثلت في أنموذج التعقيد الذي حدّد به الطريقة الملائمة لاستشراف المستقبل، وقد اتبعنا في هذه الأطروحة سبيلين من البحث حاولنا أن نسترشد بهما لنتبيّن الخيط الهادي الذي سينير لنا طريق الإشتغال على مثل هذه الأطروحة وكانا كما يلي:

أولا: طريق الأزمات: وتتضمن بخاصة تبيان الأزمات التي تغلغلت في الإنسانية والتي أثارت قريحة موران للتوجّه صوب تحليلها، حاولنا من خلال الطريق أن نتبين أكثر الأزمات التي أرقت مفكرنا وتمثلت في "الأزمة" بحد ذاتها بكونها الداء والترياق في الآن ذاته، والشغل الشاغل الذي لزم موران منذ كتاب في "مفهوم الأزمة" 1976، وتناولنا فيه أيضا أزمة السياسة وبالأخص القضايا التي ارتبطت بالماركسية والأزمة السياسية الكبرى التي تمثّلت في أزمة الديمقراطية، ثم أردفناها بأزمة التربية، فبكون موران من أهم المنظرين التربويين في فرنسا والعالم امتشقنا نظرته حول تحليله لأزمة التربية وبهذا ولجنا إلى الكشف عنها، وكذا أزمة الكوكب او الأزمة البيئية التي انشغل بها في المرحلة التي قضاها في الولايات المتحدة الأمريكية في حدود 1969، وأزمة الإقتصاد الرأسمالي وتغلغل البربرية الفردانية عبر غريزة التملّك مستأنفا مشاريع مدرسة فرنكفورت ثم تناولنا أزمة الجماليات والعيش وفق جودة الحياة كأزمة راهنة تغلغلت في البشرية وكانت من نتاجات اللاعقلانية، أو العقلانية المفرطة، كانت لأزمة البشرية نصيب من التناول حيث حزّ في قلب موران ما آلت إليه البشرية من أزمة تفكيك ومن بين الأزمات التي إشتغل عليها أيضا أزمة الأخلاق التي اضمحلت بسبب التطور اللاعقلاني للعلم والتقانة ضاربا بكل القيم التي كانت تبني الإنسانية.

ثانيا: طريق المعالجة: والتي حاولنا فيها إستبصار هذه الأزمات وقراءتها وفق أنموذج التعقيد الذي استحدثه موران وإبانتها على وجهها الأتم ومحاولة إيصالها إلى العامة بمسمى الثقافة الجماهيرية، وكذا استشراف الحلول اللازمة التي ينبغي على الفرد تبنيها من أجل الإنعتاق من هذه الأزمات، وكان موران قد نذر نفسه جاهدا في مداواة كل الأزمات الإنسانية رغم عدم إلمامنا بكل الأزمات وبالأخص أزمة المعرفة التي لن تتقوّم في مبحث بمفرده، جابه موران في أكثر من صعيد في سبيل استشراف المستقبل أفضل للإنسانية.

إن الخيط الذي حاولنا ارتسامه في هذه الأطروحة كان "استراتيجي" بحيث ندور في فلك فلسفة إدغار موران من خلال اعتماد أنموذج التعقيد لقراءة الواقع وتبنيه في عملية استبصار المستقبل والدفع بخطط موران إلى الظهور وهو ما كان مقصدنا، وآثرنا أن نهيكل النتائج التي استخلصناها من هذه الأطروحة على شكل نقاط مركزة حتى نسهل على القارئ الذي تقع هذه الأطروحة بين يديه قراءة النتائج:

كشف موران عن عقم المنهجية التي اشتغل عليها المشتغلون بحقل الدراسات المستقبلية التي اعتمدت على معادلة خطية مفادها: ماضي معلوم وحاضر سيودي بنا حتما إلى مستقبل معلوم، وأوضح في متنه إلى

أين يسير العالم المنهجية السليمة التي من الممكن أن تكشف لنا عن المستقبل عبر تأسيس علاقة تبادلية الفهم، فأضحت المعادلة وفق المنظور التالي: تبيان العلاقة المتبادلة بين الماضي والحاضر وتنجلي فيه أن ثغرات الماضي من الممكن أن ترسم لنا الحاضر، كما أن معرفة وفهم الحاضر بشكل أدق ستمكننا من بلورة ومعرفة الماضي بشكله الملائم، لأنه يشكل الحاضر، فأي تغيير في الحاضر حول قراء الماضي هو تغيير في قراءة أحداث الماضي، على هذه الشاكلة تنكشف العلاقة بين الحاضر والمستقبل، فالمعرفة الملائمة للحاضر تكشف لنا الطريقة المناسبة لاستشراف المستقبل ورسم الخيوط المناسبة لذلك، كما أن إدراك المستقبل على وجه مناسب حتى وان كان غير خاضع لإرادتنا أو ليس حاضرا أمام أعيننا سيرسم لنا الحاضر، وبهذا يمكننا من ارتسام منهجية علمية لاستشراف المستقبل بشكل علمي رصين.

إرتسمت ملامح فلسفة موران بالاستناد إلى العلوم المنبثقة في القرن العشرين وفي ضوئها يمكن للقارئ أن يفهم فكر موران، الذي كان متعدد التخصصات، إنطلق من مكتشفات الفيزياء المعاصرة وبالأخص الديناميكا الحرارية، التي انبثقت مع العالم الفرنسي سادي كارنو في 1824، إقتبس منها مفهوم النظام الذي سيستند عليه، وكذا الفيزياء الكمومية التي انبجست مع العالم الألماني ماكس بلانك عام 1900، وتبلورت فيما بعد مع كل من بول ديراك، وبول لونجيفين ولويس دي بروي وشرودنغر وهايزنبرغ، إغترف موران مفهوم اللا يقين الذي صاحب متونه وكذا الفيزياء التي انبثقت مع ألبرت أنشتاين [النظرية الخاصة 1905، النظرية العامة 1906] كما اهتم موران بالبيولوجيا وبالأخص نظرية التطور التي بدأت مع العالم الإنجليزي تشارلز داروين مع ظهور كتاب أصل الأنواع 1859، وكذا اكتشافات جورج مندل في علوم الوراثة 1866، كما اشتغل موران بعلم الإجتماع عند تالكوت بارسونز واميل دوركايم وكاستورياديس، وفي الفلسفة روسو هيغل وماركس خاصة.

ارتكز موران على التقانة وبالأخص علوم السيبرنطيقا، علوم التحكّم الآلي ونظرية المعلومات عند شانون ونظرية النظم العامة، أبدع موران أنموذجا معرفيا جديدا "إبستمولوجيا التعقيد" ليخلف "منظومة التبسيط" أو الإختزال الذي فرضه ديكارت من خلال تأسيس فلسفة غرضها الفصل بين الفلسفة والعلم، بين الذات والمعرفة، وتقوم ابستمولوجيا الإختزال على السببية الخطية والحتمية المطلقة والتجريد والتعميم مؤسسة معارف منفصلة والغوص في التخصص، إستبدل ذلك بابستمولوجيا التعقيد التي تقوم على مبادئ السببية الدائرية، ومبدأ الحوارية الذي تم اشتقاقه من الجدل الهيغلي ومبدأ الهولوغرامية –الجزء في الكل، والكل في الجزء– كان الغرض من هذا الأنموذج قراءة العالم والإبانة عن أزماته، كان أنموذج التعقيد المواراني نقدا أصيلا لإبستمولوجيا الإختزال.

إعتمد موران هاهنا على الأزمة كأساس معرفي يبني به مشروعا الفكري، ويعني بالأزمة غياب اليقين وافترض أنه ثمة امكانية قيام علوم جديدة، علم الأزمات بحيث تكون تحليلية تتسرب في النظم المعرفية والغرض منها الكشف عن ضروب الإضطراب واللا يقين التي تسبب في تعطل الآلة التفكيرية في هذه

النظم، وكان رهان موران في اعتماده على الأزمة لإعادة بعث العلوم من جديد، فالغرض من علم الأزمات ليس تأسيس علم على شاكلة الفيزياء أو الرياضة، أو البقاء في مدينة التأمل ووضع اليد على الجروح قصد معالجتها، فمراد موران هو رسم صورة موازية للنظرة التي تشكّلت عن الأزمة بكونها إضطراب يستهدف ضرب النظم، بل ينبغي أن تؤسس النظام وتحافظ على استقراره وتجمع بين التناقضات، أما ما يهم موران هو كون الأزمة نمط وجود يمكن التعايش معه فهي تتغلغل في النظم المعرفية لغرض التطبيب وليس الهدم.

أشار موران إلى أزمة السياسة التي عبر عنها في خضم مشاركاته السياسية التي كشف فيها مساوئ الشيوعية الستالينية التي غفل عنها العالم بسبب أنهم توجهت أنظارهم صوب توحش الرأسمالية، وكذا أزمة الديمقراطية التي عبرت عن الشكل الأتم للأزمة في السياسة، إذ استحوذ أصحاب القرار على السلطة وتوجيه الرأي العام، بيد أن موران استنكر ذلك من خلال إرتسام مستقبل جديد للديمقراطية يعيد فيه الإعتبار إلى الشعب في المشاركة في تسيير الشأن العام، كما دعى إلى تأسيس المقاومات التعاونية والبقاء على اليسار والدفاع عن حق العمال ضد أشكال الإستغلال والدعوة إلى أخلقة السياسة وإلى تعزيز أشكال التضامن ومقاومة الهمجية القادمة من العلم التي تهدد البشرية بحروب جديدة ستكون مرعبة وستتجاوز صدماتها الحروب السابقة، كما دعى إلى ضرورة تعليم المواطنين مداخل إلى علوم السياسة والإقتصاد، حتى لا تبقى هذه العلوم نخبوية في أبناك الساسة أصحاب القرار أو كما يسميهم موران ب"الجهاز".

إستطاع موران في نطاق التربية إبراز مشاكل التربية التي تعلقت بالمؤسسات التعليمية في مختلف الأطوار، الإبتدائي، الثانوي، الجامعي، وحاولنا تقديم هذه المشاكل عبر تقسيمها إلى مشاكل تنتمي إلى الحقل البيداغوجي ومشاكل تنتمي إلى المجال العام، كما لم نغفل عن غياب روح الحوار بين المدرس والمتعلم وعن أزمة غياب الفهم الذي شكّل المفهوم الرئيس في تنظير موران للتربية، وقدّم ترياقات لهذه المشاكل التربوية بضرورة تعليم الحب ولغة الحوار بين كل الأطراف التربوية وإلى ضرورة تعليم الفهم الإنساني والإندماج للمواطنين الذين لا ينتمون إلى دولة مثل فرنسا، ودعى إلى استحضار مبادئ الثورة: حرية مساواة إخاء، كما أصرّ على ضرورة ربط المعارف وإقامة جسور التواصل بين مختلف التخصصات المعرفية التي انفصلت ودعى إلى ضرورة الجمع بين العلوم الإنسانية والمعرفة العلمية.

توجّه موران بعد العودة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى انتهاج سياسة جديدة وهي دق جرس الإنذار الكوكبي، بعد توالي الكوارث البيئية وخطر الأسلحة النووية التي تهدد البشرية وإشكال التلوث، هنا نلفى دعواته إلى إنقاذ الكوكب باعتباره منزلنا الذي يلم شمل كل البشرية، دعى إلى ضرورة تغيير المسار نحو التوجه نحو استعمال أكثر للطاقة الكهربائية باعتبارها صديقة البيئة بدل الإستعمال غير العقلاني للمنتجات الملوثة للبيئة، أصّر بشدة على ضرورة التوجه صوب إستغلال الطاقات المتجددة [الطاقة الشمسية والرياح] بدل الغاز والبترول، كما ألحّ على وجوب تشجير الأرض بدل الإنصياع للتصحّر الذي شرع في السيطرة على الكوكب، كما نبه إلى ضرورة ترشيد إستعمال المياه.

ينوّه موران إلى مآلات النزعة الإنسانية والتوجّه نحو إخضاع الكوكب للإقتصاد ما أفضى إلى تبعات خطيرة نتحمّل اليوم آثارها وبقوة، ومن بينها سيطرة النزعة الفردانية على كل البشرية، كما استعمرت الرأسمالية العالم مسطّرة لقواعد جديدة للتحكّم في المواطنين، تبلوّرت في التوجّه الأعمى نحو الإستهلاك ونمو نزعة التملّك الفردي، كما لم ينجو الإقتصاد من خطر الأزمات فشهد كوارث مثل أزمة الكساد العظيم 1929 وأزمة الرهن العقاري في الولايات المتحدة 2008، كانت دعوة موران واضحة للتوجّه نحو إعادة هيكلة الإقتصاد وتنظيم الإستهلاك عبر تحديد الضروريات من الكماليات ومقارعة العولمة الرأسمالية عبر تنمية الإقتصادات المحلية وإنشاء مراكز وهيئات للتعاون الإقتصادي بين دول الشمال والجنوب، وبالأخص من اجل تنمية دول الجنوب.

ركّز موران على اصلاح الجماليات وبالأخص الفنون والمسرح والسينما التي طغى عليها الإقتصاد وأخضعها إلى القاعدة الكبرى التي يرتكز عليها وهي الربح، وبهذ ارتسمت أزمة الفنون دعى إلى ضرورة إعادة الإعتبار لمراكز السينما والمسرح بكونها تعبر عن مركز لمعالجة الأزمات الثقافية كما دعى إلى ضرورة التمييز بين شاعرية الحياة، بالتوجه نحو الفن والرقص والموسيقى لتذوّق الحياة وبين نثرية الحياة وهي الإكتفاء بالجوانب العملية والتقنية والعلمية التي تضمن إستمرارية الحياة.

إنشغل موران بتبيّان الأزمة الكوكبية التي انبثقت من العلم والتي أفقدتنا روح التضامن والتوجه صوب البربرية وظهر من خلالها كل أشكال العنف والإرهاب والحروب وغيرها، وأتمّ موران مشروعه بالدعوة إلى إحياء روح التضامن بين الأفراد بحد ذاتهم، ومن خلال إلتزام الأخلاق باعتبارها الميثاق الإنساني الذي يتوجب أن نخضع له، وألحّ على ضرورة إقامة سياسة حضارية تجمع بين الإنسانية، كما أقر أن الإنسانية نظام متشابك، تنتقل من الهويات الفردية إلى الإجتماعية إلى الكوكبية، كما أبان ذلك في المجلد الخامس وفي الثالوث البشري: فرد مجتمع نوع.

إن الدعوة إلى أخلقة الإنسانية –مستقبليا – كانت ثقبا أسود في مشروع إدغار موران حيث نتفق مع طارق رمضان في نقطة تتعارض مع توجّه موران، الذي اعتبر الأخلاق رهانا، ونرى أنها ضرورة ملحة وان نزع النيّة الطيبة باعتبارها لا تكفي قد يجعلنا نعترض أيضا على فكرة موران بكون النية الطيبة هي الأساس الذي نرتكز عليه، فهي الدافع الأول للتوجه الأخلاقي حتى ولو كانت لا تكفي فنحن نرى ان النية الطيبة تقوّم الأخلاق بشكل أصيل.

إعترض موران على فكرة الديني مدافعا عن العلمانية بكونها نظام يمكنه تسيير الشأن العام، وهذا عبر فصل السلطات عن الدين،، بيد أن هذا لم يلقى قبولا واسعا في ميدان الفلسفة المعاصرة، ولدى حتى كبار المنظرين العلمانيين الذين أكّدوا على ضرورة عودة الديني إلى الفضاء العام، وقدمنا نموذج هابرماس وجوديث بتلر وتشارلز تايلور الذين أصرّوا على ضرورة الجلوس على طاولة الحوار مع الديني، بخلاف ما توجهه موران الذي أكّد على ضرورة إصلاح العلمانية وهذا بعد الكشف عن ثقبها الأسود.

إن اعتراضنا الأبرز على مشروع موران تمثل في اعتبار الأزمة مفتاح العلوم ، وهنا اتفقنا مع جون لويس بويو بضرورة الإنزياح من علم الأزمات إلى علم المخاطر بالمعنى الذي أسسه الفيلسوف الألماني أولريش بيك، حيث هاهنا نتحول من الملاحظة إلى الفرضية ومن التفكير في التمزّق الملحوظ إلى دراسة الدراما المحتملة وغير المؤكدة، وبالإنتقال من الأزمة إلى المخاطر نكون أيضا إنتقلنا من تحليل الحاضر إلى محاولات فهم المستقبل، فالمخاطر التي قدم لها بيك في 1986 يبدو أنها ستحدد مشاكل المجتمعات بشكل أكثر دقة مما سيفعل علم الأزمات.

إن التعقيب الأخير الذي قدمناه لموران إنما تحدد في منهج التعقيد الذي إبتغى به موران الإنتقال من التفكير الفلسفي والمعرفي إلى ثقافة عامة، وهذا ما يعرضها لخطر التخفيف بها والتوجه بها نحو إستخدامات لا تحمد عقباها، كما استعرضنا العوائق في تطبيق نموذج التعقيد من خلال كتاب الشارح روبين فورتين، وأثبتنا أنها اعتراضات منطقية وبالأخص الإعتراض الثاني –الموسوعي– فالإشتغال على ربط المعارف وجمع التخصصات أمر عسير وصعب ومجهد في الوقت الراهن، خاصة مع تزايد التخصصات أكثر، رغم تفاؤل فورتين بأن منهج التعقيد سينجح في نهاية المطاف في تحقيق غرضه.

وما يتوجب علينا في الأخير التنويه إليه هاهنا هو ضرورة الإلتفاف حول الأبحاث العلمية من هذا النوع والتي تفتح آفاقا مستقبلية واعدة، وهي محاولة منا لإخراج الفلسفة من المواضيع الميتافزيقية التي تدور في فلكها إلى مواضع تطبيقية تعبر عن الواقع المأزوم والأخطار التي تحيط بنا، وحاولنا أن نقدّم هذه الإضافة إلى المكتبة الجزائرية بهذا البحث الذي خصصنا له جهدا ووقتا من أجل إخراجه على وجهه الأتم، لعلها تكون فاتحة لأعمال أخرى في مجال الفلسفة التطبيقية أو في شرح المزيد من أفكار موران –وبالأخص موضوع المعرفة وفلسفة العلم–.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر باللغة العربية:

– إدغار موران آن بريجيت كيرن، الأرض اوطن، تر: سلمى ديجن، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2022، دط.

– إدغار موران وجان بودريار، عنف العالم، تر: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2005، ط1.

– إدغار موران، السبيل من أجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزاوي، منشورات الجمل، بيروت، 2019، ط1.

– إدغار موران، العقل المحكّم إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير، تر: المنصف وناس، معهد تونس للترجمة، تونس، 2020، ط1.

– إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصوار ومنير الحجاجي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2004، ط1.

– إدغار موران، المنهج الأخلاق، ج6، تر: يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2021، ط1.

– إدغار موران، المنهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، ج5، تر: يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2019، ط1.

– إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة أنتروبولوجيا المعرفة، ج3، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ط1.

– إدغار موران، المنهج : المنهج الأفكار مقامها حياتها عاداتها وتنظيمها، ج4، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ط1.

– إدغار موران، النهج.. إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هناء صبحي، كلمة للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ط1.

– إدغار موران، إلى أين يسير العالم، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009، ط1.

– إدغار موران، أنتروبولوجيا المعرفة مدخل إلى المنظور التعقيدي للمعرفة، تر: يوسف تيبس، مجلة رؤى تربوية، مؤسسة عبد المحسن القطان، فلسطين، العدد 38–39، كانون الأول 2012.

– إدغار موران، تحديات القرن الواحد والعشرين تواصل المعارف العلمية، ج2، تر: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، دط.

– إدغار موران، تحديات القرن الواحد والعشرين تواصل المعارف العلمية، ج1، تر: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، دط.

– إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2002، ط1.

– إدغار موران، تعليم الحياة بيان من أجل تغيير التربية، تر: الطاهر بن يحي، منشورات ضفاف، بيروت، 2016، ط1.

– إدغار موران، ثقافة أوروبا وبربريتها، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 2007، ط1.

– إدغار موران، ثقافة أوروبا وهمجيتها، تر: المنتصر الحملي، APULEIUS، تونس، 2010، ط1.

– إدغار موران، دروس قرن من الحياة، تر: خليد كدري، صفحة سبعة، السعودية، 2022، ط1.

– إدغار موران، روح الزمان النخر، تر: أنطوان حمصي، ج1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، دط.

– إدغار موران، روح الزمان النخر، تر: أنطوان حمصي، ج2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، دط.

– إدغار موران، عن الجماليات، تر: يوسف تيبس، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،2019، ط1.

– إدغار موران، في مفهوم الأزمة، تر بديع أبو ليلى، دار الساقي، بيروت، 2018، ط1.– إدغار موران، مع ماركس وضد ماركس، تر: محمد نعيم، صفحة سبعة، السعودية، 2022، ط1.

– إدغار موران، نجوم السينما، تر: إبراهيم العريس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ط1.

– إدغار موران، نحو سياسة حضارية، تر: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ط1.

– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا للنشر، 2012، ط1.

قائمة المصادر باللغة الفرنسية:

- Edgar Morin et Jean Louis Le Moigne, L’intelligence de la complexité, L’Harmattan, Paris Canada, 1999, p1.

- Edgar Morin et Tariq Ramadan, Au péril des idées les grandes questions de notre tempe, Presses du Chtelet, Paris, 2014.

- Edgar Morin , a 100 ans entretien anniversaire avec un éternel résistant, interview avec Martin Ligro, Philosoie Magasine, N 151 , Juillet – aout 2021.

- Edgar Morin et Sabah Aboussalam, Changeons de voie, edition du Denoél, Paris, 2020, p1.

- Edgar Morin, Ce que serait « ma » gauche, 26/05/2010, lemonde.fr.

- Edgar Morin, Eduquer á la paix pour résister á l'esprit de guerre, débat avec le monde, publier 05 février 2016.

- Edgar Morin, la fraternité pourquoi ? résister à la cruauté du monde, Actes sud, Paris, 2019, p1.

- Edgar Morin, La méthode la vie de la vie, tome2, edition du seuil, 1980.

- Edgar Morin, La Méthode : la nature de la nature, t1, edition du seuil, Paris, 1977.

- Edgar Morin, La Voie pour l'avenir de l'humanité, Fayard, Paris, 2011.

- Edgar Morin, Le cinéma ou l'homme imaginaire essai d'antropologie, edition de minuit, Paris, 1956, p1.

- Edgar Morin, le paradigme perdu : la nature humain, edition du seuil, Paris, 1973.

- Edgar Morin, Science Avec Conscience, edition fayard et seuil, Paris, 1982.

قائمة المصادر باللغة الإنجليزية:

- Edgar Morin,This is my philosophie, Interview with Ana Sànchez , 10/10/2011 metode.org.

قائمة المراجع باللغة العربية:

– أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، قدم وحقق له ألبير نصري نااور، المكتبة الشرقية، بيروت، 1986.

– إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، تر: إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ط1.

– إدوارد سعيد، أوسلو 2 سلام بلا أرض، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1995، دط.

– إدوارد كورنيش، الإستشراف مناهج إستكشاف المستقبل، تر: حسن الشريف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2007، ط1.

– أرثر باب، مقدمة في فلسفة العلم، تر: نجيب الحصادي، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، 2006، ط1.

– إريك فروم، تشريح التدميرية البشرية، تر: محمود منقذ الهاشمي، ج2، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2016، ط1.

– أفراح لطفي عبد الله، تحولات السببية دراسة في فلسفة العلم، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2013، ط1.

- أكسل هونيث، التشيؤ دراسة في نظرية الإعتراف، تر: كمال بومنير، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ط1

– آلان تورين، ما الديمقراطية دراسة فلسفية، تر: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 2000، ط1.

– آلان سيدني كاهان، العقل في مواجهة المال الحرب بين المثقفين والرأسمالية، تر: محمد مطيع، المركز العربي للأبحاث، د س، د ط.

- أليكس روزنبرغ ودانييل و. ماك شي، فلسفة البيولوجيا مدخل معاصر، تر: مينا سيتي يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ط1.

– أمنية الجميل، ماهية الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2012.

– أندريا وولف، إختراع الطبيعة مغامرات ألكسندر فون همبولت، تر: عبلة عودة، مشروع كلمة ، أبو ظبي، 2019، ط1.

– أولريش بيك، السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، تر : جورج كتورة وإلهام الشعراني، المكتبة الشرقية، بيروت، 2010، ط1.

– أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي، تر : علا عادل وهند إبراهيم وبسنت حسين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ط1.

– إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، تر: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1952، ط1.

– إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2015، ط1

– ب ج براندر، رؤية الفوضى الإستطلاعات عن إنحسار الحضارة الغربية، تر: هاشم أحمد محمد، المركز الفومي للترجمة، القاهرة، 2016، ط1.

– باتريك هيلي، صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، تر: نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ط1.

- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2020، د ط.

– باسل هاشم الصدر واخرون، الدينمية الحرارية، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، دس، دط.

– بول ريكور ، هل الأزمة ظاهرة حديثة على نحو خاص، تر: عومرية سلطاني، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 36، المجلد 9، ربيع 2021.

– بول هازار، أزمة الوعي الأوروبي 1680–1715، تر: يوسف عاصي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ط1.

– بيير بورديو، أسئلة علم الإجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، تر: إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995، ط1.

– تشارلز تيللي، الديمقراطية، تر: محمد فاضل طباخ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ط1.
– تشارلز داروين، أصل الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2004، ط1.

– توم جي بالمر وآخرون، أخلاقيات الرأسمالية، تر: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ط1.

– توماس مور، يوتوبيا، تر: أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ط2.

- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001، ط1.

– جان بودريار وآخرون، ذهنية الإرهاب لماذا يقاتلون بموتهم؟ تر: بسام حجّار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003، ط1.

– جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: يونس غانم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، 2009، ط1.

– جايمس غليك، نظرية الفوضى علم اللامتوقع، تر: أحمد مغربي، دار الساقي، بيروت، 2008، ط1.

– جمس أور، الجمهورية تحليل كتاب "الجمهورية" لأفلاطون، تر: هنادي مزبودي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، الشكة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، دط.

– جوديث بتلر، قلق الجندر النسوية وتخريب الهوية، تر: فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2022، ط1.

– جون بوبيرو، العلمانية المزيفة، تر : عبد الله المتوكل، مركز نهوض للدراسات والنشر، لبنان، 2020، ط1.

– جون بول سارتر، عارنا في الجزائر، تر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د س، دط.

– جون جرين، موت آدم أوسع التفاصيل عن نظرية التطور الداروينية وأثرها في الفكر العالمي الحديث وردود اللاهوتيين عليها، تر: محمد محمود مصطفى، دار البيروني، بيروت، 2017، ط1.

– جون وولر، الوراثة، تر: ياسمين العربي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2022، ط1.

– جيمس جينز، الفيزياء والفلسفة، تر: جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، د س، دط.

– حسين غفّاري ومعصومة بهرام، دور الدين في الفضاء العمومي دراسة في تطوّر رؤية هابرماس الفلسفية، مجلة الإستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجبة، العدد الثامن، بيروت، صيف 2017.

– حنة أرندت، أسس التوتاليتارية، تر: انطوان أبو زيد، دار الساقي،بيروت، 2016، ط2.
– حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل ستة بحوث في الفكر السياسي، تر: عبد الرحمن بشناق، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2014، ط1

– دانيال غيران، الأناركية، تصدير: نعوم تشومسكي، تر: عومرية سلطاني، تتنوير للنشر والإعلام، القاهرة، 2015، ط1.

– داود خليفة، إبستمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، 2016.

– دوجلاس فوتويما، العلم قيد المحاكمة "قضية التطوّر"، تر: أحمد فوزي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ط1.

– ديفيد إليارد، موسوعة الإكتشافات العلمية، تر: خالد العامري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، دط.

– دينيس بويكان، البيولوجيا تاريخ وفلسفة، تر: لبنى الريدي ومها قابيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017، ط1.

– رحيم الساعدي، المستقبل مقدمة في علم الدراسات المستقبلية، ج2، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، 2011.

– رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979، دط.

– روبرت زيمر، في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة، تر: عبد الله محمدأبو هشة، ج 2، دار الحكمة، لندن، .2012

– روبيرت إيفانز، شحن مستقبلنا بالطاقة مدخل إلى الطاقة المستدامة، تر: فيصل حردان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2011، ط1.

– روبيرت جيلمور، أليس في بلاد الكم، تر:أحمد سمير سعد، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2020.

– روجر روزنبلات، ثقافة الإستهلاك: الإستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة، تر: ليلى عبد الرزاق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ط1.

– رونيه ديكارت، حديث الطريقة، تر: عمر الشارني، الممنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ط1.

– ريوس، أقدم لك ماركس، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001.

– زكي نجيب محمود وأحمد أمين، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1935، ط.1

- زهير الخويلدي، التفلسف في زمن كورونا حوارات فلسفية حول الجائحة، دار رقمنة الكتاب العربي، ستوكهولم، 2021، ط1.

– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ط1.

– زيجمونت بومان وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018، ط1.

– سايد مطر، مسائل التعدد والإختلاف في الأنظمة الليبرالية الحديثة، مدخل إلى أعمال تشارلز تايلور، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، 2015، ط1.

– سعد بن حسين سعد القحطاني، علم الخلية والوراثة، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 2012، ط1.

– سليمان الكعيبي، موسوعة إستشراف المستقبل، قنديل للنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2018، ط1.
- صورية لقاط زيتوني، إبستمولوجيا التركيب وفلسفة التربية عند إدغار موران، دار الأيام، عمّان، 2020، ط1.

– ضياء الدين زاهر، مقدمة في الدراسات المستقبلية مفاهيم – أساليب– تطبيقات، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2004، ط1.

– طهر البنى، مذاهب الفن التشكيلي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2024، ط1.

– عادل بويحي، إنبثاق الفكر والمعرفة لدى إدغار موران إعادة بناء الإبستمولوجيا، دار الأيام، عمّان، 2020، ط1.

– عادل مصطفى، صوت الأعماق، مؤسسة هنداوي، القاهرة،2020.

– عادل مصطفى، قراءة في كتاب أوهام العقل لفرنسيس بيكون، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017.

– عايشة ديفن وجانيس إيه رويدز، علم الأحياء الجزيئي، تر: سارة طه علام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2022، ط1.

– عبد الكريم عنيات، فلنغير السبيل دروس فيروس كورونا، مجلة عمران.

– عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج1، دار الشروق، القاهرة، 2002، ط1.

– علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1، دار المعارف، القاهرة، ط9.
– غازي تدمري ونسرين بيسار تدمري، الحياة وعلم الوراثة، دار أكاديميا، بيرروت 1997، ط1.

– غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982، ط2.

- غرايم سميث، تاريخ موجز للعمانية، تر: مصطفى منادي إدريسي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021، ط1.

– غوتفريد فيلهلم ليبنتز، المونادولوجيا، تر، ألبير نصري نادر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2015.

- فاروق الحريري، الكياسة في المجتمع المتحضر، دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد، 1986، ط1.
– فتحي فرج، قصة التطور، شركة الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، دط.

– فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ط1.

– فرانسوا فوريه وديني ريشيه، الثورة الفرنسية، تر: صياح الجهيم، ج1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ط2.

- فردريك أنجلز، لودفيغ فويرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، دس، دط.

- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة من أوكام إلى سوريز، المجلد 3، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ط1.

– فردريك هيغل، أصول فلسفة الحق، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ط3، ص91.

– فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، تر: عادل مصطفى، دار رؤية، القاهرة، 2013، ط1.

– فياض محمد شريف، علم الحياة الكمومي، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، 2023، ط1.

– فيرنر هايزنبرغ، الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث، تر: خالد قطب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ط1.

– فيليب فرنك، فلسفة العلم الصلة بين العلم والفلسفة، تر: علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ط1.

– كاترين كنسلر، ما العلمانية، تر: محمد الزناتي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017، ط1.

– لينين، خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء الأزمة في حزبنا، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1958، ط1.

– ما النسبية مقدمة بدهية لأفكار أينشتاين وسبب أهميتها، تر: محمد فتحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017، ط1.

– ماثيو أنجيلكه، كيف تفكّر كأنتروبولوجي، تر: عومرية سلطاني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2020، ط1.

– ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تر: عطيات أبو السعود، عالم المعرفة، الكويت، 1997.

– مايكل ريوس، داروين، تر: فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ط1.

– مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، تر: معين شفيق رومية، ج1، عالم المعرفة، الكويت، 2006، ط1.

- مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، تر: معين شفيق رومية، ج2، عالم المعرفة، الكويت، 2006، ط1.

– محمد الهلالي وعزيز لزرق، دفاتر فلسفية الدولة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2011، دط.
– محمد صفي الدين خربوش، مقدمة في النظم السياسية، معهد البحوث و الدراسات العربية، مصر، 2013، دط.
– محمد عثمان الخشت، العقل وما بعد الطبيعة تأويل جديد لفلسفتي هيوم وكانط، مكتبة إبن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 1993، دط.

- مصطفى تيلوين، مدخل عام إلى الأنتروبولوجيا، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2011، ط1.

– معين رومية، من البيئة إلى الفلسفة، دار معابر للنشر، سوريا، 2011، ط1.
– نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، بغداد، 2010، ط1.

– هارولد لاسكي، مدخل إلى علم السياسة، تر : عز الدين محمد حسين، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1965، دط.

– هنريك سكوليموفسكي، فلسفة البيئة، تر: ديمتري أفييرنوس، أبجدية المعرفة، سورية، 1992، ط1.

– ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، دط.

– وليد عبد الحي، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمّان، 2002، ط1.

– يحي اليحياوي، المستقبل في فكر المهدي المنجرة، مجلة إستشراف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد الأول، 2016.

– يورغن هابرماس وآخرون، قوة الدين في المجال العام، تر: فلاح رحيم، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، 2013، ط1.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية

- André Laland, Vocabulaiire Technique et Critique da la Philosophie, Presses Universitaire de France, 1997, p4.

– Jacques Monod, Chance and Necessity, translate to English by : Austryn Wainhouse , Vintage books a division of random house, New York, 1972, p1.

- Mathéo Malik, Répondre à la crise de la pensée : conversation avec Edgar Morin, 08/09/2019, legrandcontinent.eu.

- Robin fortin, Comprendre la complexité introduction à la méthode d'Edgar Morin, presses de l'université Laval, Canada, 2000, p1.

قائمة المراجع باللغة الإنجليزية

− Browen Price and others, Francis Bacon's new atlantis new interdiscplinary essays, Manchester university press, Manchester, 2012.

− Eduard Bernays, Propaganda comment manipuler l'opinion en démocratie, tr :Oristelle Bonis, Normand Baillargeon, paris, 2007, 6éme chapitre.

− Francis Dupuis-Déri, Démocratie ; histoire politique d'un mot aux Etats unis et France, Humanités.

− Jerry koyen, why evoulution is true, oxford university press, Ney York, 2009, p1.

− Klimon Lycos, Plato on justice and power, The Macmillan press, london, 1987.

− Mark Vezzey and others, Augusitine's city of god A critical guide, Cambridge University press, New York, 2012.

- Richard G Olson, Scientism and Technoracy in the twentieth, Lexinton Books, New york and London, 2016.

− Susan Bruce and others, Three Early Moderne Utopias, utopia new atlantis the isle pines , OXFORD university press, London, 1999.

− Wendell Bell, Founadations of futures studies, Volume 1, Transaction Publishers, New York and London, 2009, printing 5.

-Augustine, The confessions, ICON classique, San Diego, 2005.

قائمة المواقع الإلكترونية:

- إدغـار مـوران وطـارق رمضـان، الأخـلاق فـي عـالم اليـوم بـين التنظيـر والتطبيـق، 2013/10/27، https://youtu.be/W-rQlb7lasg?si=vcrYaJaV7hwQf.

- إدغـار مـوران، الفكـر المعقّـد / المركـب والفكـر الشـامل، تـر: خديجـة زتيلـي، 2021/05/01، https://couua.com.

– آلان باديو وأخرون، كورونا من منظور فلاسفة العصر، تر: جميلة حنيفي وأخرون، كتب كوة الرقمية، www.couua.com 2021/05/06.

– جان فيليب بويو، من علم الأزمات إلى علم المخاطر، تر: زهير الخويلدي، 2022/11/11، m.ahewar.com.

- خالد الإدريسي، تعاريف الدراسات المستقبلية، 2019/06/03، ummah.futures.net.

– خديجة زتيلي، قراة في كتاب من حرب إلى حرب، المجلة الجزائرية الثقافية thakafamag.com.

- زهير الخويلدي، فلسفة إدغار موران بين لا تناهي التعقيد والمنهجية العابرة للمعارف والهويات، https://youtu.be/5n-g0mvy5nA.

– زهير الخويلدي، مستقبل الهوية الإنسانية من خلال أعمال إدغار موران، 2017/12/22، anfasse.org.

– فتحي المسكيني، الفلاسفة والمستقبل، 2022/04/20، m.ahewar.org.

– مشير باسل عون، إدغار موران يخشى مصير الأرض بين الكارثة والروبوتية، 2022/09/12، www.independentarabia.com.

– موسوعة ستانفورد للفلسفة، الإلحاد واللا أدرية، تر: عبد الله الحميدي، دار حكمة.

– هاشم صالح، فلاسفة حياتي لإدغار موران، 2013/11/22، aljaml.com.

الفهرس:

الفصل	العنوان	الصفحة
مقدمة		**3**
الفصل الأول: إستبصار إدغار موران للمستقبل في ضوء المنعرجات الفكرية المعاصرة	**المبحث الأول: الرؤية الإستبصارية، أو كيف نستشرف المستقبل؟**	**15**
	أولا: شروط إمكان إستشراف المستقبل، أو ماهية الدراسات المستقبلية	**15**
	ثانيا: تعريف الدراسات المستقبلية	**21**
	ثالثا: إمتشاق إدغار موران الدراسات المستقبلية بوصفها إمكانا للمعرفة	**24**
	المبحث الثاني: المرجعيات الفكرية التأسيسية لفكر إدغار موران	**29**
	أولا: علم الفيزيس بما هو منطلق فلسفي	**29**
	ثانيا: البيولوجيا باعتبارها مقاما للمعرفة	**34**
	ثالثا: حقول المعرفة الإنسانية كونها متكئ لموران	**41**
	المبحث الثالث: إستحداث المنهج لقراءة الوضع الإنساني	**50**
	أولا: التبسيط وتعليل المعرفة	**50**
	ثانيا: إنبثاق العلم أفقا لبراديغم جديد	**55**
	ثالثا: إنبثاق فكر التعقيد	**60**
	المبحث الرابع: الأزمة باعتبارها منطلقا للإستشراف	**64**
	أولا: في طبيعة العلاقة بين الأزمة والإستشراف	**64**
	ثانيا: نحو الكشف عن تصنيع الأزمة	**66**
	ثالثا: تأسسات الأزمة باعتبارها كيان وجودي	**69**
الفصل الثاني: إصلاحات إدغار موران أو من أجل المستقبل	**المبحث الأول: إصلاحات سياسية، أو إشراك المجتمع في صنع القرار**	**74**
	أولا: الشأن السياسي عند موران	**74**
	ثانيا: الديمقراطية بكونها في حالة أزمة	**80**
	ثالثا: مستقبل السياسة أو ما معنى اليسار الجديد؟	**87**
	المبحث الثاني: إصلاح واقع التربية: أو التربية بين الموجود والمأمول	**92**
	أولا: في تحديد موضع العلة	**92**
	ثانيا: مقترحات موران للإنفكاك من الأزمة	**94**
	ثالثا: إستبصار مستقبل التعليم	**99**
	المبحث الثالث: إصلاح البيئة من أجل الأرض – الوطن	**104**
	أولا: أزمة الكوكب: إحتضار الأرض	**104**

	ثانيا: ترشيد الإستهلاك والإقتصاد	**111**
	ثالثا: الجماليات كمخرج، أو تأسيس فن العيش	**117**
	المبحث الرابع : نحو بناء أسس للعيش المشترك	**123**
	أولا: في تحديد الأزمة الإنسانية	**123**
	ثانيا: نحو فلسفة للتسامح أو بناء أسس التواصل الإنساني	**127**
	ثالثا: تعليم الإنسانية وأوامر السياسة الحضارية	**130**
الفصل الثالث: ثقب إدغار موران الأسود	**المبحث الأول: الأخلاق، أو كيف نؤسس لمجتمع أخلاقي؟**	**136**
	أولا: أزمة الأخلاق الفردية	**136**
	ثانيا: سبيل إصلاح الأخلاق	**137**
	ثالثا: نقد سبيل الأخلاق	**142**
	المبحث الثاني: إشكالية الديني في فلسفة إدغار موران	**148**
	أولا: قراءة موران لمسألة الديني	**148**
	ثانيا: العلمانية كأفق ورهان سياسي	**150**
	ثالثا: حضور الدين في الفضاء العام	**155**
	المبحث الثالث: الأزمة كعلم ونموذج المخاطر	**160**
	أولا: الأزمة كعلم لمواجهة الإختلالات	**160**
	ثانيا: أزمة الصحة، أو إمتحان الأزمة	**162**
	ثالثا: من علم الأزمات إلى علم المخاطر	**167**
	المبحث الرابع: مساءلة إبستمولوجية لمنهج التعقيد	**172**
	أولا: إشكالية التعقيد	**172**
	ثانيا: عوائق منهج التعقيد	**174**
	ثالثا: إدغار موران فس عين الميزان، أو خاتمة عامة	**177**
	الخاتمة	**180**
	قائمة المصادر والمراجع	**186**